

297.09: G42mA

غنيمة فيصل

محاسن السلوك في تاريخ الخلفاء

297.09
G 42 mA

~~19 Oct 68~~

~~30 APR 1970~~

~~SEP 67~~

~~NOV 62~~

J. LIB.

30 JAN 1979

~~MAR 63~~

~~30 Mar 64~~

~~May 64~~

~~51 Feb 66~~

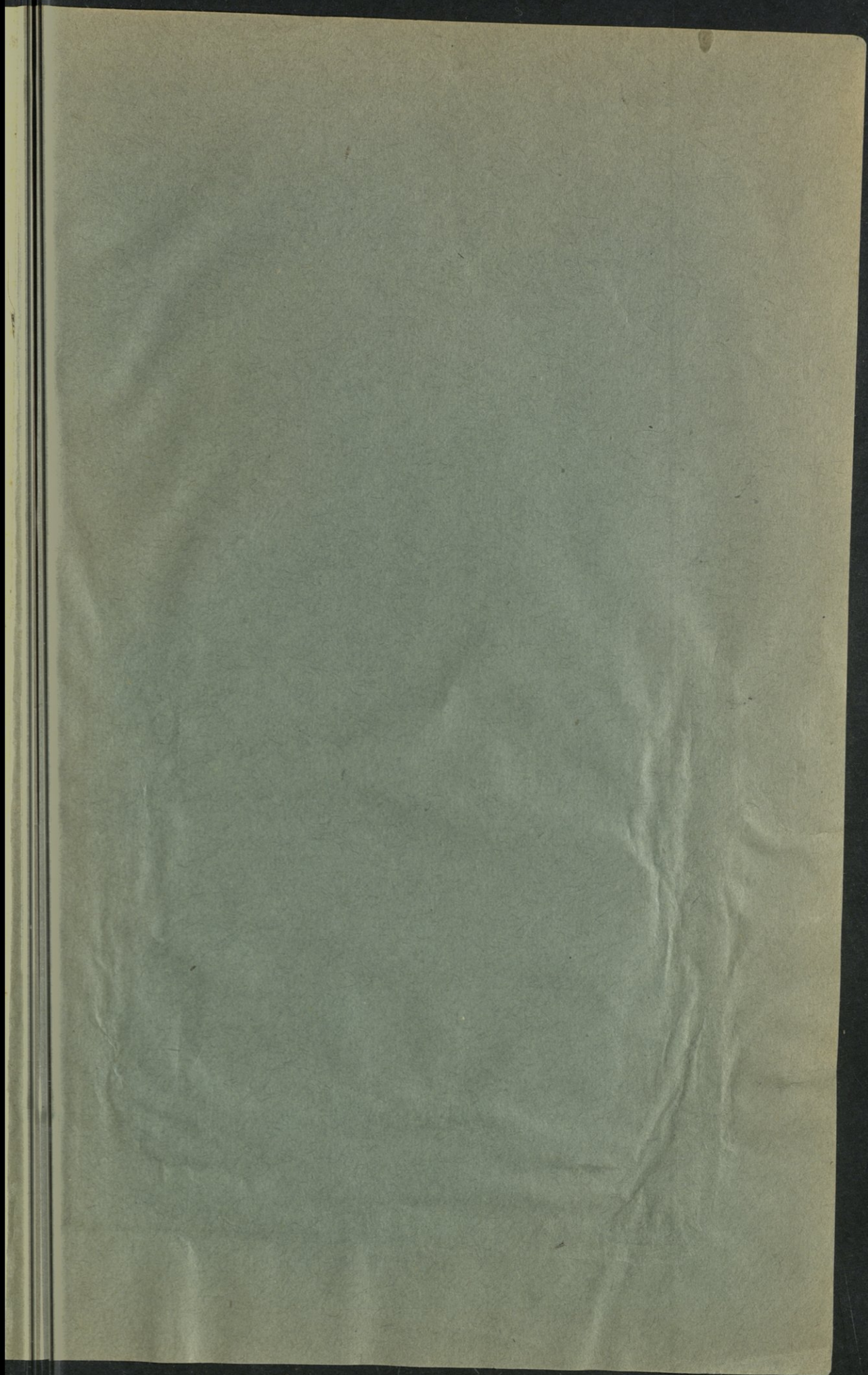
~~31 Aug 65~~

SAFET LIB.

~~31 DEC 1968~~

~~15 70~~

~~2 JUN 1986~~



297.09
G42 m A
C.1

مَجَازُ السُّلُوكِ

فِي

تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ

تأليف

محمد بك غنيم

مدرس التاريخ بالازهر الشريف

وبالمدارس الاميرية سابقا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

Cat. 25 Nov. 53

القاهرة

مطبعة العجايز وشركاءها
مطبعة الخليل محمد علي

١٩٣٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مالك الملك، ومعز البررة العادلين، ومذل الفجار الطاغين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخير قدوة للهوك والخلفاء، وعلى آله وصحبه زينة الحكام والأمراء. وبعد فطالما تافت نفسي لأن أتم بحوثي في علم التاريخ «مهدب السلف والخلف، ومعلم الأوائل والأواخر، وعبرة الشيب والشبان»، وتمنيت على الله أن أوفق لتهديب مسائله وحوادثه، وجمع البارع الفائق من أبوابه، ثم نشرها على مراحل متتابعة، وقد أسعدني الله، وواتاني الحظ، وأدركت بعض ما تمنيت من الأمانى. ومنذ أشهر تعد على الأصابع أخرجت في عالم المطبوعات السيرة النبوية، في أنعم ثوب، وأجمل رواء، والآن كانت لله على اليد الثانية، وها هو ذا كتاب «محاسن السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك» يظهر كسابقه في عالم المطبوعات وأرجو أن يحوز مثله رضا القراء، وينال إعجابهم، والله المسترل أن ينفع به وبغيره مما ألفت، إنه سميع مجيب.

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشدون هم الذين قاموا بأمر الخلافة الإسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومدتهم من السنة الحادية عشرة الى الحادية والأربعين وهم: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب — وخلفهم الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين. وكانت مدته متممة للخلافة الإسلامية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عرضا » وكانت سياستهم الرفق واللين والعدل بين الناس افتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي عهدهم دانت لهم بقاع بلاد العرب وفتحت بلاد فارس والشام ومصر والعراق وافر بنية والأندلس والجزائر المجاورة لها وجزيرة قبرص وحاولوا الاستيلاء على بلاد النوبة وبعد فتحهم هذه الفتوحات العظيمة وبذلهم الهمم الجسيمة وقيامهم بأمر الخلافة ثلاثين سنة لم يأخذهم فيها نوم ولا سنة انزلة أمر الخلافة بعد الحسن بن علي رضي الله عنهما الى بني أمية كما سيأتي.

مهارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو الخليفة الأول بعد وفاة النبي ﷺ واسمه عبد الله بن أبي قحافة (يلتقى نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب) بويح بالخلافة في السنة الحادية عشرة من الهجرة بعد وفاة النبي ﷺ وذلك أنه لما توفي النبي ﷺ اندهش الناس اندهاشا عظيما حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قال إن محمدا قد مات علوت رأسه بسيفي هذا، ولما حضر أبو بكر الصديق وتحقق من موته قال: ألا إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) فرجع القوم إلى قوله (لم يعين ﷺ خليفة بعده) ولذلك لما توفي النبي حصل خلاف بين المهاجرين والأنصار فقال الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وتيسروا لانتخاب سعد بن عبادة الخزرجي وقال المهاجرون للأنصار منا الأمراء ومنكم الوزراء وكثر الجدل بين الفريقين حتى كاد يستفحل الأمر ثم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وبايع عمر أبا بكر ثم توالى الناس عليه يبايعونه في الشهر الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ولم يتأخر عن بيعته إلا قليل من الناس وبايعوه بعد قليل من الزمن ولما تم له الأمر صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسدوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيت فلا طاعة لي عليكم ألا إن أفواكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه وأضعفكم عندي قري حتى آخذ له الحق أقول هذا واستغفر الله لي ولكم

أعمال رضى الله عنه

إن أول عمل بدأ به أنه أنفذ جيش أسامة بن زيد الذى كان قد جهزه رسول الله ﷺ قبل وفاته إلى أبني وخرج رضى الله عنه بنفسه يودعهم وأوصاهم بقوله لا تخزنوا ولا تغدروا ولا تملوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعزفوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للآكل وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم إلى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وإن لقيتم قوما فخصوا أو اسطروهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيوف ما خصروا عنه وإذا قدم لكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه يا أسامة اسمع ما أمرك رسول الله ببلاد قضاة ولا تترك من أمره شيئا وعند رجوعه قال لأسامة إن أردت أن تعيننى بعمر فافعل فاذن له فيه فرجع ثم سار أسامة لما أمر به وبعث الجنود إلى بلاد قضاة وأغار على ابني وسيا وغنم وبعد ذلك رجع إلى المدينة وكانت غيبته عنها أربعين ليلة

وفي مبدأ خلافته رضى الله عنه ارتد كثيرون من قبائل العرب ومنع آخرون الزكاة وظهر قوم بادعاء النبوة وعظم الخطب على المسلمين وظهر النفاق في قلوب البعض من الناس واشترأبت أعناق المشركين لولا أن تدارك هذا الخطب الجسيم بحزمه وهمته وثباته وقوته فإنه رضى الله تعالى عنه أسرع في تلافى الأمر وأمر بتجهيز الجيوش لقتال اهل الردة حتى رجعوا إلى الإسلام وقاتل مانعى الزكاة حتى ادوها وحارب المتنبيين حتى قتل من قتل وهرب من هرب وخرج رضى الله تعالى عنه في مبدأ الأمر بنفسه يريد المقاتلة ومضى حتى وصل إلى الربذة فخرج إليه الأبطال وأرجعوه إلى المدينة فرجع وعقد

أحد عشر لواء لعطاء المسلمين وأبطالهم فغزوا وانتصروا على اعدائهم ونالوا
مزادهم من اعدائهم وقطع دابر القوم الذين ظهروا والحمد لله رب العالمين وعاد
الأمر كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وكان ممن ادعى النبوة أبو الأسود العنسي باليمن وطليحة بن خويلد الأسدي
بنجد ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة وسجاح بنت الحارث التميمية

أما أبو الأسود العنسي فإن الله قد سلط عليه من قتله وكان النبي صلى الله عليه وسلم
أخبر بذلك قبل موته فوردت الأخبار الى أبي بكر بأنه قد قتل في الوقت الذي
أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه يقتل فيه .

وأما طليحة الأسدي فبعد أن عظم أمره واجتمعت عليه قبائل طيء وأسد
وغطفان وغيرهم من القبائل أرسل له جيشا تحت امره خالد بن الوليد فأخضع
قبائل طيء وبنى أسد وغطفان وهرازن وسليم وهزم طليحة في واقعة بذاخه
ولجأ الى الفرار ففر هاربا الى الشام .

وأما مسيلمة الكذاب فإنه قد اجتمعت عليه سجاح ومن تبعها من بني
تميم وتغاب وبني ربيعة وغيرهم من اتباع طليحة الذين انضموا اليها فوافقها
مسيلمة على دعواها . ولم يكثر الخليفة أبو بكر بهذه الجموع الكثيرة وأرسل
خالد بن الوليد لغزو مسيلمه وسجاح وأتبعهما فقتل مسيلمه الكذاب والذي
قتله هو وحشي قاتل حمزة في جاهليته بالحربة التي قتل حمزة بها وطلب من الله
يعالي أن يغفر له تلك بهذه والله غفور رحيم .

وأما سجاح فإنها لما اشتد بها الضيق فرت من الحرب وهربت الى الشام
وبقيت بها حتى أسلمت وطلأ أجلها الى زمن معاوية رضي الله تعالى عنه .

ولكن هذه الحروب قد استشهد فيها نحو سبعائة رجل أكثرهم من القراء
منهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو أكبر منه سنأ

وأقدم اسلاماً ومنهم البراء بن مالك أخو أنس بن مالك) وقتل من أتباع مسيلمة نحو سبعة عشر ألفاً من بني حنيفة وأعطى أبو بكر من سبي بني حنيفة على بن أبي طالب جارية فاستولدها محمد بن الحنفية .

(وخاف أبو بكر على ضياع القرآن فجمعه وكتبه في مصحف واحد وحفظه عند حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ وبقى عندها الى أن رأى عثمان رضي الله عنه اختلاف الناس في القرآن فأمر بأن تكتب من هذا المصحف عدة مصاحف فكتبت وسيرها للإبصار للسير على متضاها) كما سيأتي ذلك في خلافته ولما هدأ الوقت وانقطعت القلاقل وخضع الكل لأمر الخليفة ورجع الناس لاتباع الدين الحنفي والشرع القويم (فرغ الخليفة أبو بكر رضي الله عنه للفتوحات الخارجية لتعميم عدل الإسلام في سائر الأنام ففتح الفتوحات الآتية :-

فتوحاته رضي الله تعالى عنه

(جهز خالد بن الوليد في جيش جرار الى بلاد العراق وكانت تابعة للفرس وكان ذلك في شهر المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وفي الثالثة عشرة منها جهز أبو عبيدة بجيش جرار الى بلاد الشام وكانت تابعة للروم) وصار يسير اليها الجيش بعد الجيش وقال لهم اذا اجتمعتم فأمر الناس أبو عبيدة ولما وصل خالد الى العراق أخذ يفتح بلاده ففتح الحيرة والأنبار وغيرهما من المدائن ولم يزل مجتهداً في الفتح منصوراً في غزواته حتى كتب اليه أبو بكر يأمره بالانصراف عنها وأن يستخلف عليها المشني بن حارثة ويتوجه ومن معه الى الشام لمساعدة الجند هناك وجعله أميراً على جيوش الشام بدل أبي عبيدة فانصرف عنها الى الشام .

واقعة اليرموك

(توجه خالد رضى الله عنه مسرعاً الى الشام اجابة لأمر الخليفة ومراً بأروكة
وتدمر وحووران وفتحها وصالح أهلها على الجزية ولم يزل سائراً مخفواً بالنصر
العظيم والفتح المبين حتى اجتمعت عساكره بعساكر أبي عبيدة باليرموك
والتحم القتال بينهما وبين الروم فانهزمت الروم شر هزيمة وكان هرقل بمدينة
حمص فلما بلغه انتصار المسلمين رحل عنها وجعلها بيده وبين المسلمين ثم حاصر
خالد وأبو عبيدة مدينة دمشق فدافع أهلها عن أنفسهم دفاعاً شديداً وأتى بجيش
أثناء الحصار من الروم لمساعدة المحاصرين نحو سبعين ألف مقاتل فهزمهم
المسلمون شر هزيمة عند مدينة أجنادين وكان جيش المسلمين عشرين ألف
مقاتل فهزموا الروم وغنموا منهم مغانم كثيرة وافتتحوا بصرى وأجنادين من
بلاد فلسطين وحصلت بينهم وبين الروم عدة وقائع كان النصر فيها للمسلمين
وبينما هم على حصار دمشق اذ جاءهم الخبر بوفاة أبي بكر فأخروه ومضوا في
القتال ولم يشعروا أحداً به مخافة أن يحصل اضطراب أو وهن في العزيمة وقيل
ان الخبر قد جاءهم وهم في واقعة اليرموك قبل حصار دمشق.)

أروكة
تدمر
حووران
هرقل
محص
دمشق
بصرى
أجنادين
عنافة

(فصل)

في سبب رضى الله عنه

وإنه اشجع الصحابة رضى الله عنه أخرج البراز في مسنده عن علي أنه قال
أخبروني من اشجع الناس فقالوا أنت قال أما أنى ما بارزت أحداً إلا انتصفت
منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لانعلم فمن قال أبو بكر إنه (يا) كان يوم
ندر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا
يهوى إليه أحد المشركين فوالله مادنا منا أحد إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على

رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد فهو أشجع الناس قال علي رضي الله عنه ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش فهذا يجبره وهذا يتلته وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً قال فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويتأتل هذا وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلاً أن يتول ربي الله ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال الا تجيبوني فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال رأيت عقبة ابن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده عن أبي بكر قال لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله ﷺ فكنت أول من فاء وسيأتي تنمة الحديث في مسند مارواه وأخرج ابن عساکر عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً الح أبو بكر علي رسول الله ﷺ في الظهور فقال يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل أبو بكر ياح علي رسول الله ﷺ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين وضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً وسيأتي تنمة الحديث في ترجمة عمر رضي الله عنه وأخرج ابن عساکر عن علي رضي الله عنه قال ولما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله .

(فصل)

في انفاق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وأنه أجود الصحابة قال تعالى « وسيتجنبها الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكى »
إلى آخر السورة قال ابن الجوزي أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر وأخرج
أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي
بكر فبكي أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى
من حديث عائشة رضي الله عنها مدفوعاً مثله قال ابن كثير وروى أيضاً من
حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي
الله عنه وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وأخرج ابن عساکر من طرق عن
عائشة رضي الله عنها وعروة بن الزبير أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله
أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعون ألف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخرج أبو سعيد بن الإعرابي عن ابن عمر رضي الله عنه قال أسلم أبو بكر رضي الله عنه
يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وماله غير خمسة
آلاف كل ذلك يفقه في الرقاب والعون على الإسلام وأخرج ابن عساکر
عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وأخرج ابن
شاهين في السنة والبعوى في تفسيره وابن عساکر عن ابن عمر قال كنت عند
النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلاف فنزل
عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في
صدره بخلاف فقال يا جبريل أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقرأ
عليه السلام ويقول له أراض أنت عنى في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر

أسخط علي ربي أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض (غريب
وسنده ضعيف جدا) وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله وسندهما
ضعيف أيضا وأخرج ابن عساکر نحره من حديث ابن عباس وأخرج الخطيب
بسند واه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنه عن صلى الله عليه وسلم قال هبط جبريل عليه
السلام وعليه طنفسة وهو متخلل بها فقلت له يا جبريل ما هذا قال ان الله تعالى
أمر الملائكة أن تتخال في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض قال ابن كثير
وهذا منكر جدا وقال ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان
الاعراض عنهما أولى وأخرج أبو داود والترمذى عن عمر بن الخطاب قال
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك ما لا عندي قلت اليوم اسبق
أبا بكر إن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت
لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال
أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه في شيء أبدا (قال الترمذى حسن
صحيح) وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الحسن البصرى أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم
بصدقته فأخفاها فتمال يارسول الله هذه صدقتى والله عندي معاد، وجاء عمر بصدقته
فأظهرها فقال يارسول الله هذه صدقتى ولى عند الله معاد فتمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين صدقتكما كما بين كلمتكما (اسناده جيد لكنه مرسل) وأخرج الترمذى
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحد عندنا يدا ولا وقد كافأناه إلا
أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعى مال أحد قط
ما نفعى مال أبي بكر وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال
جئت بأبي فحافه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تركت الشيخ حتى آتية، قال بل هو
أحق أن يأنيك قال انا نحفظه لآيادى ابنه عندنا وأخرج بن عساکر عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر واسانى

بنفسه وماله وأنكحني ابنته .

(فصل)

في علمه رضى الله عنه

(وازه أعلم الصحابة وأذكارهم) قال النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت استدلال أصحابنا على عظم علمه بقوله في الحديث الثابت في الصحيحين والله لا قائلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلواته لقاتلتهم على منعه واستدل الشيخ أبو اسحق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه وروينا عن ابن عمر أنه سأل من كان يفتي الناس زمن رسول الله صلواته فقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ما أعلم غيرهما وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول الله صلواته الناس وقال إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى فبكى أبو بكر وقال نفديك بأبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلواته عن عبد خيرا فكان رسول الله صلواته هو المخبر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله صلواته إن من آمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولو لكن أخوة الاسلام ومودته لا يبقين باب إلا سد إلى باب ابى بكر (هذا كلام النووي) وقال ابن كثير (كان الصديق رضى الله عنه اقرا الصحابة أى أعلمهم بالقرآن لأنه صلواته قدمه إماما للصلاة بالصحابة رضى الله عنه) مع قوله يوم * القوم اقرؤهم لكتاب الله واخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلواته لا ينبغي لقرم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غيره وكان مع ذلك

أعلمهم بالسنة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن
النبي صلوات الله وسلامه يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم وكيف لا يكون
كذلك وقد واظب صحبة الرسول صلوات الله وسلامه من أول البعثة إلى الوفاة وهو مع
ذلك من اذكى عباد الله واعقلهم وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا
القليل لتقصير مدته وسرعة وفاته بعد النبي صلوات الله وسلامه والافلو طالبت مدته لكثرة
ذلك عنه جدا ولم يترك النافلون عنه حديثا إلا نقلوه ولكن كان الذين في زمانه
من الصحابة لا يحتاج احد منهم ان ينقل عنه ما فدا شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون
عنه ما ليس عندهم واخرج ابو القاسم البغوي عن ميمون من مهران قال كان ابو بكر
إذا ورد عليه الخضم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يتقضى بينهم قضى به وان لم يكن في
الكتاب وعلم من رسول الله صلوات الله وسلامه في ذلك الأمر سنة قضى به فان اعياه خرج
فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلوات الله وسلامه قضى في
ذلك بقضاء فر بما اجتمع إليه نفر كلهم بذكر من رسول الله صلوات الله وسلامه فيه قضاء
فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن ربنا فإن اعياه أن يجد
فيه سنة من رسول الله صلوات الله وسلامه جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن اجمع
أمرهم على رأى قضى به وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك فإن اعياه ان يجد في
القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فإن وجد ابا بكر قد قضى به
وإلا دعا رءوس المسلمين فإذا اجتمعوا على امر قضى به وكان الصديق رضى الله
عنه مع ذلك اعلم الناس بانساب العرب لاسيما قريش اخرج ابن اسحق عن
يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار قال كان جبير بن مطعم من انساب قريش
لقريش والعرب قاطبة وكان يقول إنما اخذت النسب من ابي بكر الصديق وكان
أبو بكر الصديق من انساب العرب وكان الصديق مع ذلك غاية في علم تعبير
الرؤيا وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبى صلوات الله وسلامه وقد قال محمد بن سيرين وهو

المقدم في هذا العلم بالاتفاق كان أبو بكر اعبر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم (اخرجه ابن سعد) .

واخرج الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أول الرؤيا ابا بكر قال ابن كثير وكان من افصح الناس واخطبهم قال الزبير بن بكار سمعت بعض أهل العلم يقول افصح خطباء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر رضي الله عنه وكان اعلم الناس بالله واخوفهم له وسيأتي من كلامه في ذلك وفي تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة في فصل مستقل ومن الدال على انه اعلم الصحابة حديث صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال علام نعطي الدنية في ديننا فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذهب إلى ابي بكر فسأله عما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فأجابه الصديق بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم سواء (اخرجه البخاري وغيره) .

وكان مع ذلك أسد الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً واخرج تمام الرازي في فرائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا نبي جبريل فقال إن الله يأمرك ان تستشير ابا بكر واخرج الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يسرح معاذاً إلى اليمن استشار ناساً من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير واسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان براه فقال ماترى يامعاذ قلت أرى ما قال ابو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يكرهه فوق سمائه ان يخطيء ابو بكر ورواه ابن اسامة في مسنده ان الله يكرهه في السماء ان يخطيء ابو بكر الصديق في الأرض واخرج الطبراني في الأوسط عن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يكرهه ان يخطيء ابو بكر (رجاله ثقة) .

(فصل)

فبما أنزل منه الآيات في صدره أو تصريفه أو أمره شأنه

اعلم أني رأيت لبعضهم كتابا في أسماء من نزل فيهم القرآن غير محرر ولا مستوعب وقد الفت في ذلك كتابا حافلا مستوعبا محررا وانا الخص هذا ما يتعلق منه بالصديق رضى الله عنه قال تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه) ، اجمع المسلمون على ان صاحب المذکور ابو بكر وسيأتي نبیه اثر عنه واخرج بن ابى حاتم عن ابى عباس فى قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه قال على ابى بكر إن النبى صلى الله عليه وسلم لم تنزل السكينة عليه واخرج ابن ابى حاتم عن ابن مسعود ان ابا بكر اشترى بلالا من امية بن خلف وابى بن خلف ببردة وعشرا واق فأعتقه لله فأنزل الله (والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى) سعى ابى بكر وامية وابى واخرج ابن جرير عن عامر ابن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا اسلمن فقال ابوه اى بنى اراك تعتق اناسا ضعافا فلو انك تعتق رجالا جلدا يتمون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، قال اى ابنت انا اريد ما عند الله قال فحدثنى بعض اهل بيتى ان هذه الآية نزلت فيه (فأما من اعطى واتقى إلى آخرها) واخرج ابن ابى حاتم والطبرانى عن عروة ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه اعتق سبعة كلهم يعذب فى الله وفيه نزلت (وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة) وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال نزلت هذه الآية وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلى آخر السورة فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه واخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر لم يكن يحنث فى يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان وكانت له صحبة قال قال على والذى جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر الصديق

قال ابن عساکر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلی وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى وشاورهم في الأمر قال نزلت في أبي بكر وعمر وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شاذب قال نزلت (ولمن خاف مقام ربه جنتان) في أبي بكر رضي الله عنه وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى وصالح المؤمنين قال نزلت في أبي بكر وعمر وأخرج عبد الله بن أبي حميد في تفسيره عن مجاهد قال لما نزلت (ان الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر يا رسول الله ما أنزل الله عليك إلا أشركنا فيه فنزلت هذه الآية هو الذي يصلي عليكم وملائكته وأخرج ابن عساکر عن علي بن الحسين إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين وأخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال نزلت في أبي بكر الصديق ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا إلى قوله وعد الصديق الذي كانوا يوعدون، وأخرج ابن عساکر عن ابن عيينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبته ثم قرأ الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار .

﴿ فصل ﴾

في الأهدى الواردة في فصد مقرونا بعمر سوى ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبيننا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفت إليه في كلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث

قال الناس سبحان الله بقرة تتكلم قال النبي ﷺ فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر أي لم يكونا في المجلس شهد لهما بالايان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما وأخرج الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما من وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلى في الجنة » وذكر تمام العشرة وأخرج الترمذى عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إن أهل الدرجات العلى ليأثم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم (وأخرجه الطبرانى من حديث جابر بن سمرة وأبي هريرة) وأخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتسمان إليه ويتسم إليهما وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو أخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة (وأخرجه الطبرانى في الأوسط عن أبي هريرة) وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنظلة أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر (وأخرج الطبرانى من حديث ابن عمر وابن عمرو) وأخرج البزار والحاكم عن أبي أروى الدوس قال كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذى أيدنى بكما وورد أيضاً من حديث البراء من

عازب (وأخرجه الطبراني في الأوسط) وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر
قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل آ نفا فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر
ابن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبثت نوح في قومه ما نفذت
فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر وأخرج أحمد عن عبد الرحمن
ابن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما
وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه
سأل من كان يفتى في زمن رسول الله ﷺ فقال أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما
وأخرج عن أبي القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون في
عهد رسول الله ﷺ وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول
الله ﷺ قال أن لكل نبي خاصة من أمته وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر
وعمر وأبن عساكر، عن علي قال قال رسول الله ﷺ رحم الله أبا بكر زوجني
أبنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان
مرأ تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله عليا
اللهم أدر الحق معه حيث دار وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال لما
قدم النبي ﷺ من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها
الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس إنني راض عنه وعن
عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين
الأولين فاعرفوا ذلك لهم وأخرج عبد الله بن أحمد في روائد الزهد عن ابن أبي
حازم قال جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال ما كان منزلة أبي بكر وعمر من
رسول الله ﷺ قال كمنزلة منهما منه الساعة وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم
قال قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد بعدى وأخرج
ابن عساكر عن أنس قال حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضتهما كفر

وأخرج عن ابن مسعود قال حب أبي بكر وعمر معرفتهما من السنة وأخرج أنس مرفوعاً إنى لأرجو لأمتى فى حبهم لأبى بكر وعمر ما أرجو لهم فى قول لا إله إلا الله .

(فصل)

فى الأحاديث الواردة فى فضل وصحة سوى ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من اتفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة يعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر ماعلى من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد قال نعم فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أما أنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى وأخرج الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ أن من آمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخره الاسلام وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبى واقد الليسى وأبى المعلى وعائشة وأبى هريرة وابن عمر رضى الله عنه وقد سردت طرقهم فى الأحاديث المتواترة وأخرج البخارى عن أبى الدرداء قال كنت جالساً عند النبي ﷺ إذا أقبل أبو بكر فسلم وقال إنى كان بينى وبين عمر بن الخطاب شىء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفرلى

فأبى على فاقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجدده فأتى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجاء على ركبنيه فقال يا رسول الله أنا كنت أظلم منه مرتين فقال النبي ﷺ إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون إلى صاحبي مرتين فما أودى بعدها وأخرج بن عدى من حديث ابن عمر رضی الله عنه نحوه وفيه فقال رسول الله ﷺ لا تؤذوني في صاحبي فإن الله بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولولا أن الله سماه صاحباً لاتخذته خليلاً ولكن أخوه الإسلام وأخرج ابن عساکر عن المقدم قال استب عقیل من أبي طالب وأبى بكر قال وكان أبو بكر نساباً نساباً غير أنه تخرج من قرابته من النبي ﷺ فأعرض عنه وشكا إلى النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ في الناس فقال الا تدعون لي صاحبي ماشأنكم وشأنه فو الله ما منكم رجل إلا على باب بيته ظلمة إلا باب أبي بكر فان على بابه النور فوالله لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجاد لي بماله وخذلتوني وواساني وأتبعني وأخرج البخاري عن ابن عمر رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من جرثوم به خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقال أبو بكر إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك فقال رسول الله ﷺ أنك لست تصنع ذلك خيلاء وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائماً قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً قال أبو بكر أنا قال فمن عاد اليوم منكم مريضاً قال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك وعبد الرحمن ابن أبي بكر فحديث أنس أخرجه (البيهقي في الاصل) وفي آخره وجهت لك

الجنة وحديث عبد الرحمن أخرجه البزار ولفظه صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال من أصبح منكم صائما فقال عمر يا رسول الله لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطرا فقال أبو بكر ولكن حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائما فقال هل أحد منكم اليوم عاد مريضا فقال عمر يا رسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر بلغني أن أخي عبد الرحمن ابن عوف شك فجعلت طريقى عليه لأنظر كيف أصبح فقال هل منكم أحد أطمع اليوم مسكينا فقال عمر صلينا يا رسول الله ثم لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فاذا بسائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها ودفعتها إليه فقال أنت فابشر بالجنة ثم قال كلمة أرضى بها عمر وعمر زعم أنه لم يرد خيرا قط إلا سبقه إليه أبو بكر وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت فى المسجد أصلى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر فوجدنى أدعو فقال سل تعطه ثم قال من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد فرجعت الى منزلى فأتانى أبو بكر فبشرنى ثم أتى عمر فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال انك لسباق بالخير وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الاسلمى رضى الله عنه قال جرى بينى وبين أبو بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها وندم فقال لى ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا قلت لا أفعل فقال لتقولن أو لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر وجاء أناس من أسلم فقالوا لى رحم الله أبا بكر فى أى شىء يستعدى عليك وهو الذى قال لك ما قال فقلت أتدرون من هذا أبو بكر الصديق هذا ثانى اثنين وهذا ذو شبة المسلمين أباكم لا يلتفت فىراكم تنصرونى عليه فيغضب فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة وانطلق أبو بكر وتبعته حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع رأسه فقال يا ربيعة مالك

والصديق فقلت يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل كما
قلت حتى يكون قصاصا فأبيت فقال رسول الله ﷺ أجل لا ترد عليه ولكن
قل قد غفر الله لك يا أبا بكر فقلت غفر الله لك يا أبا بكر وأخرج الترمذى
وحسنه عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر أنت
صاحبي على الحروض وصاحبي في الغار وأخرج عبد الله بن أحمد رضى الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ أبو بكر صاحبي ومؤنسى في الغار (اسناده حسن)
وأخرج البيهقي عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن في الحبة
طيرا كالمثال البخاتي قال أبو بكر إنها لنا عمه يا رسول الله قال انعم منها من يأكلها
وأنت ممن يأكلها وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس وأخرج أبو يعلى عن
أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ عرج بي الى السماء فما مرت
بسماء الا وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خاني اسناد ضعيف
لكنه ورد أيضا من حديث ابن عباس وابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي الدرداء
رضى الله عنه بأسانيد ضعيفة يشد بعضها بعضها وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم
عن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال قرأت عند النبي ﷺ يا أيتها النفس
المطمئنة فقال أبو بكر يا رسول الله ان هذا لحسن فقال رسول الله ﷺ أما ان
سيقولها لك عند الموت وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير
رضى الله عنه قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم الآية قال
أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت فقال صدقت وأخرج أبو
القاسم البغوى حدثنا داود بن عمر حدثنا عبد الجبار بن الوردى عن ابن أبي
مليكة قال دخل رسول الله ﷺ وأصحابه غديرا فقال ليسبح كل رجل الى صاحبه
قال فسبح كل رجل حتى بقي رسول الله ﷺ وأبو بكر فسبح رسول الله ﷺ
الى أبي بكر حتى اعتقه وقال لو كنت متخذا خليلا حتى ألقى الله لاتخذت

أبا بكر خليلاً ولكنه صاحبي تابعه وكيع عن عبد الجبار بن داود (أخرجه ابن عساكر) وعبد الجبار ثقة وشيخه ابن أبي مليكة إمام إلا أنه مرسل وهو غريب جدا قلت أخرجه الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة من وجه آخر مرصولا عن ابن عباس وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق وابن عساكر من طريق صدقه بن ميمون القرشي عن سليمان بن يسار قال قال رسول الله ﷺ خصال الخير ثلثماية وستون خصلة إذا أراد الله بعبده خيرا جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة قال أبو بكر يارسول الله أفى شيء منها قال نعم جمعا من كل وأخرج ابن عساكر من طريق أخرى عن صدقه القرشي عن رجل قال قال رسول الله ﷺ خصال الخير ثلثماية وستون فقال أبو بكر يارسول الله لي منها شيء قال كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع ابن يعقوب الانصارى عن أبيه قال ان كانت حاقة رسول الله ﷺ انشبتك حتى تصير كالاسوار وان مجاس أبي بكر منها لفاغر ما يطمع فيه أحد من الناس فاذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي ﷺ بوجهه وألقى إليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي وأخرج مثله في حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا الناس كلهم يحاسنون إلا أبا بكر.

(فصل)

في نيز صه ملحه وتواضع رضى الله عنه

اخرج ابن عساكر عن أنيسه قالت نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنه بعد ما استخلف فكان جوارى الحى يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن

وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال جاء رجل إلى أبي بكر فقال السلام عليك يا خليفة رسول الله قال من بين هؤلاء أجمعين وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة كذا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الذي بأبنا وهو يومئذ خليفة فقال عمر أنت هو لعمرى وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الاصبهاني قال جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال أنزل عن مجلس أبي فتال صدقت إن مجلس أبيك وأجلسه في حجره وبكى فقال علي والله ما هذا عن أمري فقال صدقت والله ما اتهمك .

وفاة أبي بكر والوصية لعمر رضي الله عنهما

إنه لما اشتد بأبي بكر المرض جمع أ كابر الصحابة واخبرهم أنه يريد أن يوصي إلى عمر بن الخطاب بالخلافة فاستحسنوا ذلك وحذوا رأيه فدعا عثمان ابن عفان وقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحالة التي يؤمن فيها الكافر ويوفق فيها الفاجر أنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان أحسن وعدل فذلك علي به ورأني فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ من فعله ما كنسب ثم ختمه بخاتم رسول الله ﷺ فخرج به عثمان وقرأه على الناس فرضوا به ورفع أبو بكر يديه وقال اللهم إني لم أرد بذلك إلا إصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرني من امرك ما حضرني فاخلفني فيهم وهم عبادك وتواصيهم بيدك فأصلح لهم خليفة

واجعله من خلفائك الراشدين وأصالح له رعيته إنك على كل شيء قدير
وبالاجابة جدير

وكانت وفاته رضي الله عنه في ثلاث عشرة من شهر جمادى الآخرة في
السنة الثالثة عشرة من الهجرة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام
وعمره ثلاث وستون سنة ودفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفي وبلغ ذلك
الخبر على بن أبي طالب جاء با كيا مسترجعا وقال يرحمك الله يا أبا بكر لقد
كنت أول القوم إسلاما وأشدهم يقينا واحفظهم على رسول الله وأحدهم على
الإسلام وأحماهم على أهله وانسبهم برسول الله خلقا وخلقنا وهدىنا بجزاك الله عن
الإسلام خيرا وعن الرسول خيرا صدقته حين كذبه الناس وواسيته حين
بخلوا بمالهم وقت معه حين تعدوا وسمك الله في كتابه صديقا قال تعالى « والذى
جاء بالصدق وصدق به وكنت والله للإسلام حاضوا للكفرنا كسالم تغعض
عينيك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف
ولا تزيله القواصف) كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في
دينك متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين)
لم يكن لأحد عندك مطمع فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف حتى
تأخذ الحق من القوى للضعيف لا احرمنا الله أجرنا ولا أضانا بعدك . وفصائله
رضى الله تعالى عنه شهيرة وما أثره كثيرة وكفاه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم أفضل
من طلعت عليه الشمس بعد النبيين أبو بكر وفؤله عليه الصلاة والسلام لو وزن
إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر إلى غير ذلك من الأحاديث
الكثيرة والآثار الشهيرة التي تقدمت في خلافته رضي الله عنه

معرفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الخليفة الثاني بعد النبي صلوات الله وسلامته عليه ^{ببيع بالخلافة} في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر رضي الله عنه ولقب بأمير المؤمنين فرارا من قوتهم خليفة خليفة رسول الله

أعماله رضي الله عنه

(أول عمل بدأ به أنه رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم) ولما تم له أمر الخلافة أرسل إلى أبي عبيدة يخبره بوفاة أبي بكر وولاه على الشام والهند وعزل خالد ابن الوليد وكان خالد ومن معه فتحوا مرج السفى وكانوا على حصار دمشق ثم ان صاحبها طلب الصلح فدخل أبو عبيدة من باب الأمان حينما دخل خالد عنوة من الجهة الأخرى وكان فتحها في السنة الرابعة عشرة ولما تملك المسلمون المدينة نزح كثير من أهلها بأمرهم وأهلهم صحبة البطريق توما وكان ذلك على غير رغبة خالد وقال الواقدي إن خالد بن الوليد صالحهم وكتب للأسقف كتابا بالصلح وأعطاهم الأمان فأجاز ذلك أبو عبيدة لما تولى بدلا عنه

ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص إلى الأردن ففتحها وفتح فلسطين عنوة وفي السنة الخامسة عشرة فتحت بعلبك وغيرها من المدن على يد خالد وحوصرت حمص فطلب أهلها الصلح وبت أبو عبيدة عماله في نواحي حمص وفتح اللاذقية وجيلة وانقرسوس

(ولما رأى هرقل تقدم العرب السريع سير ثمانين ألفا إلى أنطاكية وقيسارية وكان جبلة بن الأيهم الغساني على مقدمة جيوش الروم وفي جيش من قومه يبلغ عشرين ألف مقاتل واجتمع كثير من جموع أهل الشام للدفاع عن أوطانهم)

ولما علم أبو عبيدة بهذه الجموع رجع إلى دمشق وكتب بذلك إلى عمر فأمره
بثمانية ألف مقاتل فهزموا الروم شر هزيمة ثم توجه أبو عبيدة إلى بيت المقدس
فحاصرها أربعة أشهر فطلب بطريقها صوفارينوس من أبي عبيدة أن يكون
الخليفة هو المصالح له فأخذ عليهم المراثيق بذلك وكتب إلى عمر فخرج من المدينة
والا وصل إلى دمشق نزل الجابية من أرضها وجعل خالدًا على مقدمته وأدناه منه
وأمره ثم سار إلى بيت المقدس ففتحها صلحا وكتب لهم بذلك كتابا بهذه صورته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دماءكم
وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن أحدثكم حدثا عاما وأشهد شهودا
عليه ثم إنه دخل المدينة وزار كنيسة الغمامة وأقام عشرة أيام ألقى في أذنائها
أساس مسجد على شكل هيكل سليمان عليه السلام وهو المسمى بمسجد عمر وكان
ذلك سنة ست عشرة وفي سنة سبع عشرة حج عمر بالناس وعمر المسجد الحرام
وزاد فيه (وفيها) حصل قحط بالمدينة وصارت القواد ترسل الأقوات إليها ثم
خف الضيق وكان قوم قد أرادوا احتكار الأقوات فنهاهم عمر عن ذلك .

وبعد فتح بيت المقدس انقسمت عساكر الاسلام إلى قسمين قسم بقي في
فلسطين صحبة عمرو بن العاص والآخر وهو الأكبر ذهب إلى أنطاكية وحب
صحبة أبو عبيدة وخالد وقاسرا أهوا الاشديدة في حصار حلب ثم استولى المسلمون
عليها بعد حصارها خمسة أشهر ماعدا قلعتها وكان بها بطريق شجاع ذو مكانة عالية
في الدولة الرومانية فأراد أبو عبيدة تركها فلم يرض عمر بذلك وبنيت محاصرة
إلى أن فتحت على يد دامس الشجاع من موالى ملوك كندة وفتحوا أيضا مرس
وقنشرين ثم فتحوا أنطاكية صلحا بعد قتال قليل وكانت مدينة عظيمة اتخذها
الإسكندر مقرا له وكذا خلفاء ملوك الروم بالمشرق وكان بها نحو سبعمائة نفس

داخل السرور وكان فتحها سنة ثمانية عشرة هجرية وفتحت قيسارية أم ولايات
قسطنطين الثالث وكان على حصارها معاوية بن أبي سفيان وكان بها وقت الحصار
قسطنطين بن هرقل ومعه أربعون ألفا من الجنود فر إلى القسطنطينية وترك هرقل
بلاد سوريا كلها للعرب لما رأى بطشهم وقوتهم وعلم أنهم قوم لا يغلبون وبعد
أن تملك العرب لبنان استولوا على طرابلس وصور بغاية السهولة ووجدوا في
مرسأهما خمسين سفينة محملة ذخائر وأقواتا وأمر الأماوية كثيرة كانت للروم ودمارت
جزيرة وعسقلان والرملة ونابلس وعكا وصيدا للعرب ودخلت سورية بأجمعها في
قبضة المسلمين وفي ثمانية عشرة هجرية أيضا حصل طاعون عمواس ومات به من
المسلمين خمس وعشرون ألفا ومات به أبو عبيدة رضى الله عنه وكان عمر بن
الخطاب قد حضر إلى الشام عند منصرفه من الحج فلما بلغه تزايد الطاعون رجع
وكلفه أبو عبيدة بقوله فرارا من قدر الله ياعمر قال نعم أفر من قدر الله ومات
خاله بعد أبي عبيدة بثلاث سنين وكان من أشجع القواد وأشهرهم .

ومن تأمل فتح المسلمين لبلاد الشام جميعها في ست سنين أخذه العجب
والاندهاش مع أن تلك البلاد كانت تابعة لدولة الروم القوية البطش العريقة
في الحضارة وكانت جميع مدنها مملوءة بآلات الدفاع غاية في المنعة وبذلك يرد
على من قال إن العرب إنما أخضعت الأمم التي لا مدنية لها ولا استعداد عندها

افتتاح بلاد الفرس وغيرها

لم تكن العرب تكتمى بفتح بلاد الشام وحدها فانه بينما كانت جيوشهم
تتقدم منصورا ببلاد سوريا وفلسطين كانت لهم كذلك عدة جيوش ببلاد الفرس
وال عراق والجزيرة لأن عمر رضى الله عنه لما جلس على كرسي الخلافة أرسل
سعد بن أبي وقاص للحرب على الفرس ثلاثين ألف جندي وسار حتى نزل

يسهول القادسية بجواز المكان الذي شيدت فيه مدينة الكوفة فتوافقتل مع الفرس قتالا شديدا عدة أيام وكانت جيوشهم تزيد عن مئة ألف جندي تحت قيادة رستم أحد مشاهير قوادهم وكان ذلك في عهد يزيد جزد بن ابرويس فصدم المسلمون الفرس في اليوم الرابع وكانت الريح شديدة وعشى الغبار أعين الفرس فنشبتوا وقبض على رستم قائدهم أثناء فراره وقتل ومات من الفرس في هذه الوقائع نحو أربعين ألفا ومن العرب ثمانية آلاف وخرج مائة وخمسة وعشرون ألفا ووقع تاج كسرى ومنطقته ودرعه في يد العرب وكانت مملكة بالجزاهر واستولوا على بساطه وكان طوله ستين ذراعا في مائة وكان على هيئة روضة رسمت عليها الزهور وأنواع الطير بالجواهر على قضبان من الذهب فبعث به سعد إلى الخليفة عمر ففرقه على المسلمين وأصاب على بن أبي طالب منه قطعه باعها بعشرين ألف درهم.

ثم وقعت بلاد العراق كلها أي أرض الأشريين في يد العرب ورسموا هناك مدينة البصرة عند ملتقى الدجلة والفرات ثم قطع سعد الفرات وتملك المدائن وكانت عاصمة الفرس وكانت من أعظم مدن العالم ولم يبق منها الآن شيء إلا قبر قائم في الصحراء وتقدم جيوش المسلمين نحو جلولاء وكان بها يزيد جزد ملك العجم فرحل عنها وأخذها المسلمون وفتح المسلمون أيضا تكرب والموصل والأهواز في السنة السابعة عشرة من الهجرة واختطوا مدينة الكوفة وتحول سعد إليها ووجد بالمدينة أموالا لا تحصى كثيرة وبعد أن استولى العرب على بلاد العجم لم يبق بينهم وبين بلاد الترك غير نهر جيحون فعبروه وقتلوا ما وراءه من بلاد الترك وقصد بعض قوادهم بلاد الهند واخضعوا سواحلها وكان عتبة ابن عزوان يغزو البلاد التي بين جيحون وشط العرب ودخلت بخارى وسمرقند وغيرهما في الإسلام واستمر المسلمون يفتحون ويتقدمون ببلاد الفرس

تحت قيادة عمار بن ياسر حتى تقابل ببلاد نهاوند مع جيش الفرس نحو مائة وخمسين ألف جندي فهزمه المسلمون شهزيمة وكان ذلك سنة ٢١ هجرية وفيها أيضاً فتحت أصفهان وهمزان وتوفي خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وفي سنة اثنتين وعشرين هجرية فتحت أرزويجان والري وجرجان وقزوين وطبرستان وغزا الأخنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد وافتتح هزاد عنوة ومع هذا كله فإن يزدجرد لم تنزل فيه روح الأمل في استرجاع دولته ولذلك قد طلب المساعدة من ملك الترك وملك الصين فأمداه ومع ذلك فإن جيوش العرب قد هزمته فلم يجد له سبيلاً إلى كونه ولي مدبراً بمن معه من خواصه وبقي إلى أن قتله أحدهم عند نهر مرغاب وبموته انتهت دولة آل ساسان وكانت هذه الفتوحات الكشيرة في المدة القصيرة تعد من خوارق العادات ومن الغرابة بمكان فما أعجل من هذه الفتوحات حتى قال بعض المؤرخين من الأفرنج ما نظرت عين ولا سمعت أذن بأسرع براح وأعجل نجاح من فتوح هؤلاء العرب البلاد فقد فتحوا أولاً بلاد الشام ثم فلسطين ومصر وأفريقية ثم تغلبوا على مملكة فارس في أقرب وقت وأسرع حركة ولا يجمل ذلك على مجرد ما أشربت به قلوبهم من الحمية الدينية والشجاعة العربية بل أنهم كانوا من قديم الزمان معروفين بين الأمم بأنهم أمهر من حمل السلاح واعتقل الرماح من أهل الأرض جميعاً.

فتوح مصر وأفريقية من سنة ثمانية عشرة إلى عشرين هجرية

لما رأى هرقل ما حل بسورية وغيرها من ممالكه خاف على ما بقي منها ولا سيما مصر فعقد بينه وبين الخليفة عمر رضي الله عنه معاهدة مضمونها أنه يدفع جزية سنوية معلومة في أوقات معينة من السنة في مقابل ترك المسلمين مصر له ولما لم تكن هذه الجزية تدفع في أوقاتها وبالقدر المعين اعتبر الخليفة تلك

المعاهدة ملغاة .

وكان عمرو بن العاص يرغب الخليفة في فتحها كثيرا ويقول له أنك إذا
افتتحت مصر كانت عوناً للمسلمين وقوة لهم وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجز
عن القتال .

ولم يزل به حتى رضى وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد حضر إلى مصر
في وقت الجاهلية وبشر بأنه يكون ملكاً عليها في حكاية مشهورة حكاهما
السيوطي في كتابه المسمى بحسن المحاضرة في أخبار مصر والناهرة قال لما
كانت سنة ثمانية عشرة وقدم عمر بن الخطاب إلى الجابية خلا به عمرو بن العاص
ورغبه في فتح مصر لأنه قد كان حضر إلى الشام أيام الجاهلية في تجارة في الإبل
مع نفر من قريش وإذا بشماس كان قد قدم من مصر من شمامسة الروم من
أهل الإسكندرية ليصلي في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها ينيح وكان عمرو
ابن العاص يرعى إبله وإبل أصحابه وكانت رعية الإبل نوبا بينهم ، فبينما عمرو
يرعى إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه ظمأ شديد في يوم شديد الحر فوقف
على عمرو واستسقاها فسقاها من قربته له فشرب حتى روى ثم نام الشماس في مكانه
وكان إلى جانب الشماس حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصرها عمرو فقتلها
فلما استيقظ الشماس نظر إلى الحية العظيمة التي نجاه الله منها بسبب عمرو فأقبل
إلى عمرو وقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة
من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل
من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو أن تصيب من تجارتك قال رجائي أن
أصيب ما أشتري به بعيراً فاني لا أملك إلا بعيرين فأملئ أن أصيب بعيراً آخر
فيكون لي ثلاثة أبعرة فقال له الشماس رأيت لدية أحدكم بينكم كم هي قال
مائة من الإبل فقال له الشماس أصحاب إبل نحن أصحاب دنانير قال عمرو نكون

ألف دينار فقال له الشمساس انى رجل غريب فى هذه البلاد وإنما قدمت أصلى
فى كنيسة بيت المقدس وقد قضيت ذلك وانى أريد الرجوع إلى بلادى فهل
لك أن تنبغنى إلى بلادى ولك عهد الله أن أعطيك ديتين لأن الله تعالى أحيانى
بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية
فقال له عمرو أنا لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال الشمساس لو دخلتها لعلمت أنك
لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفى لى بما تقول وعليك العهد والميثاق فقال
له الشمساس نعم إنى أوفى لك وأردك إلى أصحابك فقال له عمرو كم يكرون مكشى
فى ذلك قال شهر تنطلق معى ذاهبا عشرا وتقيم عندنا عشرا ونرجع فى عشر
ولك على أن أحفظك ذاهبا وأبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو وانتظرنى
حتى أشاور أصحابى فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه الشمساس وقال
لا تخرجوا وأقيموا حتى أرجع إليكم ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن
يصحبنى منكم رجل آنس به فأجابوه وبعثوا معه رجلا منهم .

فانطلق عمرو وصاحبه مع الشمساس إلى مصر حتى انتهى إلى الاسكندرية
فرأى من عمارتها وكثرة أهائها وما بها من الأموال ما أعجبه وقال ما رأيت مثل
مصر قط .

ووافق دخول عمرو بن العاص الاسكندرية يوم عيد عظيم يجتمع فيه
ملوكهم وأشرفهم ولهم كرة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم وعظماؤهم وأبناء
ملوكهم ويتلقونها بأكرامهم وفيما أخبروا عن تلك الكرة أن من وقعت فى كفه
لم يمت حتى يملكهم فأقبلت تهرى حتى وقعت فى كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا
ما كذبتنا هذه الكرة قط إلا هذه المرة، أترى أن هذا الاعرابى يملكنا هذا
لا يكون أبدا وإن الشمساس قد خفضهم حتى انصرفوا عن عمرو وأعلمهم أنه
أحياه مرتين وأنه قد ضمن له ألفى دينار وسألهم أن يجمعوا له ذلك فيما بينهم

ففعّلوا ودفعوها إلى عمرو وبشره بأن هذه الكفرة لم تكذب أبدا فأخذ عمرو العجب واستغرب كيف يكون له ذلك؟ ثم انطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما وأكرهما حتى رجع عمرو ومن معه إلى أصحابه فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم أنها من أفضل البلاد وأكثرها مالا ولما رجع إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفا فكان ذلك أول ما تأمله ولما أكرمه الله بالاسلام وفتح على يديه كثيرا من أرض الشام مالت نفسه إلى فتح مصر ورجاء أن يتحقق له وقوع الكفرة في كفه مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صحرا وذمة .

ولم يزل بالخليفة حتى اذن له بالمسير وقال له سر وإني مستخير الله في سيرك وسيأتي إليك كتابي سريعا إن شاء الله تعالى فان أدركك وكنت قد دخلت مصر أو شيئا من أرضها فانصرف عنها . فسار في جوف الليل ومعه أربعة آلاف ممن رغب التوجه معهم إلى فتحها ولم يشعر به أحد من الناس حتى وصل رفح (قرية قريبة من العريش) فأدركه رسول الخليفة فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول وصار يحاوله حتى أمسى فسأل أين نحن فقيل بالعريش فتمال وفي أي أرض هي فقيل له في أرض مصر فحمد الله وأمر بالميت وتناول الكتاب حينئذ وقرأه ولما أصبح الصباح تلاه على الحاضرين بصوت عال وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عليه سلام الله وبركاته أما بعد فان أدركك هذا وأنت لم تدخل مصر فارجع عنها وإن أدركك وقد دخلتها أو شيئا من أرضها فامض لوجهك واستنصر الله بنصرك واعلم أني بمدك)
ثم قال عمرو

هلهوا بنا إلى طاعة أمير المؤمنين وكان جيشه يزداد بمن ينضم إليه من العرب
أثناء سيره وأول مدينة قاتل فيها هي مدينة الفرما قاتلت الروم قتالا شديدا نحو
شهر ثم فتحها الله عليه وكان على ميمنة عسكره عبد الله بن سعد منذ خروجه
من قيسرية إلى أن قرب من أرض ممر ثم سار عمرو بن العاص ولم يكن
يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى مدينة بلبليس فحاصرها نحو شهر ثم فتحها
وكان بها بنت المقوقس أرمانوسة. ولما استولى على المدينة سيرها إلى أبيها معززة
استجلا بالوده ففرح أبوها بذلك غاية الفرح، ثم ثار عمرو وما زال يسير حتى
مر بجانب المقطم فاشرف على حصن بابل أو باب اليوق على ضفة النيل الشرقية
ومكانه الآن مكان قصر الشمع وكان حصنا حصينا يزيد النبل منعة وأمامه
جزيرة الروضة وبينهما جسر من الخشب فأمر عمرو ببناء الخيام فيما بين
الحصن والمقطم وكان في ذلك الحصن جنود الروم وقد تأهبوا للدفاع ومعهم
المقوقس وكان عاملا من قبل الروم على مصر العليا واتخذ هذا الحصن مركزا للدفاع
واستمر عمرو في المهاجمة فأبطأ عليه الفتح فكتب إلى الخليفة يستمده فأمده
بأربعة آلاف عليهم أربعة من كبار القواد وهم

المقداد بن الأسود والوزير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد
وقيل الرابع هو خارجة بن حذافة ومعهم كتاب من الخليفة يقول فيه قد انفذت
إليك أربعة آلاف على كل ألف منهم رجل مقام ألف فصار معك اثنا عشر ألفا
(لأنه كان قد أمده بأربعة آلاف أخرى بعد فتح بلبليس) ولا تغلب اثنا عشر
ألفا من قلة وكان الروم قد خندقوا عليهم وأتموا بالخندق حساك الحديد فصارت
العرب تهاجم الأعداء حتى اضطروهم إلى الالتجاء لداخل الحصن وصارت
العرب محيطة بهم من ثلاث جهات واستمر الرمي بالسهم مدة وشدد المسلمون
الحصار وسلطوا المنجانيق على الحصن وتخابروا مع المحصرين في التسليم ويقال

إن المقرقس كان ممن يريدون الصلح إلا أنه ليس من وظيفته الاستقلال بذلك بدون مشاورة الروم لأن الاقباط كانوا يكرهون الروم لما هو حاصل بينهما من المناقشة الدينية والخلافات المذهبية ولما تضايق المحصورون تركوا الحصن وعبروا البحر ليلاً وابقوا من يقرم فيه لحفظه حتى ينظروا لهم أمراً بدون علم العرب بذلك ، ولما أبطأ الفتح قال الزبير بن العوام إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح الله علينا ووضع سلماً إلى جانب الحصن وصعد عليه وتبعه القوم حتى كاد السلم أن ينكسر من كثرة الناس عليه فعند ذلك هرب من كان باقياً به من عظماء القبط والروم والجند واستولى المسلمون عليه وكان مكشهم على أبوابه حتى فتحوه سبعة أشهر وقيل غير ذلك وفر من فر ولجئوا إلى مدينة منف وكانت عاصمة مصر العليا وكسروا بعد مرورهم الجسر الخشبي الذى بين الروضة والضفة الغربية وأرسل المقرقس كتاباً إلى عمرو يهدده فيه ويخوفه بأسر الروم له وانهم تجهزوا لقتاله بالعدة والسلاح وينصحه بالرجوع إلى بلاده فأرسل عمرو إلى المقوقس كتاباً يقول فيه إنا لا نقبل إلا إحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو القتال حتى يحكم الله ثم إن المقوقس أرسل يطلب من عمر رسلاً ليتخابروا فى أمر الصلح فأرسل عمرو عشرة رجال أحدهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون وجعله متكلم النوم وبعد أن تكلم مع المقوقس بفصاحة تامة وأظهر له مطلوبه رجع مع أصحابه بعد جدال طويل مع المقوقس كانت نهايته أن رضى بدفع الجزية هو وأصحابه حيث لا مقدرة لهم على رد العرب. ثم اجتمع المقوقس مع عمرو فى مكان معين لأمضاء شروط الصلح ومضمونها الأمان لاهل مصر على أنفسهم وعيالهم وأموالهم وكافة متعلقاتهم وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا رأيهم على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم وكذلك من دخل فى صلحهم من الروم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه

وأنهم لا يمنعون من تجارة صادرة أو واردة إلى آخر العهد ولما تم الصلح كتب المقرقس إلى ملك الروم يعلمه فلم يقبل وكتب إليه يقبل رأيه ويقول إن ما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من القبط ما لا يحصى فإن كان القبط قد فضلوا العرب علينا أو كرهوا قتالهم فإن عندك بمصر والأسكندرية من الروم أكثر من مائة ألف

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً لمن بمصر من الروم أما المقرقس فلم يرض أن ينقض عهده وأخبر عمرأ بذلك قائلاً إني نصحت لهم فاستغشروني فلا تجيبهم إلى ما جبتني إليه وإنما سلطاني على نفسي وعلى من أطاعني وتم صاح القبط بذلك وكتب عمرو للخليفة بذلك الصلح فأجابه منشطاً له وسأله أن يصف له مصر ثم سار عمرو إلى الأسكندرية للاستيلاء عليها وكانت في غاية المنعة والتحصين ومحوطة بالبحر وبحيرة مريوط

قال بعض المؤرخين وكانت العرب تهجم على السور والقلاع هجومًا قريباً مارؤى مثله وكان عمرو يعرض نفسه للخطر مراراً حتى دخل هذه المدينة مرة في إحدى هجماته ولولا ذكاء خادمه لقتله حاكمها، وبعد حصارها أربعة عشر شهراً وفقد عدد عظيم منهم استولوا عليها سنة ٢٠ هجرية الموافق لسنة ٦٤٠ م ولما فتحت الاسكندرية أرسل عمرو إلى الخليفة يقول له لقد فتحت مدينة المغرب العظيمة ولا يقدر على تعداد ما فيها من الأموال أحد وبالاختصار فإنها تحتوى على أربعة آلاف حمام وأربعمائة ملهى واثني عشر ألف يهودي يؤدون الجزية وإنها فتحت عنوة دون شروط

فأرسل له عمر رضى الله عنه بمنع النهب والسلب وبأن تؤخذ الجزية وبعد هذا بقليل مات هرقل وقيل إنه مات غماً وهاج شعب النسطونية لانتقطاع الأقوات التي كانت ترد عليهم من الأسكندرية وحكم المجلس بتجديد الحرب

على العرب وأرسلوا لذلك الغرض جيوشا كثيرة فلم يتم كنوا من شيء وطردها بعد
إن المت بهم خسائر كثيرة ولما فتحت الاسكندرية كان لم يزل بها بعض بقايا
دار كتب قديمة يزعم بعض المؤرخين أن عمراً أحرقها بأمر الخليفة وهذا
خطأ فإن حرق الكتب كان عند محاصرة يوليوس قيصر لها مدة البطلة .

ولما تم الأمر لعمر و بمصر أجرى فيها مناهل العدل ورفع المكوس والمظالم
ووصل النيل بالبحر الأحمر تسهيلا لنقل البضائع إلى بلاد العرب .

ولما عاد عمرو من الاسكندرية بنى مدينة الفسطاط وجعلها عاصمة الديار
المصرية وبنى بها مسجده المعروف باسمه الى الآن وسبب تسميتها بذلك أن
عمراً لما أراد التوجه لفتح الاسكندرية أمر برفع خيمته أى فسطاطه فأخبر أنه
باضت فيه يمامة وأفرخت فأمر بتركها إكراما لها وأبقى من ليس له قدرة على
القتال من جنوده عنده ولما فتح الله الاسكندرية على يديه ورجعوا منها إلى مصر
قالت له جنوده فى أى جهة تنزل قال حيث تركت الفسطاط فنزلوا هناك وبنوا
بها دورهم ولم تنزل تزداد حتى صارت مدينة عظيمة وسميت بالفسطاط لذلك
وتعرف الآن بمصر القديمة .

وكانت للقبط عادة سيئة وهى أنهم كانوا يرمون كل سنة عروسة مزينة
بالحلى من أبناءهم ويعتقدون أن النيل لا يتم زيادته الا بذلك فلما جاءت زيادته
تأخر عنها وهموا بالرحيل وأخبروا عمرا بذلك فقال إن هذه عادة سيئة لا يصح
أن تكون فى الاسلام وأخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة لعمر وجوابا وأمره
أن يلقيه فى النيل إذا حضر إليه وهو : من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك
أما بعد : فإن كنت تجرى بأمرك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى
يجريك فأجر بأذن الله الواحد القهار فلما وضع فى النيل فى يوم مشهور جرى
بأكثر ما يكون فى غالب السنين بقدره الله تعالى وبركة أمير المؤمنين عمر رضى

الله عنه وأبطلت هذه العادة السيئة من هذا الوقت وبقيت مصر من ذلك الحين تخفق عليها راية الاسلام ويرسل إليها الخلفاء العمال من قبلهم إلى أن ضعفت شوكتهم لفتد هم العصية العربية وتمليكهم المالك في جميع أنحاء الدولة فخلعوا طاعة الخلفاء وقام كل واحد يدعو نفسه ساطانا ومنعوا دفع الخراج إلى الخلفاء فابن طباطبا تغلب على حلب وابن بويه تغلب على فارس وأحمد بن طولون تغلب على مصر .

فتح برقة وطرابلس الغرب

ولما تم لعمر بن العاص فتح مصر والاسكندرية سار إلى برقة فصالحه أهلها وتقدم إلى طرابلس الغرب وفتحها عنوة .

(فصل)

في موافقة عمر رضي الله عنه للقرآن الشريف في مواضع كثيرة

قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين . إخراج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن، وأخرج ابن عساکر عن علي قال إن في القرآن لرأيا من رأى عمر وأخرج عن ابن عمر مرفوعا ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وأخرج الشيخان عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قالت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وأخرج مسلم عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم ، ففي هذا الحديث خصلة رابعة وفي التهذيب للنووي نزل القرآن بموافقة

في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر فزاد خصلة خامسة
وحديثها في السنن ومستدرک الحاكم أنه قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فانزل الله تحريمها وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال قال عمر
وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية « ولقد خلقنا الانسان من سلاله
من طين » الآية فلما نزلت قلت أنا تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت
فتبارك الله أحسن الخالقين فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة وللحديث
طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند، ثم رأيت في كتاب فضائل
الأمامين لأبي عبد الله الشيباني قال وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضع
فذكر هذه الستة وزاد سابعاً قصة عبد الله بن أبي قلت حديثها في الصحيح عنه
قال لما توفي عبد الله بن أبي دعا رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه فقمت
حتى وقعت في صدره فقلت يا رسول الله أو على عبد الله ابن أبي القائل يوم
كذا وكذا فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على أحد منهم مات
أبدا وثأنا يسألونك عن الخمر الآية وتاسعا يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
الآية قالت هما مع آية المائة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق، وعاشرا
لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم فانزل الله
« سواء عليهم أستغفرت لهم » الآية قالت أخرجه الطبراني عن ابن عباس الحادي
عشر لما استشار ﷺ الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج فنزلت
كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية الثاني عشر لما استشار الصحابة في قصة
الأفك قال عمر من زوجكما يا رسول الله قال الله قال أنتظن أن ربك دلس
عليك فيها سبحانه هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك الثالث عشر تصمه في الصيام
لما جامع زوجته بعد الانتباه وكان ذلك محرما في أول الإسلام فنزل أحل لكم
ليلة الصيام الآية قلت أخرجه أحمد في مسنده الرابع عشر قوله تعالى من كان

عدوا لجبريل الآية قلت أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عدة وأقربها
للهمرافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن عن أبي ليلى أن يهودياً
لقي عمر فقال إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال له عمر من كان عدو
الله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين فنزلت على
سان عمر. الخاهس عشر قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية قلت أخرج
قصتها ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الاسود قال اختصم رجلان إلى
النبي ﷺ فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا
إليه فقال الرجل قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال ردنا إلى عمر فقال
أ كذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فخرج إليهما مشتملا على
سبعة فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول الله قتل
عمر والله صاحبي فقال ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن فأنزل الله
فلا وربك لا يؤمنون الآية فأهدر دم الرجل وبرىء عمر من قتلته وله
شاهد موصول أوردته في التفسير المسند السادس عشر الاستئذان في الدخول
وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية
الاستئذان — السابع عشر قوله في اليهود أنهم قوم بهت النامن عشر قوله تعالى
ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قلت أخرج قصتها ابن عساکر في تاريخه عن
جابر بن عبد الله وهي في أسباب النزول التاسع عشر رفع تلاوة الشيخ والشيخة
إذا لبا الآية - العشرون قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان لا تجيدنه
فوافق رسول الله ﷺ قلت أخرج قصته أحمد في مسنده قال ويضم إلى هذا
ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية من طريق ابن
شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال وبلى لملك الأرض من ملك
السماء فقال عمر إلا من حاسب نفسه فقال كعب والله الذي نفسى بيده إنها في التوراة

لتابعها نخر عمر ساجدا ثم رأيت في الكامل لابن عدى من طريق عبد الله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر ان بلالا كان يقول إذا أذن أشهد أن لا إله إلا الله حتى على الصلاة فقال عمر قل في أثرها أشهد أن محمد رسول الله فقال صلوات الله وسلامه قل كما قال عمر

في صفات عمر رضى الله عنه

كان عمر رضى الله تعالى عنه صاحب فضل وزهد وعدل وشفقة على الناس وكان كريما محسناً للفقراء وهو أول من لئب بأمر المؤمنين كما تقدم وهو أول من أرخ بالسنة الهجرية على المشهور وأول من عس بالليل ودون الدواوين واستقضى القضاة وفضائله رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفي عهده اتسع نطاق الاسلام وخضعت الفجرة اللثام وقربت شركته . بما فتحه من الجهات الكثيرة حتى سامى السماء رفعة وكانت خلافته رضى الله عنه زهرة تاريخ الاسلام حتى قال بعض المؤرخين إن العرب قد افتحروا في مدته ستة وثلاثين ألف مكان ما بين مدن وقرى وقلاع وحصون وهدموا أربعة آلاف هيكل واقاموا الفين ومئتي جامع وكان من أعظم أهل السياسة وأحكم رجال الرياسة والكياسة وكان رضى الله تعالى عنه يجب استدامة العمل ومن وصاياه التنبيه على الناس وقت السلم باتباع إحدى الحرف الثلاث وهى الزراعة والتجارة والصناعة ويروى عنه أنه مر على قوم وجدهم جلوسا بفناء الكعبة لا عمل لهم فعلاهم بالدرة التى بيده وقال اعملوا فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكانت وفاته يوم السبت سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية ومات رضى الله عنه شهيدا من أبى لؤلؤة فيروز عبد المغيرة بن شعبة وكانت مدة خلافته عشرين سنة وستة أشهر وثمانية أيام واختلف في سنه .

قال ودفن عند النبي صلوات الله وسلامه وأبى بكر رضى الله عنهما وعهد بالخلافة إلى النفر

الذين مات رسول الله ﷺ وهو راض عنهم وهم علي وعثمان وطاحه والزبير
وسعد وبعد أن عرضها على عبد الرحمن ابن عوف فلم يقبل ووردت في فضله
رضي الله عنه أحاديث كثيرة قد ذكرت غالبها تاركا ذكر الرواة تسهيا واختصارا
مشها قوله ﷺ اللهم أعز الاسلام بأحد هذين الرجلين اليك يريد عمر بن
الخطاب أو أبا جهل فدخل عمر الاسلام فكان هو أحب الرجلين
إلى الله تعالى ومنها قوله اللهم اجعل الحق على لسان عمر وفي قلبه فاستجاب الله
دعاه في ذلك ومنها قوله إن الشيطان لم يلق عمر بوجه بعد أن أسلم إلى آخر
عمره ومنها قوله إن الله يباهي ملائكته في السماء للناس يوم عرفه وبباهيهم
بعمر خاصة وما في السماء ملك إلا وهو يرقر عمر وما في الأرض شيطان إلا
وهو يفر من عمر ومنها قوله إن كان في الأمم قبلكم محدثون فإن كان في أمتي
محدثون فمرو عمر بن الخطاب ومنها قوله داعيا لعمر اللهم اخرج ما في قلب عمر
من علة واملاه حكمة وإيمانا ومنها قوله أن الله جعل السكينة في قلب عمر يقول بها
قوله ومنها قوله لو كان في أمتي نبي لكان هو عمر بن الخطاب ومنها قوله الحق
بعدي مع عمر حيث كان ومنها قوله أمرت من ربي أن أعرض القرآن على عمر
ومنها قوله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين خير من عمر ومنها قوله
إذا مات عمر فإن شئت أن تموت فمت ومنها قوله إن باب الفتن مغلق ما بقي
عمر فإن مات فتتح باب الفتن على الناس ومنها قوله بينما أنا نائم إذ أتيت بقدر فشربت
مئة ثم أتى بعمر فشرب بفضله قالوا ما أولت ذلك يا رسول الله قال العلم ومنها
قوله لعمر لا أحرمني الله من دعائك يا عمر لأن دعائك مقبول عند الله تعالى .
هذا بعض ماورد من الأحاديث في فضل عمر وإني قد تركت كثيرا منها
لمشابهتها ودلالاتها على مثل هذه المعاني وقد ورد في فضله هو وأبو بكر أحاديث
كثيرة وقد تقدمت كتابتها

واختلف في سنه فقيل ستون وقيل ثلاث وستون وقيل خمس وخمسون

مهرفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الخليفة الثالث بعد النبي صلى الله عليه وسلم بويع له بالخلافة ثلاث ليال مضت من المحرم سنة ٢٤ هجرية وكانت توليته بعد وفاة عمر رضي الله عنه

وذلك أن عمر لما رأى خطر أمره عهد بالخلافة بعده للنفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فلم يقبل كما سبق ذلك

وكان الصحابة رضي الله عنهم أرادوا من عمر أن يعهد بالأمر بعده لولده عبد الله فقال حسب قوم وجر د من تحمل حملا ثقيلًا كهذا وكفى بنو الخطاب ما حملوا وأود أن يخلفهم غيرهم وبعد موته اجتمع أهل الشورى وهم على عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وكان عمر قد شرط عليهم أن يكون ابنه شريكاً لهم في الرأي ولا حظ له في الخلافة وجعل لهم مدة الشورى ثلاثة أيام وقال لهم لا يمضي اليوم الرابع إلا ويكون لكم أمير وإن اختلفتم فكونوا مع الذين يكرن معهم عبد الرحمن بن عوف ثم اتفقوا في اليوم الرابع على أن يختار عبد الرحمن منهم رجلاً فخلا بعلي وقال له لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسير أبي بكر وعمر فقال له أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت واعمل مبلغ علي وطاقتي فتركه وخلا بعثمان وقال له مثل ما قال لعلي فقال عثمان أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فصفق عبد الرحمن على يد عثمان وبايعه وخرج والناس يهتفون بالخلافة

فلما تم لعثمان الأمر صعد على المنبر وجاس محل رسول الله ﷺ فتكلم
الناس في ذلك وارتج عليه ولم ينطق بكلمة وقيل إنه قال بعد أن حمد الله وأثنى
عليه أيها الناس إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم إلى امام
عادل أخرج منكم إلى إمام يشقق الخطب وإن أول كل أمر صعب وإن عشت
فسأتينكم بالخطب ثم نزل

أقراره عمال عمر سنة ثم تغييرهم بعد ذلك

ثم انه أقر عمال عمر سنة تنفيذاً لوضيته ثم عزلهم بعد ذلك وغيرهم بمن
أراد فعزل عمرو بن العاص عن مصر الذي فتح سوريا ومصر وبعض بلاد المغرب
واعتاضه بعبد الله بن سعد بن أبي صرح العامري أخى عثمان في الرضاع سنة
ست وعشرين هجرية

وكان ذلك سبب العداوة والبغضاء بين عثمان وعمرو بن العاص وقال عثمان
لعمر بن العاص لما قدم عليه كيف تركت عبد الله فقال له كما أحببت قال وما
ذاك قال قوى في نفسه ضعيف في ذات الله تعالى فقال له لقد أمرت أن يتبع
أثرك قال لقد حملته شططا (وفيها) وسع أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه
المسجد الحرام واقتنح المغيرة بن شعبة همدان والرى .

وكان عثمان قد جهز عبد الله المذكور بأربعين ألفا حين وجهه إلى مصر
وأمره بالسير إلى بلاد المغرب فسار إليها وبعد مدة وصل إلى نواحي طرابلس
وافتحها سنة ست وعشرين وكانت قد اجتمعت عليه هناك أهالى البلاد بأموالهم
وجاءته عساكر الروم فغزاهوا وظهر بها ثم قدم البطريق غريغوريوس (جرجيس)
وكان واليا على الأقطار التي بين طرابلس وطنجة في مراکش من طرف ملك
الروم ومعه مائة وعشرون ألفا وعدد عظيم انضم إليهم من الأهالى وتجدد القتال

ودام أياما متوالية كل يوم من الصباح إلى الظهر حتى تشتد الحرارة وكان
عبد الله المذکور تنحى عن الحرب وترك إمرة الجنود إلى غيره ولما طال أمر
الحرب أمر عثمان عبد الله بن الزبير أنرس أهل زمانه بالمسير إلى تلك الجهات
ومعه اثني عشر ألفا ولما وصل إلى الجنود الاسلامية تقابل مع أميرها الذي
اعتذر عن تنحيه من الحرب بتخالف الأعداء على قتله وفي اليوم الثاني صدم
ابن الزبير بعسكره عساكر غريغوريوس فهزمهم وقتله ابن الزبير بنفسه ولما قتل
هربت بتيمة عساكره إلى مدينة شيطله في تونس وكانت مدينة جميلة واسعة قوية
فحاصرها ابن أبي صرح حتى فتحها وصار بين العرب وبين قرطاج مائة وخمسون
ميلا ولم يمنعهم عن فتحها إلا ما لحقهم من التعب وموت كثير منهم في الحرب
وقرطاجة هذه كانت أول مدينة بحرية وكانت بقيت تحت حكم إيطاليا مدة مائة
سنة ثم تغلب عليها الرومان فحرقوها وتحالفوا على بقائها خربة ولغزوا كل من
أقام بها حجرا ثم أعادوا بناءها بأنفسهم .

ولما رأى الأغريقيون قوة العرب صاروا يترادون عليهم إما لطلب الصالح
أو لدفع جزية معينة أو الدخول في دين الاسلام ثم رجع العرب إلى مصر
بالأموال السكثيرة والغنائم العظيمة بعد أن غابوا عنها خمسة عشر شهرا وكانوا
قد صالحوا أهل إفريقية على مليون ونصف من الدنانير وبعد أن دفعوا الخمس
لبيت المال فرقوا ما بقى على العساكر وأرسلوا إلى عثمان يبشرونه بنصرهم وأرسلوا
له ما جعل لبيت المال وقدره خمسون ألف دينار ووجه عبد الله بن سعد بن أبي
صرح جيشا إلى بلاد النوبة فسألوهم الموادة والصالح فأجابوا ورجع الجيش
بعد أن فرضوا عليهم جزية سنوية وأمر عثمان عبد الله بن نافع أن
يسير إلى الاندلس ويغزو تلك الجهات فغزاها وعاد إلى إفريقية فأقام بها أميرا
من طرف عثمان ورجع عبد الله بن أبي صرح إلى مصر .

واستأذن معاوية بن أبي سفيان عثمان سنة سبع وعشرين هجرية بغزو الروم في البحر فأذن له فسير معاوية جيشا إلى قبرص وسار إليها أيضا عبد الله بن سعد من مصر واجتمعوا بها وقتلوا أهلها ثم اصطلحوا بعد عدة وقائع على دفع جزية قدرها سبعة آلاف دينار في كل سنة وعزل عثمان أبو موسى الأشعري عن البصرة وولى مكانه ابن خاله عبد الله بن عامر بن كزيب وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وعزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولى مكانه الوليد بن عقبة ثم عزله لعدم حسن سيرته لأنه كان كثير السكر ويدخل في الصلاة وهو سكران ويهزأ فيها بعد ما فتح نيسابور عنوة سنة ثلاثين وفتحت كذلك هراة ومرو والروذ والجرجان والطالقان والغارياب وطخارستان إلى نهر بلخ وافتتح سلمان بن ربيعة الباهلي أرمينية والتفت عساكره مع عساكر خاقان ملك الجزر فقتل سلمان ومن معه من الجند وكانوا أربعة آلاف جندي

وبلغ عثمان رضى الله عنه ما وقع في أمر القرآن من أهل العراق وإنهم قالوا لأهل الشام أن قراءتنا أصح من قراءتكم لأننا قرأناه على أبي موسى الأشعري وكذلك أهل الشام أخذوا يعيرون غيرهم ويفضلون قرآنهم وقراءتهم فأمر بإحضار المصاحف التي بأيدي الناس وحرقتها أو سلقها بالماء الحار ثم أمر بإحضار المصحف الذي كان عند حفصة حيث أن الصحابة قد اجتمعوا على صحته ونسخ منه عدة مصاحف وسيرها إلى الامصار للسير على مقتضاها وفي هذه السنة قد سقط من يد عثمان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في بئر أريس وكان من الفضة وهو مكون من ثلاثة أسطر محمد ثم رسول ثم ختم الله وكان يتختم به ويختم به الكتب التي يرسلها إلى الملوك ثم ختم به بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان إلى أن سقط منه في تلك البئر

وفي السنة الثانية والثلاثين غصت خراسان واجتمع أهلها في خلق كثير

فسار اليها المسلمون وفتحوها ثانيا

وبنما عثمان رضى الله عنه مشغلا بالفتح مكلة جيوشه بالنصر والظفر إذ
نقم عليه الناس وكثرت أعداؤه واضداده وتكلموا فيه بزعم أنه آثر أقاربه
وذوى رحمة وبنى الدار والضياع من بيت مال المسلمين ونفى أبا در صاحب
رسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن جميل وآوى الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن
سعد بن أبي صرح طريدى رسول الله ﷺ وكان عثمان هو وقومه من بنى
أمية سألوا أبا بكر فى الحكم بن العاص فلم يأذن لهم ولما ولى عمر سألوه فى
ذلك فلم يأذن لهم وزوج عثمان ابنته لمروان بن الحكم وأمر له بأخذ المال الذى
ورد من افرقية وولى الوليد بن عقبه الكوفة فأحدث فى الصلاة ما أحدث
وعزل أهل الاستحقاق وأقام غيرهم ممن لا يستحقون ذلك من أقاربه وغيرهم
واتهموه أيضا بالخديعة فى أمر ابن أبي صرح عند ما عزله وولى مكانه محمد
ابن أبي بكر وذلك أنه قد اجتمع من أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة
جموع نافذين على عثمان حتى منعوه الصلاة فى المسجد ولزم أهل المدينة بيوتهم
وحاصروه فى داره ثم اتفق على مع عثمان فى اجابة طلب الناس وهو عزل
مروان بن الحكم من كتابته وعزل عبد الله بن سعد بن أبي صرح عن مصر
فأجابهم إلى ذلك وفرق الناس عنه ثم إن عثمان رد مروان إلى وظيفته ثم ذهب
محمد بن أبي بكر إلى مصر ومعه عدد من المهاجرين والانصار فالتقوا فى طريقهم
بعبد على هجين يجهد فقالوا له إلى أين قال إلى عامل مصر فقالوا له هذا هو عامل
مصر يعنون محمد بن أبي بكر فقال بل العامل الآخر يعنى ابن أبي صرح فقتلوه
فوجدوا معه كتابا لعبد الله بن أبي صرح بخط مروان وختم عثمان يقول فيه
إذا جاءك محمد بن أبي بكر ومن معه وأخبرك أنك معزول فلا تقبل واحتل
فى قتله وابطل كتابهم وامض فى عملك

فرجع ومن معه إلى المدينة وجمعوا الصحابة وأطاعوهم على الجواب فسألوا
عثمان عن ذلك فاعترف بخطه وخط كاتبه ولكنه حلف بأنه لم يأمر بذلك
فطلبوا منه أن يسلم إليهم مروان فأمتنع عن ذلك فأزداد حنق الناس عليه فجدوا
في قتاله فأرسل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة أولادهم للذب عنهم
فنسوروا الدار على عثمان محمد بن أبي بكر ورجلان معه ثم قبض محمد بن أبي
بكر على لحيته فقل قعدت مني مقعدا ما كان أبوك يقعه ولو رأى ذلك لاسأه
فتراخت يد محمد بن أبي بكر عنه وقتله أحد الرجلين الذين كانوا معه فترامت هند
امرأته عليه لتدافع عنه فقطعت أصابعها وكان عثمان رضى الله عنه حين قتل صائما
يتلو القرآن في المصحف وكان مقتله ثمان عشر ليلة قد خلت من ذى الحجة سنة
خمس وثلاثين ومدة خلافته ثنتا عشر سنة إلا اثني عشر يوما وأختلف في عمره
بين خمس وسبعين واثنتين وثمانين ومكث ثلاثة أيام لم يدفن لأن محاربيه منعوا
دفنه ثم دفنه على ليلا وكان عثمان قد كتب أثناء محاصرته في داره إلى معاوية
بالشام يسأله القدرم عليه لا غائنه فتوجه إليه في اثني عشر ألف متماثل ثم قال
لهم كونوا في أوائل الشام حتى آتى أمير المؤمنين لاعرف أمره فأتى عثمان وسأله
عن المدد فقال قد قدمت لأعرف رأيك فأتيك بهم ثم رده لياتي بهم فرجع ولم
يعد إليه حتى قتل وكان قتله سببا لفتح باب الفتنة على المسلمين .

(فصل)

في أوامير عثمان رضى الله عنه

قال العسكرى في الأوائل هو أول من أقطع القطائع وأول من حمى الحمى
وأول من خفض صوته بالتكبير وأول من أمر بالآذان الأول في الجمعة وأول
من خلق المسجد وأول من رزق المؤذنين وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال

أيها الناس إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن عشت تأتكم الخطبة
على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله (أخرجه ابن سعد) وأول من قدم الخطبة
في العيد على الصلاة وأول من فوض إلى الناس اخراج زكاتهم وأول من ولي
الخلافة في حياة أمه وأول من اتخذ صاحب شرطه وأول من اتخذ المقصورة في
المسجد خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر هذا ما ذكره العسكري قال وأول ما وقع
الاختلاف بين الأمة نخطأ بعضهم بعضا في زماته في أشياء نقمورها عليه وكانوا
قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطيء بعضهم بعضا فلت بقي من أوائله أنه أول
من هاجر إلى الله بأهله من هذه الأمة كما تقدم وأول من جمع الناس على حرف
واحد في القراءة وأخرج ابن عساکر عن حكيم بن عباد بن حنيف قال أول
منسکر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سموا الناس طيران الحمام والرمي
على الجلاهقات فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني لبث سنة ثمان من خلافته
فقصها وكسر الجلاهقات .

الأحاديث الواردة في فضل

منها قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أنى قد رضيت عن عثمان فارض عنه قال ذلك ثلاث
مرات ومنها قوله إن عثمان يعمل بما يرضيك فارض عنه ومنها اللهم أغفر
لعثمان ما أعلن وما أخفى وما أمر وما أجهر ومنها قوله إن عثمان شبيه بإبراهيم
وإن الملائكة تستحى منه ، ومنها قوله اللهم أغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت
وما أصررت وما أعلنت إلى يوم القيامة ومنها قوله لعثمان بعد وفاة أم كلثوم
وقد بكى عليها عثمان ما يبكيك يا عثمان ولو كان عندي غيرها مائة لازوجتكها
واحدة بعد أخرى حتى لاتقطع مصاهرتي لك ومنها قوله سيقتل أميرى ويعدو
الناس على منبرى ومنها قوله أن سيف الفتنة مغمود مادام عثمان فان قتل لا يغمد

إلى يوم القيامة ومنها قوله إن عثمان سيسفح في سبعين ألفاً من أمتي قد استرجبوا العذاب .

وأني قد تركت كثيراً من الأحاديث الواردة من روايات مختلفة دالة على مثل هذه المعاني .

(فصل)

في الإحاديث الواردة على فضل الثلاثة رضي الله عنهم

منها قوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة هم الأمراء بعده ومنها قوله إذا أنامت ومات أبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت ومنها قوله أبو بكر وزيري وعمر قطعة مني وعثمان مني هم الخلفاء من بعدى .

وهذا الذي ذكرته من الأحاديث الواردة في فضلهم هو بعض ماورد منها لأنني قد تركت كثيراً من الأحاديث المشابهة لهذه الأحاديث من روايات مختلفة .

في حياة الإمام علي رضي الله عنه

هو الخليفة الرابع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة يوم الجمعة لخمس باقيه من ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين هجرية بعد امتناع منه وتأخر عن بيعته نفر قليل سموهم بالمعتزلة ولما تم له الأمر قال له المغيرة بن شعبه يا أبا الحسن لك عندي نصيحة قال وما هي قال أن تبتقي عمال عثمان قال له نعم إلا معاوية فبلغ ذلك الخبر لمعاوية فامتنع عن مبايعته وحصلت بينهما مكاتبات لم نجد نفعاً وكانت عاقبتها الحرب بينهما كما سيأتي وعزل على عمال عثمان إلا أبا موسى الأشعري ومعاوية وولى مصر فيس بن سعد ولما قدمها اعتزلت عنه فرقة كانت عثمانية وأبت أن تدخل في طاعة علي إلا أن يقتل قاتل عثمان وكانوا ببلدة خربت

المعروفة الان بنجر بتما وكانت نحو عشرة آلاف وبعد أن بايعه طلحة والزبير
ذهب إلى مكة ولحق بعائشة رضى الله عنها لأنها كانت خرجت إليها قبل مقتل
عثمان وحرضاها على مقاتلة على ومطالبته بدم عثمان فتبعتهم وتبعهم كثير من
بنى أمية وساروا لقتال على وأرادت عائشة الرجوع فلم يسمحوا لها به وأرادوا
الاستيلاء على البصرة فمنعهم عامل على وهو عثمان بن حنيف من دخولها فقالوا
له لم نأت لحرب وإنما جئنا للصالح وكتبوا بينه وبينهم كتابا أنهم لا يحدثون أمرا
إلى قدوم على ثم أمر عثمان بن حنيف أصحابه بنزع السلاح فنزعوه فغدروا بهم
وقبصوا على عثمان وسجنوه ثم أطلقوه بعد أن تنفوا لحيته وحاجبيه ولما أتى
الخبر لعلى سار الى البصرة ومعه أربعة آلاف مقاتل من أهل المدينة واستقر
أهل الكوفة فسبهم أبو موسى الأشعري ومع ذلك فقد وافاه منهم ستة آلاف
ثم قدم البصرة وسعى في تجنب أسباب الحرب فلم يمكنه ذلك ودارت رحى
الحرب بين الطرفين بموضع يسمى الحزبية أربع ساعات من النهار وكانت عائشة
راكبة جملا في هودج قطعت على خطامه أيد كثيرة وتمت الهزيمة على أصحاب
طلحة والزبير وقتل طلحة في المعركة وقتل الزبير في الطريق عن منصرفه إلى
المدينة وأمر على رضى الله عنه عائشة بالرجوع الى المدينة وجهازها بما تحتاج إليه
واتبعها ولديه مسير يوم وتبعها أيضا كثير من الناس لوداعها وسميت هذه الواقعة
واقعة الجمل ثم سار على الى الكوفة ونزلها سنة ستة وثلاثين هجرية وانتظم له
الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارجا عنه
إلا الشام وبها معاوية الذى كاتبه الامام على مرارا فلم تجد الكتابة نفعا كما سبق
وكان من شأن معاوية أنه اتفق هو وعمرو بن العاص على حرب الامام على
ومطالبته بدم عثمان وانه يعطيه مصر إذا انتصر طعنة له بعد رواتب جندها
وبلغ الامام على نخرج من الكوفة بجيش وخرج معاوية وعمرو بن العاص

بجيش آخر والتقى الجيشان بصفين وهي بلدة بين دمشق والعراق على جانب
الفرات الشرفي سميت بها الواقعة وحصلت بينهما كثيرة قتل فيها كثير من الفريقين
وفي آخر مرة حمل الامام على علي صفوف أهل الشام فلم يبق منهم صف إلا
انتهض ووقعت الهزيمة عليهم وهم معاوية بالفرار فنهاه عمرو بن العاص عن
ذلك ورفعوا المصاحف في وجوه القوم وطلبوا الرجوع للحكم بما فيها بإشارة
عمرو بن العاص وكانت حيلة دبرها فآل الأمر الى التحكيم بينهم فحكم أهل الشام
عمرو بن العاص وكان معروفا بالدهاء والحيل وحكم أهل العراق أبا موسى
الأشعري ولم يكن كذلك فاختلى عمرو بأبي موسى الأشعري واتفقا بعد جدال
طويل وأحاديث كثيرة على خلع علي ومعاوية وترك الأمر للمسلمين يولون
من أرادوا ثم أقبلوا إلى الناس وقد اجتمعوا مكان اجتماعهم بدومة الجندل فقال
أبو موسى ان رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة فقال عمرو
صدق تقدم يا أبا موسى فتكلم فليحقه ابن عباس وقال له ويحك والله إنى أظن
أنه خدعك ان كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فأنى لا آمن أن يخدعك
فقال أبو موسى انا قد اتفقتنا ثم تقدم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس
انا لم نر أصاح لأمر هذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأينا وان يخلع علي
ومعاوية وتستقبل هذه الأمة أمرها فتولى من أرادت وأنى قد خلعت عليا ومعاوية
فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ثم تنحى وأقبل عمرو
وقام مقامه وحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه
وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق
الناس بمقامه فقال له أبو موسى مالك قد غدرت فركب أبو موسى ولحق بمكة
حياء من الناس وصاح القوم حكم الحكمان بغير ما في كتاب الله والشرط عليهما
غير ذلك وسلم أهل الشام على معاوية بالخلافة واعتبروا هذا التحكيم نافذا ولم

يرض به أصحاب علي وقالوا ان الحكمين قد حكما بغير ما في كتاب الله والشرط
عليهما غير ذلك .

ومن هذا الوقت أخذ امر علي في الضعف وأمر معاوية في القوة وصار كل
منهما يغير على أعمال صاحبه .

وفي سنة أربعين هجرية اتفق جماعة من الخوارج وهم عبد الرحمن
الله ملجم المرادي وعمرو بن بكر والبرك بن عبد الله التميمي علي قتل علي
ومعاوية وعمرو بن العاص وقال عبد الرحمن بن ملجم أن أ كفيكم عليا وقال البرك
ابن عبد الله أنا أ كفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أ كفيكم عمرو وسار
وتواعدوا على ليلة سبع وعشرين رمضان من هذه السنة أن يفعلوا ذلك أما ابن
ملجم فانه قتل عليا في الفلاس وهو خارج لصلاة الفجر وأما البرك فانه جرح
معاوية ولم يقتله وأما عمرو بن بكر فانه قتل خارجة الذي كان نائبا عن عمرو بن
العاص في الصلاة تلك الليلة وهو يظنه بن العاص فأخذوه إلى عمرو بن العاص
فقال من هذا قالوا عمرو الذي قتل خارجة فقال ومن قتلت قال خارجة فأمر عمرو
بقتله فقتل وقال بعضهم يتأسف على قتل علي ويتمنى عدم قتله .

ليت الذي قد فدت عمرو بخارجه فدت عليا بما شاءت من البشر
ودفن الامام علي بالكوفة أو بالبقيع وعمره ثلاث وستون سنة ومدته
خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وكان من الأبطال المشهورين والعلماء العاملين
وكان العامل من طرفه على مصر سعد بن أبي وقاص ثم محمد بن أبي بكر
وفضائله كرم الله وجهه شهيرة وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله
ﷺ لعلي أنت مني بمنزلة هارون بن موسى وقوله لعلي أنت أخي في الدنيا
وأخي في الآخرة وقوله له أنت مني وأنا منك وقوله له الناس من شجرتين ونحن
من شجرة واحدة وقوله وعلى خير البشر وأن من شك في ذلك كفر وقوله على

إمام البرره من ينصره فهو منصور ومن يخزله فهو مخزول ومنها قوله له أبشر

يا علي حياتك ومماتك معي

ومنها أنت خير من يؤثرني بعدى وينجز وعدى ومنها قوله اللهم أنك قد أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزه بن عبد المطلب يوم أحد وهذا على تبقه لى ولا تدرنى فردا وأنت خير الوارثين ومنها قوله اللهم أكرم من أكرم عليا وأخذل من خذله ومنها قوله أن عليا لن يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت إلا مقتولا ومنها قوله أنا مدينة العلم وعلى بيابها فمن أراد العلم فليأتى الباب وهو الهادى للمسلمين بعدى .

وأنى قد تركت كثيرا من الأحاديث المتشابهة الدالة على مثل هذه المعانى من طرق مختلفة .

(فى الأحاديث الواردة فى فضل الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم أجمعين)

منها قوله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

وقوله أبو بكر الصديق وزيرى وخليفتى على أمتى من بعدى وعمر ينطق على لسانى وعلى ابن أبى طالب عمى وابن أخى وحامل رايتى وعثمان منى وأنا منه وقوله أبو بكر وعمر منى كالعينين فى الرأس وعثمان بن عفان منى كلسانى فى فمى وعلى كروحي فى جسدى وقوله لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة فى قلب منافق أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقوله من فضل أحدا على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فقد كذب وقوله أن الله أمرنى بحب أربعة من أصحابى وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قوله ورحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الاسلام إلا مال أبى بكر ورحم الله عمرا يقرل الحق وإن كان مرا ورحم الله عثمان تستحى منه الملائكة وجهاز

جيش العسره من ماله وزاد في مسجدنا حتى وسعنا ورحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار ومنها قوله أن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابه أربعة فجعلهم خيرهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي واختار أمتي على سائر الأمم فبعثني في خير قرن .
وأني قد تركت كثيرا من الأحاديث المشابهة لهذه المعاني الدالة عليها من طرق مختلفة وتركت اسم الرواة تسهيلا واختصارا كما قدمت ذلك .

(بيعة الحسن به علي وتسلمه الأمر معاوية)

لما توفي علي رضي الله عنه اجتمع أصحابه وبايعوا ابنه الحسن وكان علي قبل موته قد تجهز بالجيوش إلى الشام ويقال أنه كان قد بايعه أربعون الفا من عسكره على المرت ولما بويع الحسن ابنه بلغه مسير معاوية لقتاله فزحف عليه في ذلك الجيش من الكوفة للقائه حتى نزل المدائن وكان علي مقدمة عساكره قيس بن سعد بن عباده الانصاري في اثني عشر الفاً ثم حصات في عسكره فتنة وتعاضم امرها حتى قيل انهم نازعوه بساطا كان جالسا عليه في سرادقه وطعنه بعضهم في فخذه فحمل علي سرير إلى المدائن ولما رأى ذلك كتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر له بشروط مخصوصة منها ان يعطيه معاوية ما في بيت مال الكوفة وقدره خمسة آلاف من الدنانير والا يسب احد عليا فأجابه إلى ما طلب مؤقتا ولم يوف له بذلك بعد ثم بايع معاوية لسته اشهر من بيعته ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ثم لحق الحسن واهل بيته بالمدينة ولم يزل مقبلا بها حتى مات سنة تسعة وأربعين هجرية .

وتقدم في السيرة النبوية ان مولده كان في رمضان من السنة الثالثة هجرية قال ابن خلدون وما ينقل من ان معاوية دس إليه السم مع زوجته جديده بنت الأشعث فلا حقيقة له لأنه من احاديث السبعة .

وكان الحسن رضى الله عنه تقيا ورعا صفوحا عن الزلات ولقب بالأمين لتفضيله الأمانة في المسلمين على خير نفسه وكانت مدته متممة للخلافة الإسلامية التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوا ووردت في فضله أحاديث كثيرة تدل على فضله وحب النبي ﷺ له وتارة مقرونا بأخيه الحسين رضى الله عنهما

الدولة الأموية

عدد ملوك هذه الدولة أربعة عشر أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة

وأول ملوكها معاوية بن أبي الحسمة

معاوية بن أبي سفيان هو ابن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أموية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أسلم مع أبيه عام فتح مكة وبويع البيعة النامة يوم عزل الحسن نفسه منها ونزوله عنها لمعاوية سنة واحد وأربعين هجرية كما تقدم وقدم الكوفة يوم عزل الحسن نفسه ونزوله له عن الخلافة فقصد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها إلا ما كان من أمر هذه الأمة فإن حقها غلب باطلها ثم نزل وبايعه الناس ولما عاد إلى الشام بلغه أن ملك الروم زاحف في جموع كثيرة وعسكر جرار خاف أن يشغله أمره عما يحتاج إليه من تدبير ملكه وأحكام أمره فترجعه إليه وصالحه ثم وجه العمال إلى النواحي وولى العمال

فولى عبد الله بن عامر البصره وأضاف إليه معها خراسان سنة واحد وأربعين هجرية وقد وجه هذا العامل عبد الرحمن بن سمرة للفتح فافتتح بلخ بعد حرب شديد وحاصر كابل ثم فتحها صلحا وفتح نيسابور وزابلستان

واستعمل ابن عامر أيضا على الهند عبد الرحمن ابن سوار العبدى فغزا وغنم وأهدى معاوية من خيلها ثم عذر عبدالله بن عامر لكونه كان لنا على السفهاء وولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى المغيرة بن شعبه الكوفة سنة اثنين وأربعين هجرية وغزا يسر من أرطاة الروم فهزمه شمر هزيمة وقتل جماعة من بطاركتهم حتى بلغ القسطنطينية وشتى بيلادهم سنة ثلاث وأربعين

عمال معاوية على مصر

أولهم عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمر بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن قهر بن مالك تولاهما أولا بعد فتحها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبقى بها أربع سنين وأشهر ثم صرف عنها في زمن عثمان بن عفان كما سبق .

ووليها ولايته الثانية غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثلاثين هجرية من قبل معاوية بن أبي سفيان بعد قتل محمد بن أبي بكر الصديق وإعطائها له طعمة بعد رزق جندها وما يصرف في مصالحها كشرطة معه وكان عمرو من دهاة الدهر عميق الغور في السياسة ميمون النقيبة منصورا في مغازيه وبينما هو مشغول بالفتح مشمول بالنصر إذ أدركه مرض مرته فتر في ليلة الفطر سنة ثلاثة وأربعين هجرية فغسله ابنه عبدالله بن عمرو وأخرجه إلى المصلى وصلى عليه ولم يبق أحد صلى العيد إلا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان أبوه قد استخلفه ولما بلغ الخبر معاوية مرت عمرو بن العاص أسف عليه أسفا شديدا وخاف على مصر وفكر في الذى يتولاها بعد عمرو ولم ير من الصواب أن يجعل ولايتها لابنه من بعده مخافة أن يطمع فى شيء من خراجها أو يجعلها طعمة له كما كانت لأبيه أو تكون وراثته لبني عمرو وذويهم من بعده ورأى أن يوليها لأقرب الناس إليه وأقدرهم على سياستها والقيام بشؤونها فأرسل إليها أخاه عتبة بن أبي سفيان وجعله

أولا على صلاتها فهو ثاني من ولي أمرها من قبله وقدم إليها في ذى الحجة سنة
ثلاثة وأربعين هجرية فأقام بها شهرا وعرض له أمر فوفد على أخيه معاوية
واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكرهه الناس وكرهوا
ولايته عليهم وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبه بن أبي سفيان فرجع إلى مصر خوفا
على أمرها يتشتمت ثم صعد المنبر وقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع
منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من إذا قال فعل فان أبيتم دارا كم بيده فان
أبيتم دارا كم بسيفه ثم رجا بالآخر ما درك في الأول أن البيعة شائعة لنا عليكم
السمع ولكم علينا العدل وأينا عذر فلا ذمة له على صاحبه فناداه المصريون من
جوانب المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له أخوه الصلات
والخراج معا ثم عقد عقبة لعقمة بن يزيد على الأسكندرية في إثني عشر الفا
تكون لها رابطة ثم خرج إليها رابطة في ذى الحجة سنة ٤٤ هجرية فمات بها
وكانت مدة ولايته سنة واحدة ثم ولاها عقبة بن عامر ستة أشهر وبعد موت
عقبة أقام معاوية رضى الله عنه عوضا عنه (عقبة بن عامر) ابن عيسى الجهني
فهو الرابع من عماله عليها وجعله على الصلات والخراج وكان قارئا فقيها شاعرا
لبيا صحابيا جليلا له الصحبة والهجرة والسابقة في الاسلام إلا أنه لم يكن في
السياسة والكياسة على ما يرضى معاوية فولى مكانه (مسلمة بن مخلد) الانصارى
فهو خامس عماله .

وكان من سراة وعطاء الناس وأمره أن يسير إلى مصر ويكتب أمره عن
عقبة بن عامر حتى يدبر له حيلة يخرج به من مصر وفي ١٦ ربيع الأول سنة
٤٥ هجرية أرسل معاوية إلى عقبة أنه ولاه على البحر وأمره بالمسير إلى رودس
فسار عقبة إلى الأسكندرية ورافقه إليها مسلمة ثم نزل عقبة البحر سائرا إلى
رودس ورجع مسلمة واستوى على عرشه فلما بلغ ذلك عقبة قال اعزلا وغربه

وكان صرفه عن مصر لعشر بقيت من ربيع الأول سنة ٤٧ هجرية وكانت مدة ولايته سنين وثلاثة أشهر ولما ولي مسلمة بن مخلد الانصارى انتظمت أمره وانقادت له البلاد وعرفت فضله العباد وانشأ منارات للمساجد واعتنى بالعبادة والمعابد وفي أيامه نزلت الروم البراس سنة ٥٣ هجرية وحصلت وقائع قتل في إحداها وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وبقى مسلمة والياعلى مصر إلى أن مات معاوية في رجب سنة ٦٠ هجرية كما سبق .

وولى معاوية ابن خديج ثم مسلمة بن خمد وجمع له مصر والمغرب واستمر وليا حتى أيام يزيد .

وكان زياد بن عبد الله عامل على فارس فلما صار الامر لمعاوية كتب اليه يتوعده ويتهدده إن لم يبايعه وأهم معاوية أمره وخاف أن يدعو إلى أحد من بنى هاشم ويعيد الحرب ثانيا فوجه اليه المغيرة بن شعبه فقدم به على معاوية فاكرمه وحاسبه على مال البلاد بموجب قوله ثم ادعاه أحاسنة ٤٤ هجرية وولاه البصرة وأضاف اليه خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ولما قدم زياد البصرة سددها ووطد الملك لمعاوية ووضع السيف في رقاب من خالفه وأخذ بالظن وعاقب على الشبهة فخافه الناس خوفا شديداً ثم أن معاوية ولي زياد الكوفة أيضا سنة خمسة وأربعين هجرية وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وبالبصرة مثالا .

وهو أول من سير بين يديه الحرس بالعمد والحراب والسيوف وكانت حراسه خمسمائة لا يفارقونه في حال من الأحوال وكان أحد دهاه العرب قويا في السياسة عظيم الهيبة بلغ من الفصاحة غايتها ومن الشجاعة نهايتها .

ولما توطد الملك لمعاوية شرع في اتمام فتح أفريقية وكان الافريقيون هم الذين دعوه الى ذلك ليستخلصوا من جور حكامهم وكان على أفريقية عتبة بن نافع وكان

قد فتح غدامس سنة اثنين وأربعين وكورا من كور السودان فارس الى معاوية
عشرة آلاف فارس فدخل بهم أفريقية وانضم اليه جمع كثيرة من البربر فكثرت
جمعه وعظم جيشه وكانت عادة البربر إذا دخل عليهم أمير أطاعوه وأظهر كثير
منهم الاسلام ومتى تنحى عنهم خلعوا طاعته وأردتوا إلى الكفر راجعين .

ثم رأى عقبة أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم
ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان أجمه
كثيرة الأشجار وبعد ما قطع الأشجار التي فيها أمر ببناء المدينة سنة ٥٠ خمسين
هجرية وبنى بها المسجد الجامع ووضع به خمسمائة عمود من الصوان وبنى الناس
دورهم ومساجدهم وكان يحيط المدينة ثلاثة آلاف وستمائة باع وجعل لها سورا
عظيما من الحجر وفي أثناء البناء كان يرسل السرايا فتغير وترجع غائمة ودخل
كثير من البربر في الاسلام فاتسعت بذلك خطة المسلمين وقوى جنان من
هناك من الجنود وآمنوا واطمأنوا وما زال عقبة يفتح في بلاد المغرب حتى وصل
إلى المحيط وكان المسلمون لا يفترون عن مقاتلة الروم صيفا وشتاء برا وبحرا
لأضعاف قوتهم وكثرت شركتهم ولا يرجعون الا بالغنائم الوافرة ولما نظر وأن
لا شيء يرد أمداد فنوحاتهم ولا يصددهم عن قصدهم سير معاوية سنة ٤٨ جيشا
عظيما إلى القسطنطينية مع سفيان بن عوف فاوغلوا في بلاد الروم حتى وصلوا
إليها والقوا الحصار عليها وكان في الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير
وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وتوفي أبو أيوب الأنصاري ودفن قريبا
من سورها ولم يتمكن المسلمون من فتحها وقاومهم الروم أشد المقاومة
واغرقت النار الاغريقية اغلب سفنهم وعرقلت حركاتهم ومكثت العسكر على
حصار هذه المدينة ست سنوات يحاصرونها صيفا ويجمعون عنها شتاء ويأوون
إلى خليج صغير هناك وبذلك كان المحاصرون يتمكنون من اصلاح ما تخرب من

السور والنار الاغريقية التي فقدت الآن قيل انه اخترعها رجل من الشام يدعى كالتيوذكوس وكان مهندسا عظيما وكيمياويا شهيرا ونسبت للاغريقين لأنهم اول من استعملها ولم يديجوا لاحد بتركيبها ولم يكتبوا عنها شيئا يدل عليها ويقال ان الزيت بعض اجزائها ولكن لا يعلم مقدار ما يوضع منه على الكبريت والقطران وكان يخرج منها دخان كثيف وهيب محرق ولم تكن ترتفع على خط مستقيم اثناء اشتعالها وكانت تحرق المراكب من جوانبها واسفلها وكان الماء يزيد بها اشتعالا وكان الروم يسمونها النار المائية والبحرية ويستعملونها برا وبحرا

ويقال ان العرب تعلموا عمل هذه النار وصاروا يستعملونها برا وبحرا وهذه اول مرة صدت فيها عساكر الاسلام مدة الخمسين سنة الاولى من فتوحاتهم وفتحت جزيرة رودس سنة ثلاثة وخمسين فتحها قتادة بن بعلب الازدى ودخلها المسلمون

وفي سنة اربعة وخمسين ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع جيحون ووصل إلى سمرقند والصفد وهزم الكفار وفتح ترمز صلحا وقتل قسطنطين بن العباس ودفن بسمرقند

ثم بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية عهده وبايعه اهل الشام والعراق واراد مروان بن الحكم عامله بالمدينة البيعة له فامتنع الحسين بن علي وعبدالله بن عمرو وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبدالله بن الزبير وامتنع الناس لامتناعهم ثم قدم معاوية الحجاز بألف فارس وبايع يزيد اهل الحجاز إلا من سبقوا

فقال معاوية لابنه يزيد اني مهدت لك الامور ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة فأما عبد الرحمن فانه رجل مائة اليوم أو غد وإما ابن عمر فانه رجل قد غلب عليه الورع وإما الحسين فانه له قرابة منا فان ظفرت به فاصفح

عنه واما ابن الزبير فان ظفرت به فقطعه أربا .

ثم مات معاوية في شهر رجب سنة ٦٠ هجرية ومدة خلافته تسعة عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة وعشرون يوما من مبايعة الحسن له ومدة عمره خمس وسبعون وقيل سبعون سنة وبقي في الشام نحو أربعين سنة أميرا وخليفة وكان حليما ذا هيبه يغلب حله غضبه ويغلب جوده منعه وهو أول من بايع لولده وأول من وضع البريد وأول من عمل المقصورة في المسجد وأول من خطب جالسا على قول بعضهم .

التالي زبير بن معاوية

لما مات معاوية رضى الله عنه بويع ولده يزيد فأرسل إلى عامله بالمدينة بالزام الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر بالبيعة له فاما ابن عمر فانه قال ان اجمع الناس على مبايعته بايعته واما الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعاه وأرسل عامله بالمدينة جيشا مع عمرو بن الزبير وكان شديد العداوة لأخيه عبد الله بن الزبير ليقاتله فقاتله عبد الله وهزم الجمع وحبس أخاه عمرو حتى مات في حبسه .

وورد على الحسين رضى الله عنه مكاتبات كثيرة من اهل الكوفة بالمسير اليهم ليبايعوه وكان عاملها النعمان بن بشير فأرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ البيعة له فبايعه نحو ثمانية وعشرين ألفا وقيل بايعه ثلاثون ألفا وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير كلام لا يرضيه فولى الكوفة عبيد الله بن زياد والى البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطب وحث الناس على طاعة يزيد ثم اجتمع الى مسلم بن عقيل من كان بايع للحسين وحصروا عبيدة بن زياد في قصره ومعه ثلاثون رجلا فأمرهم أن يشرفوا من القصر ويمنحوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف فان الناس

يكفونك فتفرق الناس عن مسلم وبقي معه ثلاثون رجلا فاستتر ونادى منادى
عبد الله بن زياد من اتى مسلم بن عقيل فله ديتته فامسك له مسلم فوبخه وضرب
عنقه في الحال ورميت جثته من القصر وضرب عنق هانيء بن عروة ايضا وكان
من اخذ البيعة للحسين وبعث براسهما الى يزيد سنة ٦٠ هجرية .

ثم اخذ الحسين رضى الله عنه في الذهاب إلى الكوفة وكان بمكة فقال له
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يا ابن العم انى اخاف عليك اهل العراق
فانهم اهل غدر ونفاق واقم بالحجاز فانك سيده وان ابنت الا أن تخرج فسر
إلى اليمن فان بها شيعة لأبيك وبها حصون وشعاب فلم يرض الحسين وقال له
لقد ازمعت واجمعت وخرج من مكة واجتمع عليه قوم من العرب فسار بهم
ولافاه الفرزدق في الطريق وقال له ان قلوب الناس معك وسيرفهم مع بنى امية
والقضاء ينزل من السماء كل ذلك والحسين لا يعلم ما حصل لابن عمه مسلم بن
عقيل ولما بلغه امر قتله وان الناس تخذلت عنه اخبرا الحسين من معه وقال من
اراد ان ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه وسار هو بأهل بيته حتى وصل
الى مكان يقال له سراف قرب الكوفة فلقية الحر بن يزيد التيمي صاحب
شرطه عبيد الله بن زياد في الف فارس فقال لهم الحسين ما اتيت اليكم إلا
بكتبكم ثم قام خطيبا فقال ايها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى
اتنتى كتبكم ورسلكم ان اقدم علينا لأنه ليس لنا امام لعل الله ان يجمعنا بك
على الهدى وقد جئتكم كما طلبتم فان تعطوني ما اطمئن اليه من اليهود اقدم
مصركم وان لم تفعلوا وكنتم فى قدومى كارهين فانصرف عنكم الى المكان الذى
قدمت منه فسكتوا وقد اذن المؤذن لصلاة الظهر فصلى وصلى وراءه الفريقان
ولما دخل وقت العصر صلى بهم ايضا ثم استقباهم فحمد الله واثنى عليه
وقال ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن ذلك ارضى لله

ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما لا حق لهم
السائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم
غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرف عنكم فقال الحر بن يزيد أنا والله
لا ندرى هذه الكتب والرسل التي تذكر فاخرج خرجين من الصحف فنشرها
بينهم فقال الحر لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا أن لا نفارقك
حتى نوصلك الكوفة بين يدي عبدالله بن زياد وما زالوا به حتى سار معهم
فورد كتاب اليهم من عبدالله بن زياد أن ينزل الحسين ومن معه على غير
ماء فانزلهم بالموضع المعروف بكر بلا وهو بارض العراق بين الحلة والكوفة
سنة احدى وستين هجرية وفي الغد قدم من الكوفة عمرو بن سعد بن أبي
وقاص في أربعة آلاف فارس أرسله زياد لحرب الحسين فسأله الحسين إحدى
ثلاثة أمور اما العود من حيث أتيت واما أن تجهزوا بي إلى اليزيد فيكون
الأمر بيني وبينه واما ان الحق بالشعور فكذب عمرو إلى ابن زياد أن يجاب
الحسين في إحدى هذه الثلاث فلم يقبل وأرسل شمر بن ذي الجوش إلى عمرو
ابن سعد بكتاب بقول له فيه اما أن تقاتل الحسين وتقتله وإما أن تعزل ويكون
الأمير على الجيش شمر وفي اليوم الثاني ركب عمرو بن سعد في أصحابه وكان
ذلك يوم عاشوراء من تلك السنة وركب الحسين في أصحابه وكانوا اثنين
وسبعين ما بين راكب وراجل واستمر القتال إلى الظهر من ذلك اليوم واشتد
بالحسين العطش فتقدم ليشرب فرمى بسهم فأصاب فاه وتكاثر القوم عليه
وطعنوه مرارا واحتزوا رأسه وقيل ان الذي نزل واحتز رأسه هو شمر وقيل
بل هو سنان بن أنس النخعي ثم أرسل الرأس وبتيمة الرأس والنساء والأطفال
إلى يزيد فجهز اليزيد النساء والأطفال إلى المدينة وهذه حادثة مشهورة لا ينبغي
إلى التوسع فيها لشهرتها وفضاعتها واختلف في موضوع الرأس الشريف فقيل

لأنه جُهرز إلى المدينة ودُفن عند أمه وقيل أنه دفن عند باب الفراءيس من دمشق
ثم نقل إلى عسقلان وان خلفاء مصر الفاطميين نقلوها إلى القاهرة ودفنوها بها
وبنوا عليها مشهدا معروفا بمجل دفن الحسين وكان ذلك في خلافة الفائز بمصر
الله الفاطمي على يد الصالح طلائع بن رزيق سنة ٤٩٥ هـ وخرج الخليفة وعسكره
إلى خارج المدينة خافيا مكشوف الرأس قال المقرئ رحمه الله في خطته وكون
الرأس الشريف بالقاهرة هو الذي اعتمده المؤرخون وأما الجثة فقد دفنت
بكر بلا وكان الحسين رضي الله عنه مقداما شجاعا كريما وقد ورد في فضله
أحاديث كثيرة مشهورة وكان عمره حين قتل خمسا وخمسين سنة وبعض
أشهر

وكان عبدالله بن الزبير لا يزال ممتنعا بمكة ولم يدخل في طاعة يزيد ثم إن
أهل المدينة اتفقوا سنة ٦٣ على خلع يزيد وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي
سفيان منها فجهز يزيد جيشا مكونا من عشرة آلاف من أهل الشام مع مسلم
ابن عتبة وأمره أن يسير نحو المدينة وإذا ظفر بأهلها أباحها للجند ثلاثة أيام
يسفكون فيها الدماء ويأخذون الأموال وإن يبايعهم على أنهم خول وعبيد
ليزيد ومتى فرغ من أمرهم يسير إلى مكة فسار حتى نزل على المدينة من جهة
الحره وأصر أهل المدينة من المهاجرين والانصار وغيرهم على قتاله وعملوا
أخذقا ودام القتال أياما ثم انهزم أهل المدينة وقيل إن القتلى من أهل المدينة
كانوا نحو سبعمائة من اشراف الناس من قريش والمهاجرين والانصار وعشرة
آلاف من الموالي وعامة الناس وبايع مسلم من بقي بالمدينة ليزيد كما شاء ثم سار
نحو مكة ومات قبل أن يصل إليها وأقام على الجيش مقامه الحصين بن نمير
السكوني في المحرم سنة أربع وستين فقدم مكة وحاصر عبدالله بن الزبير أربعين
يوما حتى أتاهم الخبر بموت يزيد وكان الحسين قد رمى السكجة بالمنجنيق وأحرقه

بالنار ولما علم الحصين بموت يزيد قال لعبد الله بن الزبير من الرأي أن ندع
دماء القتلى بيننا وأقدم الى الشام حتى يبايعك فامتنع عبد الله من ذلك فارتحل
الحصين راجعا الى الشام وسار معه من كان بالمدينة من بنى أمية وكانت مدة
خلافة يزيد ثلاث سنين ونصفا وعمره ٣٨ سنة وكانت أمه ميمونة بنت بحدل
الكلبية أقام معها بين أهلها بالبادية فنشأ فصيحاً وكان عاكفا على اللهن والقنص
وكان شاعرا ليبياً وقد أجمع العلماء على فسقه وقبح سيرته واختلفوا في جراز
لعنه عليه من الله يستحقه

ان الحسين رضى الله عنه ما كان يظن أن يفعل به ما فعلوه معه لقربته
من رسول الله ﷺ ومكانته في الأمة الاسلامية وياحبذا لو سمع الحسين كلام
ابن عمه واتبع نصيحته وخرج مستعدا بجيش فان كانت الأولى ووجد الأمر
سهلا كفى الله المؤمنين القتال وان كانت الثانية وجد معه من يدافع معه وانه
رضى الله عنه قد أغفل قول القائل

لا تسع في الأمر حتى تستعدله سعى بلا عدة قوس بلا وتر

ولكنه رضى الله عنه ينطبق عليه قول القائل

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه ليتضى الله أمرا كان مفعولا

وقد قالوا ليزيد وأبي يزيد

ماذا تقولون اذ قال النبي لـكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلى بعد منصرفي منهم أسارى ومنهم خضبر ابدم

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لـكم ان تخلفوني بسوء في ذوى رحمى

وانى لا عجب كل العجب من الذين لطنخوا تاريخهم بدم قتل الابرءاء

ظلموا وعدوانا مع أن الله قد سلط عليهم المختار الذى خرج فى مدة عبد الملك

ابن مروان بن الحكم عن خلافته مطالبا بدم الحسين وقتل فى أخذ دمه الوفا

وهذا جزاؤهم في الدنيا ولا ندرى ما الله فاعل بهم في الآخرة كیفانا الله شر
الاشرار وكيد الفجار انه سمیع قدير وبالإجابة جدير

عمال يزيد بن معاوية على مصر

لما بریع ليزید أقر عامل مصر عليها وهو مسلمه بن مخلد الذی كان والیا
عليها من قبل أبيه وبعث اليه يأخذ البيعة له فبايعه الجند إلا عبدالله بن عمرو
ابن العاص فهده عابس بن سعيد بالنار وهم بحرق داره عليه إن لم يبايع فبايع
قهرًا وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء وكان مسلمة
يطيل الصلاة كما روى عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد انه قال كان مسلمة
ابن مخلد يصلي بنا فيقوم في الظهر فرما قرأ البقرة ولم يترك الفاولاواوتوفي
مسلمة وهو وال خمس ياقية من رجب سنة ٦٢ هجرية فكانت ولايته ١٥ سنة
وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة
ابن يزيد ابن عرف الأفردي من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة ٦٢ هـ
فتلقاه عمرو بن قحزم الخولاني فقال يغفر الله لأمر المؤمنين أما كان فينا مائة
شاب مثلك يولى علينا أحدهم ولم يزل أهل مصر عاكفين على نكايته والاعراض
عنه حتى توفي يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ كما سبق في خلافته
وفي رجب منها دعا عبدالله بن الزبير رضى الله عنه الى نفسه بالخلافة
فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوتهم وسارت وفودهم اليه يهنئونه
بالخلافة فبعث اليها عبدالرحمن بن جحدم سنة ٦٤ هجرية فقدمها في جمادى
الأولى منها واعتزل سعيد بعد أن وليها ستين الا شهرا ثم وليها بعده من قبله
عبدالرحمن بن جحدم ولم تطل مدته فانه بعد ثلاثة أشهر من ولايته صرف
عنها ووليها (عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم) فدخلها في شعبان سنة ٦٤ هـ في جمع

كثير من الخزارج وبقى بها إلى أن يبيع مروان بن الحكم بالخلافة من أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن لأن الناس كانوا قد بايعوا ابن الزبير على غل في قلوب شيعة بني أمية فسار مروان إليها ويعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى إبله ليدخل مصر من هناك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرق الترافة وقدم مروان فخارب ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطالحا ودخل مروان لعشر من جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه كثير من الناس ومن تأخر قتله وبقى مروان في مصر شهرين إلى أن هدأ الوقت وانقطعت القلاقل ثم بارحها ورجع مقره بالشام.

الثالث معاوية بن يزيد بن معاوية

يبيع له بعد وفاة والده يزيد في ربيع أول سنة أربع وستين هجرية وكان شابا ديناً ورعاً ولما تم له أمر البيعة وجد أنه لا يمكن استخلاص الملك له إلا بالسيف وارانفه الدماء فجمع الناس وخطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه معاشر الناس أني قد نظرت في أمركم وأنى قد ضعفت عن القيام به والساخط على أكثر من الراضى وما كنت لا تحمل أثقالكم ولا يرانى الله متقلداً أوزاركم والقاه بدمائكم فشا أنكم وأمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فليد خلعت بيعتى من أعتابكم والسلام فاجتمعت عليه بنو أمية وقالوا له أعهد إلى من تريد فقال ما أصبت من حلاوتها فلا أتحمل من مرارتها ودخلت عليه أمه فوجدته يبكي فقالت له ليتك كنت حبيضة فلم اسمع بخبرك فقال لها وددت والله ذلك وبلى أن لم يرحمنى ربى ثم تغيب عن الناس إلى أن مات في النانية والعشرين من عمره ومدته أربعون يوماً وقيل ثلاثة أشهر وبعد موت معاوية ابن يزيد انتقل الملك من عقب معاوية بن أبي سفيان الذي حاول أن يجعله فيه وكأنه قد نسي

قول الله تعالى إن يشأ يذهبكم ويستخلف قوما غيركم ولا تضررونه شيئا وإن الملك
لله يرث من يشاء من عباده وكاد الأمر يتم لعبد الله بن الزبير حيث بايعه أهل
البصرة واجتمعت له العراق والحجاز وبايعه أهل مصر وبايع له في الشام
سرا الضحاك بن قيس والنعمان بن البشير بحمص وذفر بن الحارس
الكلابي بقمسرين لولا أن مروان بن الحكم نازعه في الأمر واجتمعت به بنو
أمية وصار الناس في الشام فرقتين اليمانية مع مروان والغيسية مع الضحاك بن
قيس مبايعين لابن الزبير واقتتل الفريقان بمرج أراهط بالفرطية وانهمزم الضحاك
والقيسية وقتل الضحاك فنادى منادى مروان أن لا يتبع أحد مهزوما ودخل
مروان دمشق وبايعه الناس فمر رابع خلفاء بني أمية لما بايع الناس مروان ونزل
بدار معاوية بن أبي سفيان وبايعه الناس تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية خوفا
من خالد وبقي مع امرأته هذه التي تقدم الكلام عليها إلى أن شتم ولدها خالد
شتمه فظيعة تمسها فبلغت خالد ذلك فأمرها بالكتمان ثم تعاهدت مع الجوارى
على قتل مروان فوضعت على وجهه وسادة وهو نائم وقعدت هي وجوارياها
فوقها حتى مات بعد أن عمر ثلاثا وستين سنة ومدته ملكة تسعة أشهر وثمانية عشر
يوما وهو جدير بقول القائل .

رب من ترجو به دفع الأذى إنما يأتي الأذى من قبله
وقال الذهبي رحمه الله أن مروان لا يعد من أمراء المؤمنين بل هو متغلب
باغ على ابن الزبير وكذلك عهد لولده عبد الملك غير صحيح وإنما صحة خلافة
عبد الملك من حين قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وعده غيره من أمراء
المؤمنين من أول أمره ولكل وجهة هو موليها .

عمال مروان بن الحكم على مصر

لما أراد مبارحتها قد عهد بأمرها إلى ابنه عبد العزيز بن مروان وهم بالرحيل

منها فقال له يا أمير المؤمنين كيف المقام في بلد ليس بها أحد من بني أبي فقال
له مروان يا بني عمهم باحسانك يكوّنوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقا
تصف لك مردتهم وأوقع إلى كل رئيس منهم إنه خاصتك دون غيره يسكن لك
عينا على غيره وينقاد يومه إليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت
لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وما عليك إذا كنت أميراً في أقصى الأرض
أليس ذلك أحسن من غلق بابك عليك ونحوك في منزلك ثم أوصاه عند
خروجه من مصر إلى الشام قائلاً أوصيك بتقوى الله في شرك وعلازيتك فإن
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك ألا تجعل لداعي الله عليك
سبيلاً فإن المؤذن يدعو إلى فريضة فرضها الله إن الصلاة كانت على المؤمنين
كتاباً مرقوراً وأوصيك ألا تعد الناس موعداً إلا أنقذته لهم وألا تعجل في
شيء من الحكم حتى تستشير فإن الله لو أغنى أحداً عن ذلك لأغنى نبيه صلوات الله
عن ذلك بالوصى الذي يأتيه مع إن الله عز وجل قال في كتابه العزيز وشاورهم
في الأمر

وخرج مروان من مصر في غرة رجب سنة ٦٥ هجرية والحرب قائمة بينه
وبين عبد الله بن الزبير ثم مات مروان في رمضان من هذه السنة بعد ما بلغ من
العمر ٦٣ سنة وبموته بويع لابنه (عبد الملك بن مروان)

(الخامس عبد الملك بن مروان)

بويع عبد الملك في ثالث رمضان من سنة خمس وستين هجرية بعد موت
والده وتم له الأمر بالشام ومصر وكان قبل الخلافة متعبداً ناسكاً فقيهاً عالماً
فلما جاءته الخلافة كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فأطبقه وقال السلام عليك
هذا آخر العهد بك وفي مدة خلافته خرج المختار بن عبد الله النقفى بالكوفة
وظالماً بدم الحسين في جموع كثيرة فاسترلى عليها وبايعوه بها وحصل قتال شديد

وظفر المختار بشمر فقتله وقتل عمرو بن أبي سعد بن أبي وقاص الذي كان أمير الجيش الذي حارب الحسين وبعث برأسهما إلى محمد بن الحنفية بالحجاز ثم استولى المختار على الموصل وقتل عميد الله بن زياد وأحرق جثته وانتقم الله تعالى للحسين بالمختار وقتل به الوفا من الناس .

وفي سنة اثنين وسبعين هجرية جهز عبد الملك الحجاج إلى مكة لقتال ابن الزبير في أربعين ألفا فحاصروا مكة نحو شهر أشد الحصار ونصب المنجنيق على أبي قبيس وقينقاع وما زال يحاصره ويضيق عليه نحو أربعة أشهر حتى دخل الحجاج بعسكره مكة المكرمة وأشدت الحرب داخلها حتى قتل عبد الله بن الزبير وتفرقت جماعته ولما تمكن الحجاج من دخول مكة هدم الكعبة المشرفة لوقوع خال فيها من تسليط المنجنيق وكان قد بناها عبد الله بن الزبير بعد وقعة يزيد على قواعد ابراهيم فبناها الحجاج هذا البناء الموجود للآن سنة ثلاث وسبعين هجرية وولى عبد الملك الحجاج العراق فسار من المدينة إلى الكوفة وخرج في أيامه بالعراق شيث الخارجي ووقع بينه وبين الحجاج حروب كثيرة كانت غايتها تفرق جيوش شيث وموته وكذلك خرج عبد الرحمن بن الأشعث وأستولى على خراسان ثم قصد الحجاج وغلب على الكوفة فامد عبد الملك الحجاج بالجنود من الشام فهزم عبد الرحمن وتفرقت جنوده والتجأ إلى ملك الترك فطلبه منه الحجاج وتهدهه بالحرب فقبض على عبد الرحمن في الطريق فألقى نفسه من على سطح فمات وكان الحجاج ظلوما غشوما سفاكا للدماء سيء الاخلاق قبيح السيرة قتل كثيرا من الناس وحبس كثيرا حتى قيل أنه قتل بأمره سوى من قتل في حروبه مائة وعشرون ألفا ومات في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ولم يكن لحبسه سقف يستره فروى عنه أنه سمع ضجعة ممن هم في الحبس وهو خارج من صلاة الجمعة فقال ما هذا قيل له المسجونون

يشكون فالتفت اليهم وقال اخسأوا فيها ولا تكلموني فما صلى جمعة بعدها وهلك
وكان مع هذه الصفات القبيحة عالما فصيحاً حائظاً للقرآن فهو من الذين أضلهم
الله على علم وختم على سمعه وبصره فمن يهديه من بعد الله .

وهو الذي بنى مدينة واسط أيام عبد الملك وتوفى عبد الملك بدمشق في
منتصف شوال سنة ست وثمانين هجرية بعد ثلاث وسبعين سنة بعد أن عهد
لابنه الوليد الأول بالخلافة .

وهو أول من ضرب الدنانير والدراهم بسكة الاسلام وكتب عليها بعض
آيات من القرآن وعين فيها اسم المدينة وتاريخ السنة التي ضرب فيها أول من
نهى الناس عن التكلم بحضرة الخليفة .

وفي مدته أتسعت حدود الدولة الإسلامية من الشرق إلى السند والتركستان
ولكنه كان شديداً على الناس وعماله أشد منه حتى قال بعضهم لو لم يكن لعبد
الملك إلا تولية الحجاج وتمكينه من رقاب الناس لكفى ذلك في قبح سيرته
ونحن نطالب له من الله الرحمة عملاً بقول القائل .

من ذا الذي ماساء قط ومن له الحسنى فقط
وإذا أختبرت بنى الزمان وجدت أكثرهم سقط

عمال عبد الملك بن مروان على مصر

لما عهد له بالخلافة أقر أخاه عبد الله عليها الذي كان عاملاً من قبل أبيه وفي
مدة ولايته جعل الكتابة في دواوين مصر باللغة العربية وكانت قبل ذلك
بالقبطية وغارت الأسعار غلوا فاحشاً فتشام الناس منه وهي أول شدة رأوها
بمصر وكان مرتشياً فكرهه الناس ولم يزل بغيضاً حتى اضطر إلى الرجوع إلى
أخيه فصرفه عنها في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن
فحزم الخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ثم صرف عبد الرحمن المذكور

بعد أن ولي ٣ سنين و ١٠ أشهر وتولى بعده (قره بن شريك) ابن مرثد بن الحارث العبسي على صلاحها وخراجها فقدمها يرم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة ٩٠ وبقى بها إلى أن مات وهو وال ليلة الخميس لست بقيت من ربيع الأول سنة ٩٦ هجرية وكانت ولايته ٦ سنين وأياما وكان ظالما سيء السيرة واستخاف (عبد الملك بن رفاعه) فاقره الخليفة الوليد فتمت ولايته وبعد ثلاثة أشهر من ولايته توفي الوليد بدمشق في منتصف جمادى الثانية وتولى بعده أخوه (سليمان بن عبد الملك بن مروان)

السادس الوليد الأول به عبد الملك

يرجع له بالخلافة يوم وفاة والده سنة ٨٦ هـ وكان أبوه قد عهد له بها وهو معدود من أعظم ملوك بني أمية لأنه كان حازما وعادلا وفي مدته بنيت المباني الفاخرة وفتحت الفتوحات الكثيرة وكان محسنا وله شفقة ورأفة بالرعية حتى أنه أعطى المجذمين ما يكفيهم ومنعهم السؤال إلى الناس والمخالطة معهم وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وأمر بالكتابة في جميع دواوينهم باللغة العربية وكان يرحمة القرآن ويتقضى عنهم ديونهم وبنى الجامع الأموي وزاد فيه جزءا من كنيسة ماريو حنا بعد أن أَرْضاهم وأعطاهم ما شاءوا سنة ٨٦ هـ ولم يتم بناءه بل أمته أخوه سليمان ويقال أن جملة ما أنفق على بنائه أربع مائة صندوق كل واحد منها فيه ثمانية وعشرون الف دينار، وكان فيه ستمائة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فيها وما زالت به إلى أيام عمر بن عبد العزيز فجعلها في بيت المال واستعاض عنها حديدًا ونحاسًا ومن مبانيه أيضا قبة الصخرة التي ببيت المقدس وبنى المسجد النبوي ووسعه وأدخل فيه الحجرات النبوية .

وفي أيامه فتحت بلاد الأندلس حيث أرسل إلى عامله ببلاد أفريقية وهو موسى بن نصير لفتحها فبأمرها ولم تنجح مساعيه في أول الأمر فأرسل

من قبله طارق بن زياد ومعه خمسمائة رجل ليختبروا تلك البلاد وأعدت بخمسمائة
أخرى فنزل طارق بهذا الجيش الصغير في جرن قبايه المحاط بصخر منيع وقابل
ثلاثة أيام حتى فتحه .

ومن يومئذ سمي باسمه فقبل له جبل طارق وأنه كان قد انضم إلى المسلمين
جموع من أهل تلك البلاد لأنهم كانوا متضررين من جور ملكهم رودريق ولم
ينزل يحارب حتى قتل رودريق ثم سار طارق بن زياد قاصدا مدينة طابطة
ليمنع كبار المملكة والأساقفة أن يجتمعوا بهذه المدينة التي هي قاعدة بلادهم ليختاروا
ملكاً آخر فبمجرد وصوله إليها فتحت له أبوابها فأبقاها على ما كانت عليه ثم
سار هذا القائد المخوف بالنصر إلى جبال البرتغال من غير أن يعارضه أحد في
طريقه فأراد موسى بن نصير أن يكمل فتحها ويحوز هذا الفخر العظيم لنفسه من
غير أن يشرك معه طارقاً فاجتاز البوغاز بتسعة عشر الفا وفتح البلاد من غير
أن يلحقه أدنى مشقة ثم جاوز جبال البرتغال وفتح الجزء الجنوبي من فرنسا ولما
رأى هذا الفاتح العالی الهمة أن أن الدهر ساعده عزم على فتح بلاد أوروبا
لكن منعه من تنفيذ هذا الغرض انحطاط درجته عند الخليفة .

وذلك أنه حملته الغيرة من طارق على أن يسلك معه مسلك الأزال بقدر
ما تقتضيه الغيرة غير أن طارقاً وجد في دولة الخليفة أصحاباً وأصدقاء ما نعوا
عنه وصاروا من حزبه حتى أوغروا صدره عليه فأرسل يطلبه فحضر إلى الشام
ومعه عدد كثير من الأسارى فدخل دمشق بموكب حافل وكان هذا آخر مسراته
فان الخليفة أهانه وأمر بضربه أمام الحاضرين وطرده إلى مكة فذهب إليها وبقى
بها إلى أن مات وفتحت في أيام الوليد فتوحات كثيرة غير الأندلس منها أنهم
فتحوا ما وراء النهر وتغافل الحجاج في بلاد الترك ومسلمة بن عبد الله في بلاد
الروم ففتح وسبي وفتح محمد بن القاسم السقفي بلاد الهند وفي أيامه توفي الحجاج

السقفي وأراح الناس من شره وتوفي الوليد سنة ستة وتسعين هجرية بدير مروان وترك أربعة عشر ولدا من صلبه ودفن في منابر الباب الصغير

عمارة علي مصر

لما عهد له بالخلافة أفر أخاه عبدالله عليها الذي كان عاملا من قبل أبيه وفي مدة ولايته جعل الكتابة في دواوين مصر باللغة العربية وكانت قبل ذلك بالبتبية وعلت الأسعار علوا فاحشا فنشأ من الناس منه وهي أول شدة رأوها بمصر وكان مر نشيا فكرهه الناس ولم يزل بغيضا حتى اضطر إلى الرجوع إلى أخيه فصرفه عنها في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبدالرحمن بن عمرو بن قحزم الخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ثم صرف عبدالرحمن المذكور بعد أن ولي ٣ سنين و ١٠ أشهر وتولى بعده (قره بن شريك) بن مرتد بن الحارس العبسي على صلاحها وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة ٩٠ وبقي بها إلى أن مات وهو وال ليلة الخميس لست بقيت من ربيع الأول سنة ٩٦ هجرية وكانت ولايته ٦ سنين وأياما وكان ظالما سىء السيرة واستخلف (عبدالمالك بن رفاعه) فأمره الخليفة الوليد فتمت ولايته وبعد ثلاثة أشهر من ولايته توفي الوليد بدمشق في منتصف جمادى النانية وتولى بعده (أخوه سليمان ابن عبدالمالك بن مروان)

السابع سليمان بن عبدالمالك

بوقع بعد عدة أيام من موت أخيه ولما تولى أحسن التدابير والسياسة ورد المظالم وآوى الترياء وأفرج عن المسجونين واتخذ ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وزيراً ثم أمر الخليفة بقتل عبدالله وعبدالعزيز ولدى مرسى بن النصير اللذين كانا يتما بالنيابة عن أبيهما ببلاد الأندلس والمغرب الأقصى فمات ابن النصير

حين بلغه موت ولديه ومع ذلك فإن نفى موسى لم يوقف الفتوحات فإنه بعد أن جاوزوا جبل اليرينات استولوا على مدينة ناريون وبعض مدن من فرنسا الجنوبية وامتدت فتوحاتهم إلى قسم برجونا ثم قام عبد الرحمن بجيش جرار قاصداً بذلك فتح باقي بلاد فرنسا فقابله شارل بن يمين دوهير ستال لما علم بقدم عبد الرحمن المذكور وانتصر جيش العرب على الجيش المكون من المغول والجرمانيين تحت قيادة شارل المذكور على شواطئ نهر بوانيه ورجعوا إلى أسبانيا واكتفروا بأمرهم وذلك سنة ١١٨ من الهجرة المرافعة لسنة ٧٣٢ ميلادية وفي سنة سبع وتسعين هجرية خرج سليمان بالجيش ونزل بمرجد ابن وبعث أخاه مسلمة إلى القسطنطينية وقال له أنم عليها حتى نفتحها وأقام مسلمة قاهراً لها حتى جاء الخبر بموت أخيه سليمان وذلك سنة تسعة وتسعين هجرية وفي أيامه بنى أسامة بن زيد الملقب بالتنوق مقياس النيل الموجود بحلوان وأوصى بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز ومدة خلافة سليمان سنتان وثمانية أشهر.

عماله على مصر

لما تم له الأمر أقر عبد الملك بن رفاعه في مصر على صلاحتها وجعل على خراجها أسامة بن يزيد التنوخي فبنى هذا العامل مقياس النيل بالروضة سنة ٩٧ هـ بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك لما تهدم مقياس حلوان وخاطبه في ذلك ثم مات الخليفة سليمان في ٢١ صفر سنة ٩٩ هـ وأوصى بالخلافة لابن عمه عمر ابن عبد العزيز

الناصر وهو عمير بن عبد العزيز بن مروان

وهو المقلب بالاشج بويع بالخلافة بعد موت سليمان ولما تم له الأمر رفع
المظالم التي صدرت ممن سبقه من الملوك وغير سب الامام علي كرم الله وجهه
على المنابر لقوله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وقوله تعالى إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون

وله مناقب كثيرة

منها أنه باع جميع ما يملك هو ونساؤه برضائهن وأدخله في بيت المال ومنها
المحافظة على ما في بيت المال محافظة شديدة ومما يؤثر عنه في تلك المحافظة ان
خادمه أتاه يوماً بما يقضى به حاجته فقال له من أى شىء سخنت هذا الماء فقال
له من خشب بيت المال فأمر بشراء غيره ورده إلى محله ومدة خلافته سنتان
وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً وبويع بعده ليزيد بن عبد الملك

عمارة على مصر

وكان العامل من طرفه على مصر أبو أيوب بن الصباح ثم بشير بن صفوان
وهو أول من فرض لأبناء السبيل شيئاً ليقوم ببعض حاجاتهم واليه ينتهى العلم
والورع وشرف النفس وتوفى رضى الله عنه بدير سمعان ودفن به وعمره تسعا
وثلاثين سنة ويقال انه مات مسموماً وسبب ذلك أن بنى أمية خافوا منه أنه لو
امتدت أيامه ربما يخرج الملك من أيديهم وأنه لا يعهد به إلا لمن يصالح للأمر
ولو كان من غيرهم فعاجلوه وسموه وقيل غير ذلك

التاسع يزيد بن عبد الملك بن مروان

ولى الأمر يوم موت ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وذلك أنه لما احتضر عمر
ابن عبدالعزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك سلام عليك
أما بعد فإني لا أراى الا مفارقا للدنيا فإلله الله فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانك تدع
الدنيا لمن لا يحمذك ويعذك والسلام ولما تم له الأمر قال خذوا بسيرة عمر
ابن عبدالعزيز فسار بسيرته مدة وهو محمود السيرة إلى أن دخل عليه أربعون
رجلا من أهل الشام وحلفوا له انه ليس على الخليفة حساب ولا عقاب فى
الآخرة فخدعوه بذلك فانخدع ولم ينتفع به بعد ذلك فى الخلافة وخرج فى أيامه
اليزيد بن المهلب فأرسل إليه أخاه مسلمة فقاتله وظفر به ثم توفى يزيد فى حوران
بعد أربع سنين من خلافته وعهد بالأمر بعده إلى أخيه هشام بن عبد الملك

عمره على مصر

أمر أيوب على مصر وبقي بها إلى أن مات لحدى عشرة من رمضان سنة
١٠١ هجرية وفى أيامه نزل الروم تديس ثم ولاه يزيد على افر بقية فخرج إليها
فى شوال سنة ١٠٢ هـ واستخلف أخاه حنظله فولى حنظله بن صفوان باستخلاف
أخيه فأفره يزيد بن عبد الملك وخرج إلى الاسكندرية فى سنة ١٠٣ هـ واستخلف
عقبه بن مسلمه وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة ١٠٤ بكسر الأصنام ومحو
التماثيل فكسرت الأصنام ومحيت التماثيل وفى سنة ١٠٥ هـ مات يزيد بن عبد الملك
وبويع هشام بن عبد الملك .

العاشر هشام بن عبد الملك

تولى بعد وفاة يزيد الثانى سنة ١١٠ هـ وكان رحمه الله حازما عاقلا صاحب
سياسة حسنة وكان ذا رأى ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شر فقام بالخلافة أتم

قيام ويوصف بالبخل والحرص ولذلك قيل إنه جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله .

وفي أيامه غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا عليهم وغنموا كثيرا من الغنائم وقتلوا من الترك كثيرا وقتلوا خاقان ملك الترك وكان المتولى لحرب الترك أسد بن عبد الله القسرى .

وفي أيام هشام أيضا خرج زيد بن علي زين العابدين ودعا إلى نفسه وأسرعت إليه الشيعة وكان الوالى على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى فجمع العساكر وناوش زيدا القتال فأصاب زيدا سهم فى جبهته فحمل من المعركة ومات ودفن فلما أصبح الصباح استخرجه يوسف من قبره وصلبه .

ومات هشام بالرصافة التى بناها بأرض الشام سنة ١٢٥ هـ بعد أن أقام فى الخلافة نحو عشرين سنة .

عمارة على مصر

لما تم له الأمر صرف حنظله عن مصر فى شوال سنة ١٠٥ هـ فكانت ولايته عليها ثلاث سنين وولى عليها من قبله (محمد بن عبد الملك بن مروان) على الصلوات فدخل مصر لحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٠٥ هـ وفى مدته حصل وباء شديد فى مصر فى أسفلها فانتقل محمد إلى الصعيد فأرأى من الوباء وبقي به أياما ثم قدم إلى مقره الأصيلى وخرج من مصر بعد شهر وانصرف إلى الأردن وولى الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم على صلاتها فدخل بها لثلاث ليال خلت من ذى الحجة سنة ١٠٥ هـ .

وفى مدته كان أول انتقاض للقبط فى سنة ١٠٧ هـ فربط بدمياط ثلاثة أشهر ثم وفد على هشام فى شوال سنة ١٠٧ هـ فولى مكانه حفص بن الوليد فقدم إليها فى ذى القعدة سنة ١٠٧ هـ وصرف عنها فى ذى الحجة سنة ١٠٨ هـ باستعفائه

لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله بن الحجاب متولى خراج مصر فتولى عبد الملك
ابن رفاعة ثانيا على الصلوات فقدم إليها من الشام وهو عليل لا تقي عشرة ليلة
بقيت من المحرم سنة ١٠٩ هـ وكان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم وقيل بل
ولى أخره من أول محرم ومات بالنصف منه وكانت ولايته نصف شهر ثم ولى
أخوه الوليد بن رفاعة باستخلاف أخيه فأفره هشام بن عبد الملك على الصلوات
وتوفى وهو وال عليها في أول جمادى الآخرة سنة ١١٧ هـ واستخلف عبدالرحمن
بن خالد فكانت أمرته تسع سنين وخمسة أشهر ثم ولى بعده عبدالرحمن بن خالد
الفهمي على صلاتها وصرفه هشام عنها بعد أن ولى أمرها سبعة أشهر وولى
حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم لخمس خلت من محرم سنة ١١٩ هـ فانتقض القبط
ثانيا فخار بهم في سنة ١٢١ هـ ثم ولاه هشام افرقيمة فاستخلف حفص بن الوليد
بأمر هشام سنة ١٢١ هـ وخرج منها لسبع خلت من ربيع الأول سنة ١٢٤ هـ
فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر وولى حفص بن الوليد الحضرمي
ثانيا باستخلاف حنظلة بن صفوان على صلاتها فأفره هشام إلى ليلة الجمعة لثلاث
عشرة خلت من شعبان سنة ١٢٤ هـ وجمع له الخراج والصلوات واستسقى بالناس
وخطب فيهم ودعا ثم صلى بهم وبقى بها إلى أن مات هشام بن عبد الملك

الحارثي عشر الوليد الثاني به يزيد بن عبد الملك

وكان الوليد بن يزيد مقبلا بالبادية فلما مات هشام سار تورا إلى دمشق وتولى
الخلافة سنة ١٢٥ هـ وأقام بالملك سنة واحدة وكان أكمل بني أمية أدبا وفصاحة
وأعرفهم بأداب العرب ولغتهم وكان كثير السباحة والكرم إلا أنه كان منهمكا
في اللذات مستحقا بأمر الأمة مشغولا بالملاهي متظاهرا بالمعاصي ولذلك أجمع
أهل دمشق على خلعه وقتله لتظاهرة بالمنكرات والزندقة وبما يؤثر عنه انه

فتح المصحف الشريف يوما ليستفتح فنظر فيه فرأى قوله تعالى (واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد) فمزقه وقال .

تهددني بجبار عنيد فما أنا ذاك جبار عنيد
إذا لافيت ربك يوم حشر فقل يا ربى مزقى الوليد
وكأنه قد نسي أن الدنيا بطولها والعرض كسوق قام ثم انفض خسر فيه من
خسر وربح فيه من ربح وإن كل امرئ مجزى بعمله ان خيرا فخييرا وإن شرا
فشرا ولكنه ينطبق عليه قول القائل .

عجبا لراج أن ينال ولايه حتى إذا ما نال بغيته بغى
يسدى ويلحم فى المظالم والغا فى وردها طور او طرر امولى
مان يبالى حين يتبع الهوى فيها أصلح دينه أم أو تفى
يا ويحه لو كان يوقن أنه ما حاله إلا تحول لما طغى
ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور كفانا الله
شر الأشرار وكيد الفجار اللهم ولى أمرنا خيارنا ولا تولى أمورنا شرارنا
وأصلح أحوالنا وبلغنا مما يرضيك آمالنا .

وكان جزاءه القتل فقتلوه سنة ١٢٦ هـ بعد أن ولى سنة واحدة كما سبق
وبقتله اضطربت البلاد وانتصر على بنى أمية أعداؤهم ولم تقم لهم قائمة
بعد ذلك وسهل عليهم قتل الخلفاء

عمالة على مصر

انه لما تولى افر حفصا السابق الذكر على الصلوات والخراج كما كان ثم صرفه
بعد ذلك عن الخراج وغيره بعيسى بن أبى عطاء وذلك لسبع بقيت من الحرم
سنة ١٢٥ وانفرد بالصلوات ولم يزل كذلك حتى وفد على الوليد بن يزيد واستخلف
غيره ابن نعيم الرعيني وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن
الوليد بن عبد الملك

الثاني عشر وهو يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك

تولى الأمر والأمر مضطربة والقلوب متقلبة وكان يلقب بالنافع فتفائل
بني أمية بتوليه الأمر وكان كثير التعبد محمداً السيرة متخلقا بأخلاق عمر بن
عبد العزيز وكان محافظاً على الدين محافظة تامة إلا أنه لم يتم له الأمر إلا وبغته
المنية فتوفى بالطاعون بعد أن حكم خمسة أشهر وأيام.

عمارة على مصر

انه أرسل حفصاً من الشام إلى مصر وأمره بالحق بجنده وأمره على ثلاثين
الفا وسار إليها بذلك الجيش وفرض الفروض وبعث يبعه أهل مصر إليه ويق
بها إلى أن بلغه وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

الثالث عشر ابراهيم بن الوليد

بويج بالخلافة بعد وفاة يزيد الثالث سنة ١٢٦ هـ ولم يكده يتم له الأمر حتى
سار إليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم في جيش عظيم قاصداً عزله ولما
علم بذلك ابراهيم بن الوليد جهز له جيشاً مع سليمان بن هشام واقتلوا فانهزمت
اصحاب ابراهيم وسليمان وقتلوا ابني الوليد بن يزيد وكانا في السجن ثم اختفى
ابراهيم ونهب سليمان ما في بيت المال وقسمه على اصحابه وخرج من دمشق ولم
يبث ابراهيم في الخلافة غير سبعين يوماً وقيل ثلاثة أشهر
ولم تكن مدته كافية لارسال عمال إلى مصر او سواها من بلاد الدولة

الرابع عشر مروان بن محمد

وبويج له بعد ابراهيم بن الوليد ولما استقر له الأمر عاد إلى حران وارسل
إلى ابراهيم بن الوليد يستأمنه فأمنه وقدم عليه ولكنه في زمنه كثرت الفتن

واستفحل الامر واستحكم الخلاف في البلاد وخرج بعضها عن الطاعة
لانه في عهده قام محمد حفيد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بين العباسيين في اظهار
حقوق بني العباس واستحقاقهم للخلافة من بني أمية وبعث من قبله أناسا
يحرضون الناس على الخروج عن طاعة بني أمية فأجابهم ابو مسلم أمير
خراسان وأظهر الخروج عن الطاعة فزدحم المسلمون تحت لوائه وعند
ذلك حصل بين الأمويين والعباسيين مشاجرة عظيمة على نهر الذاب سمك
فيها كثير من الدماء ونزل مروان حين القتال عن جواده ففزع الجواد وخاض
بين المتقاتلين فظنوا أن مروان قد قتل فاختلفت صفوف العساكر الشامية
ورجعوا على أعقابهم لاعتقادهم أن مروان قد قتل وهرب مروان واجتاز
جزيرة النهرين وفلسطين ولم يزل سائرا على قدميه حتى وصل الى مصر فأدركه
صالح أخو عبد الله السابق الذكر في كنيسة بأبي صير من قرى مصر فقتله وقيل
أن الذي قتله هو عامر بن اسماعيل المزني الذي كان مع السفاح وكان مروان
وقت قتله جالسا يتناول طعام العشاء فجاس وأكل طعام مروان بعد قتله وأرسل
برأسه الى عبد الله العباسي بالكوفة فعرفوها وأيقنوا بانقراض الدولة الأموية
وذلك سنة ثلاثة وثلاثين ومئة من الهجرة وكان عمر مروان حين قتل ست
وخمسون سنة ومدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر

وأصر السفاح أن ينتقم من الأمويين دفعة واحدة أخذنا بثأر أبيه وإراحة
لأسرته مما كابدوه من المشاق أيام الأمويين فقتل ألوفا من الأمويين وخذع
منهم بدمشق سبعين أميرا واحتال على قتلهم حيث أنه أظهر لهم الوداد وعمل
لهم ضيافة للصالح وأكمن لهم عساكر ضربوا رؤسهم على حين غفلة ووضعت
على أجسامهم الألواح وفرشت فرقا بسط جالس عليها أبو العباس السفاح الذي
لقب من هذا الوقت بالسفاح وجلس العباس مع جميع أمراء جيشه يأكلون

ويشربون وتحتهم من يكابد حرارة الموت ويعالج خروج الروح من نبي أمية
الذي قصد السفاح استئصالهم

ونجا منهم عبد الرحمن بن معاوية وفر هاربا إلى بلاد الأندلس ودعا
أهلها إلى بيعته فبايعوه ودخوا تحت طاعته وأسس بها دولة أموية جديدة بقرطبة
تسمى بالدولة المروانية غير تابعة للدولة العباسية وكان ذلك في جمادى الثاني
من سنة ١٣٢ هـ

عمالة على مصر

وها نحن نذكرها بعد ذكر عماله على مصر . لما ولي الأمر كتب حفص
يستعفيه من ولاية مصر فأعماه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين
إلا شهر وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن وهر بالشام فكتب إلى
خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص إلى خير ثم قدم حسان لاثنتي عشرة خلت
من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ على الصلوات وعيسى بن أبي عطاء على الخراج
فأسقط حسان فروض حفص كلها فرتبوا عليه وقالوا لا نرضى إلا بحفص
وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الخراج وذلك في آخر جمادى الآخرة
وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها
أخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان . ولحق حسان
بمروان ووفد حنظلة بن صفران من أفريقية وقد أخرجهم أهلها فنزل الجيزة
وكتب مروان إليه بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولايته حنظلة
وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة إلى الحرف الشرقي ومنعوه من المقام بالفسطاط
وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فخاربه وهزموه وسكت
مروان عن مصر بقية سنة ١٢٧ ثم عزل حفصا أول سنة ١٢٨ وولى (الحوثره
ابن سهل) ابن العجلان الباهلي فسار إليها في آلاف وقد اجتمع الجند على منعه

فأبى عليهم حفص نخافوا حوثة وسألوه الأمان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط
وقد اطمأنا نرا اليه نخرج اليه حفص ووجره الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم
الجند ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج لاثنى عشرة خلت من المحرم
وبعث في طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد
ثم صرف في جمادى الأولى سنة ١٣١ وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف
على مصر (حسان بن عتاهية) وقيل استخلف أبا الجراح بشر بن أوس وخرج
لعشر خلت من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ثم ولى (المغيرة
ابن عبد الله) ابن المغيرة الفزاري على الصلوات من قبل مروان فقدم لست
بقيت من رجب سنة ١٣١ وخرج الى الاسكندرية واستخلف أبا الجراح وتوفى
لاثنى عشر خلت من جمادى الأولى سنة ١٣٢ فكانت ولايته عشرة اشهر
واستخلف ابنه (الوليد بن المغيرة) ثم صرف الوليد في النصف من جمادى
الآخرة وولى (عبد الملك بن مروان) ابن موسى بن نصير من قبل مروان
على الصلوات والخراج وكان واليا على الخراج قبل ان يولى الصلوات في جمادى
الآخرة سنة ١٣٢ هـ فأمر باخذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وإنما كان ولاية
الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فخاربهم وقتل كثيرا
منهم ثم سار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء
لثمان بقيت من شوال سنة ١٣٢ وفسد سود أهل الحرف الشرقي واهل الاسكندرية
واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعدية النيل واحرق دار آل مروان
المذهبة ثم رحل الى الجيزة وعبر الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فقاتلوا
وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد وبينما هو كذلك
إذا قبل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طابه هو وابو عون عبد الملك
ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من

الجزيرة بعد ما استخلف على مصر معاوية بن بحيرة فخارب مروان حتى قتل يوم الجمعة لسبع بقية من ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ ودخل صالح الى الفسطاط يوم الأحد ثمان خلت من المحرم سنة ١٣٣ هـ وبعث برأس مروان الى العراق فأيقنوا ان مروان قد قتل وبموت مروان قد انقضت أيام بني أمية والأرض لله يورثها من يشاء من عباده وبذلك قد انتهى ذكر عمالهم على مصر

وما تقدم يعلم أن سبب انقراض دولة بني أمية هو عدم تيقظ ملوكهم الى أحزاب العباسيين حتى قويت فإن العباسيين لا اعتقادهم الأحقية للخلافة لقرابتهم من رسول الله ﷺ كانوا يدعون الناس سرا لبيعهم من أول خلافة الأمويين وهم لا يكتثرون بذلك حتى قوى حزبهم وصارت لهم عصبية قوية فقاموا في عهد مروان الجعدى وبايعوا عبد الله السفاح بالكوفة فتحارب مع مروان وهزمه واستخلص الدولة لنفسه كما سبق وهذا شأن كل أمة غفلت عن ملكها وغرقت في بخار شهواتها

وتمتاز هذه الدولة بأنها كانت عربية محضة لم يكن لغير العنصر العربي فيها تغلب ولا ساطان وفي عهدها اتسعت حدود الممالة الإسلامية من جهة الشرق والغرب والشمال وامتدت الى املاكها بلاد الهند وجزءا عظيما من بلاد التركستان الى حدود الصين ومن جهة الشمال اخذوا كثيرا من بلاد الروم واستولوا على كثير من حصونهم وجعلوا لهم أسطولا يغزون به في البحر الأبيض المتوسط حتى صارت تخافهم دولة الروم وتخشى سلطانهم وفي عهد هذه الدولة اشتغل الناس كثيرا بالعلوم الدينية والأدبية واللغوية وكان للشعراء والأدباء فيها حظ عظيم

وما يعاب عليهم ان كثيرا من خلفائها انهم كروا في الشهوات واستبدوا في

امرهم ورأوا أن الأمة اقل منهم شأنًا وتركوا الاستشارة في امرهم فضلوا
واضلوا وقد ولى في عهدهم كثيرا من امراء الجور والعسف كالحجاج بن يوسف
الثقفى وغيره من ولاة السوء ولذلك محت هذه السيئات ما كان لهم من كثير
الحسنات فلم تكبر في انظار عامة المسلمين وخاصتهم مع ما لهم من المآثر الجليلة
والفتوحات الكثيرة والأعمال الجليلة

وما تقدم يعلم ان السيئات يذهبن الحسنات كما ان الحسنات يذهبن
السيئات كذفانا الله تعالى شر الزلل في التول والعمل انه سميع قدير
وبالاجابة جدير .

دولة الاصبين بالاندلس

هذه الدولة حكمت من سنة ١٢٩ الى سنة ٤٢٢ هجرية عبارة عن ٣٨٣ سنة
وعدد ملوكها سنة عشر ملكا كانت الأندلس في هذه المدة منتظمة الأحوال
بالغة من الرفعة غايتها ومن المدنية نهايتها فانتشرت فيها العلوم والآداب وارتفعت
فيها أحوال التجارة والزراعة والصناعة ولم تنزل آخذة في التآدم حتى وصلت
الى أرفع درجة وبعد ذلك اخذت في السقوط حتى نزلت الى الحضيض وتمزقت
كل ممزق ثم تلاشت ولم يبق لها اثر في الوجود حتى كأنها لم تكن كما هو شأن
كل دولة حصل الخلف فيها وتشعبت آراؤها وكثرت أحزابها وتفرقت
كلتها وتشعث قلوبها سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

وأول ملوكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

ابن عبد الملك بن مروان

بويغ له في الأندلس سنة ١٣٩ تسعة وثلاثين ومئة وكان يلقب بالداخل
لدخوله وتملكه للاندلس

وهذه الدولة قد خرجت من ملك بني العباس وقصة تملكه للانديلس طريفة
ملخصها انه لما قامت الدولة العباسية وأخذوا يتبعون بني أمية قتلها هرب
عبد الرحمن المذكور وخرج محتفيا وما زال يتنقل من جهة إلى أخرى حتى دخل
بلاد الاندلس كما سبق وكان بها رجال من بقايا عمال بني أمية ومواليهم فأعانوه
حتى انتزع الاندلس من عمال بني العباس بهمة وحسن تديره واستفحل ملكه
وعظم أمره وملك بعده ذريته وكان دخوله الاندلس في خلافة المنصور العباسي
وكان المنصور يعجب من أمره ويثنى عليه في مجالسه ويمدحه فيها ويسميه صقر
قريش وأراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن من ذلك ولما استقامت
أموره وتمت له الراحة في ملكه بلغة عن بعض من اعانة انه يقول لولا نحن
لما توصل لهذا الملك وكان ابعده من النجم الذي في السما وعن بعضهم انه يقول
انما اعانه سعده لا عقله وتديره فخره ذلك وكان شاعرا فصيحاً يقول الشعر
الفصيح فأنشده يقول .

لا يانف ممتن علينا فائل	لولاي مامالك الامام الداخل
سعدى وحزمى والمهندوالقنا	ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب	نجم بطالعنا وتجم آفل
والخزم كل الخزم الا يغفلوا	أيروم تدير البرية غافل
وبقول قوم سعده لا عقله	خير السعادة ما حراها العافل
ابني أمية قد جبر ناصدكم	بالقرب رغبوا والسعود قبائل
ما دام من نسلي أمام قائم	فالملك فيكم ثابت متواصل

وأخذ ينظم احوال الاندلس حتى عم الأمن وتمت الراحة في جميع البلاد
ووصلت إلى أعلى درجات التقدم والحضارة وصار فيها نافذة الكلمة مطلق التصرف
حتى هابته الملوك وخافته العظماء والولاه وجند مجد بني أمية واعلى ذكرهم

وكان عازما على اعادة دولتهم في الشرق لولا انه حالت بينه وبين ذلك
عقبات كثيرة مات قبل افحامها وهو الذي بنى بقرطبة القصر والجامع وادار
سوقها ونظم طرقها واكثر فيها العمران والمباني وكان من اهل العلم والفضل
وعلى اجمل سيرة في الحزم والعدل وله ادب فائق وشعر رائق ذكرهم المؤلفون
في مطر لااتهم وفي آخر ايامه اوصى بالخلافة لابنه ثم مات بعد ان حكم ثلاثا
وثلاثين سنة واربعة اشهر وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٢ هـ
وعمره تسع وخمسون سنة

الثاني هشام بن عبد الرحمن الداخل

تولى بعد موت ابيه بمهد منه ويكنى بابي الوليد وكان حسن السيرة متحليا
بالعدل والفضل وكان يشبه بعمر بن عبدالعزيز في العدل والورع وكان يعود
المرضى ويشهد الجنائز ويتصدق بالصدقات الكثيرة من ماله وربما كان يخرج
في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه سرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوى
البيوتات من الضعفاء وكان يبحث عن احوال امور عماله حتى اذا بلغه عن
احدهم جيف عزله ولم يوله بعد ذلك ولم يزل كذلك معروفا بالعدل والفضل
موصوفا بالحلم والجود الى ان توفى في صفر سنة ١٨٠ هـ بعد ان حكم سبع
سنين وسبعة اشهر وعمره تسعة وثلاثين سنة واربعة اشهر

الثالث الحكم بن هشام

استخلفه ابوه قبل موته وتولى وله من العمر اثنان وعشرون سنة وكان
يكتمى ابا العاص وكان منهمكا في اللذات في مبدأ عمره حتى انه اوقع باهل
الريب وخاف منهم فجعل لهم محله متصله بقصره لما اتهمهم في بعض امره وبعد
ذلك قتلهم وهدم دورهم ومساجدهم ولم يزل كذلك متماديا في طغيانه الى ان

احدث الفقهاء في ايامه اشجار الزهد والحض على قيام الليل والادعية التي اودعوا فيها التعريض به مثل قولهم يا أيها المشرق المتماذي في طغيانه المصير على كبره المتهاون في امر ربه افق من سكرتك وتنبيه من غفلتك وكان هذا من جملة ماهاجه واوغر صدره عليهم وكانوا اشد الناس عليه فأنهم كانوا يحرضون عليه العامة ويشجعونهم حتى قاموا عليه وكان بينه وبينهم ما كان فرجع عما كان عليه مخافة العزل او القتل واستقام فاستقامت له الامور وكبت اعداؤه وقمع الخارجين عليه.

ومنهم عمه سليمان وعبدالله ابنا عبدالرحمن وكانا في بر العدو فظهر بسليمان فقتله وصالح عبدالله خوفا منه وكانت مدة خلافته ستة وعشرين سنة وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٠٦ هـ وعمره اثنان وخمسون سنة وخلاف تسعة عشر ابنا من صلبه.

الرابع عبد الرحمن بن الحكم

تولى بعد ابيه الحكم بن هشام ولما تم له الامر خرج عليه عم ابيه عبدالله البليسي فتجهز له عبدالرحمن فلما بلغ ذلك عبدالله خاف فرجع الى بلنسية ثم مات في اثناء ذلك وبعد موته نقل عبدالرحمن اولاده واهله اليه بقرطبة وخلصت الخلافة لولد هشام بن عبدالرحمن وكانت مدة خلافته احدى وثلاثين سنة وستة اشهر وخلف خمسة واربعين ولدا وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٨٨ وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة ومدة ولايته احدى وثلاثون سنة وثلاثة اشهر

الخامس محمد بن عبد الرحمن

ولى بعد ابيه وكان فيها فصيحا بليغا كثير الجهاد وهو صاحب وقعة طليطلة المشهورة التي قتل فيها آلاف من اعدائه وتوفي سلخ صفر سنة ٢٧٣ هـ وعمره

خمس وستون سنة ومدة ولايته أربع وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وله ثلاثة وثلاثون ولدا .

السادس المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

بويغ له بعد موت ابيه بثلاث ليال فاحسن إلى الناس وعدل فيهم فأحبوه وكان جوادا يحب الشعر ويجيز الشعراء ولم تطل مدته بل مات بعد ان حكم سنة واحد عشر شهرا وكانت وفاته في المحرم سنة ٢٨٥ هـ بعد ان عمر اربعين سنة وخلف ستة ذكور وبعد موته بويغ اخوه عبد الله بن محمد .

السابع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

تولى يوم وفاة اخيه وكثرت في ايامه الفتن والثورات بالأندلس فتار عليه ابن مروان ببطليوس وابن ناكيت بما رده واب بن محمد بسر قسطة وطليطلة ومطرف بن موسى بن ذى النون الهوارى بشذت مري وابن حفصون في ششتر ومالقه ورنه وثوار اشديابة وغيرهم ثم توفى في ربيع الأول سنة ٣٠٠ هـ ومدته حركه خمس سنين واحد عشر شهرا وله احدى عشر ابنا احدثهم محمد المقتول الذى قتله ابوه فى حد من حدود الله وهو والد عبد الرحمن الناصر الذى تولى بعد جده .

الناصر عبد الرحمن الناصر لدينه الله بن محمد بن عبد الله

ولى بعد جده ونزل بحضرة اعمامه وامام ابيه ولم يختلفوا عليه وهو اول من لقب بالقب الخلفاء من الأمويين وخطب بأمر المؤمنين وكانوا يخاطبون قبله بالامراء وابناء الخلائف وكان شابا فطنا فاستقل بالأمر منفردا دون اعمامه واعمام ابيه وهابه الناس وسكن الاضطراب بالأندلس وقاتل المخالفين له حتى اذعنوا واستقامت الامور فى الاندلس فى نيف وعشر بن سنة من ملكه ودامت

ايامه خمسين سنة ونصفاً شيد فيها ملك بني امية هناك حتى صارت مدينة قرطبه
حاضرة الاندلس منبع العلوم والآداب تضارع بغداد اذ ذلك وبعد ان
اخضع تلك الأقاليم وعلا ساططانه فيها شرع في تشييد المباني الفاخرة
والقصور الشاهقة واخط مدينة الزهراء واتخذها دار ملكه وانشأ بها من
القصور الشاهقة والمباني العجيبة والبساتين الكثيرة ما فاق عن عمل اجداده
وجعل فيها دوراً للصناعة على اختلاف انواعها وغير ذلك مما لا يكاد يحصى ولم
يزل مجداً في الأعمال العظيمة حتى توفي ٣٥٠ هـ وعمره ثلاث وسبعون سنة
وولي بعده ابنه الحاكم

التاسع الحاكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد

تولى بعد وفاة عبد الرحمن الناصر فطمع الجلائقة في الثغور فغزاهم فعمدوا
معه صلحا وهابوه وانتظم الأمر بينه وبينهم
وفي عصره تقدمت الفنون بأسبانيا وكان مغرماً بجمع الكتب النفيسة
ولم يكن يدخر شيئاً في سبيل الحصول عليها من الجهات البعيدة ولذلك كان
يرسل الى جميع الأقطار العربية إناساً ينسخون له جميع المؤلفات الجديدة
والكتب المفيدة ولذلك حصل على مقدار عظيم منها لم يتوفر لأحد غيره من
ملوك عصره وجعل بقصر مروان بقرطبة مكتبة واسعة ونظر عليها أحد
آخرته ولعطاياه الوافرة والحمولة التي كان ينالها عنده أصحاب العلوم على اختلاف
درجاتهم وطبقاتهم قدم عليه من الأقطار كثير منهم وزادوا في عصره عما كانوا
أيام أبيه حتى أنه لكثرة الرغبة في العلوم لم تكن خاصة بالرجال بل نبغ فيها
كثير من النساء وبالجملة فإن عصره كان عصر أزهراً ازدهت فيه العلوم بالاندلس
وبلغت فيه المدينة العربية أوج الكمال وكانت وفاة هذا الخليفة الذي بكته

الأقلام ولبس عليه العلم ثوب الحداد سنة ٣٦٦ هـ ومدة خلافته خمس عشر سنة وخمسة أشهر وعمره ٦٣ سنة وسبعة أشهر .

العاشر هشام المؤيد به الحكم

تولى بعد أبيه بعهد منه وله من العمر عشر سنين ولقب المؤيد بالله واختلت الأمور في أواخر أيامه وقامت عليه الرعية حتى قبض عليه وحبس ثم هدأت الفتن وعاد إلى الخلافة ثانياً وذلك أنه لما ولى الأمر تحجب له المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري وإبناه المظفر ثم الناصر فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس فلم يكن يراه أحد ولا يصل إليه شيء من أحوال الناس وأخبارهم وقام بالنيابة عنه حق القيام وكان ذلك بأمر والدته وعدل في الرعية وغزا وساعدته المقادير ففتح كثيراً من البلاد وأمتلأت بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق وجعل أكثر جنده منهم وكانوا يعرفون بالعامريين ومنهم واضح الفتي وخبران المشهوران بالشجاعة والقوة وكانا من أشهر قوادهم وأدام الله الحال على هذا المنوال ستة وعشرين سنة غزا فيها اثنين وخمسين غزوة كان النصر فيها حليفه ثم توفي سنة ٣٩٢ وكانت خصاله حميدة ومآثره عديدة حسن الرأي والتدبير منصوراً في مغازيه ولما مات (ولى الأمر بعده ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر وهو الحادى عشر فسار كسير أبيه إلا أنه مات بعد سبع سنين من توليته (وولى بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بالناصر) وهو الثانى عشر فسلك طريقاً غير طريقتهما وأخذ في السكر وغير ذلك من سفاسف الأمور وطمحت نفسه للخلافة فدس إلى المؤيد من يخوفه منه إذا لم يعهد له بها فعهده ففقد الأمويين عليه ولم يزالوا متربصين به الدوائر مصيرين على الخروج عليه إلى أن اتهموا فرصة غياب الناصر في بعض مغازيه فخلعوا طاعة المؤيد وبايعوا

محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله ولقبوه بالمهدى ولما بلغ الخبر الناصر رجع وقاتل حتى قتل وكفى الله الناس شره .

الثالث عشر محمد بن هشام الملقب بالمهدى

تولى آخر جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ ولما تم له الأمر وملك قرطبة أخذ المؤيد وحبسه في القصر أولا ثم أخرجه منه بعد ذلك وأخفاه وأشاع أنه قد مات ثم أظهره بعد ذلك وكذب نفسه أمام الناس وكانت مدة المؤيد الى أن حبس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم أنتقد الناس على المهدي أشياء منها إنه كان يضع النيذ في قصره فسمره نباذا ومنها فعله بالمؤيد ما فعله وإنه كان كذابا متكونا ومنها إنه كان مبخضا للبربر فقاموا عليه واستعانوا عليه بملك قشتاله (وهو العنس الخامس) وكان ذلك غاية أمنيته لأنه كان يود ضعف دولتهم حتى يتمكن من زوالها فامده بجيش عرمرم وذهب منه الى قرطبة فخاربوا المهدي وقتلوا من جنده نحو عشرين ألفا وغلبوه وخاعوه وبايعوا سليمان بن الحكم ولقب نفسه المستعين بالله .

الرابع عشر سليمان بن الحكم المستعين بالله

بويح بالخلافة في منتصف شوال سنة اربعائة هجرية ولما تم له الأمر سار الاعداء واستعان بهم فاعافوه وساروا معه الى قرطبة وكان هذا العمل من اسوأ أفعالهم ومن أفظع غلطاتهم فاقتلوا مع المهدي بقبشيع وحصات بينهم الواقعة المشهورة التي قتل فيها من المسلمين مالا يحصى عدده ثم أنهزم المهدي وفر إلى قرطبة وتحصن بها ودخل سليمان البلد وحصره في القصر فلما رأى المهدي ما نزل به من الضيق أظهر المؤيد الذي كان قد اخفاه من قبل وأشاع أنه قد مات ظنا منه أنه يخلع هو والمستعين ويرجع الأمر الى المؤيد فلم يرافقه أحد لا اعتقادهم أن المؤيد قد مات فلما أعياه الأمر وضائق به الحيل احتال في

الهروب فهرب سرا وأختفى ودخل المستعين التمصر وأغار البربر والروم على قرطبة فنهروا وسابوا وأسروا عدداً عظيماً من أهلها وأخذت قوة المسلمين في الضعف وفرح بذلك اعداءهم الذين كانوا لا يزالون يتربصون بهم الدوائر التي تدور عليهم .

عود المهدي وقتله وعود المؤيد

لما اختفى المهدي فر إلى طليطلة وجمع الجيوش وسار إلى النرس سنة ٤٦٠ هـ فأنجده وجمع له الجيوش وسار بهم إلى قرطبة فخرج إليهم المستعين وأقتلوا قتالاً شديداً فانهزم المستعين ومن معه بعدما قتل من الطرفين كثير ومضى المستعين إلى شاطبة ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجاب به إلى واضح الفتى ثم أن جماعة من العامرين كانوا مع المستعين بالله فأسلوا إلى المهدي يطلبون الدخول في دابته بشرط أن يجعلهم في جماعة رجاله فاجابهم فلما دخلوا قرطبة استعانوا بواضح الفتى على قتله المهدي فاجابهم فدخلوا عليه قصره فقبضوا عليه وأخذوه أسيراً ثم أخذوا المؤيد وأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه فاحضر المهدي بين يديه وعدوه له ذنبه ثم أمر بقتله فقتل وطاقوا برأسه في قرطبة وكان عمره ثلاثة وثلاثين سنة .

واستمر المؤيد في ملكه إلى أن أتفق البربر مع سليمان بن الحكم بن سليمان ابن عبد الرحمن الناصر الأموي واعدوه إلى الخلافة وأقب نفسه المستعين بالله فخرج المؤيد من قصره بقرطبة ولم يعلم له مقر بعد ذلك وبقى سليمان المستعين بالله يدبر الأمر إلى سنة ٤٠٧ هـ ثم خرج عليه أحد القواد المسمى خيران العامري من أصحاب المؤيد ومعه كثير من الناس وجرى بين الفريقين قتال كانت عاينه هزيمة سليمان وأخذ أسيراً وبقيت قرطبة في يد خيران أن تولى على بن هجوم العلوي .

(انقراض الدولة الأموية من الأندلس وأخبار الدولة العلوية بها)
لما علم علي بن حمود العلوي خروج خيران العامري على سليمان وكان ابن
حمود وقتئذ مسؤولا على سينة ويده وبين الأندلس (عدوه المجاز) وكان أخوه
القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء طمع في حكم الأندلس فعبث من سينة
إلى مارقه فاجتمع إليه خيران وغيره وبايعوه على طاعة المؤيد إن طهر خبره
ثم أنه لما تم له الأمر أحضر سليمان المستعين بالله وقتله هو وأخوه وأبوه
وأظهر موت المؤيد وبايع لنفسه ولقب نفسه بالمتوكل على الله.

وقيل الناصر لدين الله وهو علي بن حمود بن أبي العيش ميمون بن احمد بن
علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ثم أن خيران خرج من طاعة بن حمود لأنه إنما وافقه طمعا في
المؤيد بقصر قرطبة وإعادته إلى الخلافة وسار خيران من قرطبة بطلب شخصا
من بني أمية يقيم في الخلافة إلى أن لقي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن
عبد الرحمن الناصر كان في (جيان) مستخفيا فبايعه ولقبه بالمرتضى (وهو
الثالث عشر من الأمويين بالأندلس).

واجتمع إلى عبد الرحمن المذكور أهل شاطبه وبلنسية وطرطوشة محالفين
على علي بن حمود فلم ينتظم لعبد الرحمن أمر وجمع على ابن حمود جموعه وقصدهم
من قرطبة وبرز العساكر إلى ظاهرها.

ودخل الحمام ليخرج منه ويسير بعد خروجه منه فوثب عليه غلمانهم وقتلوه
في الحمام في ذي القعدة سنة ٤٠٨ هـ وعمره ٤٨ سنة بعد أن ولي الأمر سنة
وتسعة أشهر.

ثم تولى بعده أخوه القاسم بن حمود فهي أكبر من أخيه بعشرين سنة وتلقب
بالمأمون وملك قرطبه وغيرها من البلاد إلى سنة ٤١٢ هـ

ثم سار القاسم من قرطبة إلى أشبيلية فخرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بقرطبة ودعا إلى نفسه وخلع عمه فأجابوه في أول جمادى الأولى سنة ٤١٢ هـ وتلقب بيحيى المعتلى وبقي بقرطبة حتى سار إليه عمه القاسم من أشبيلية فخرج يحيى من قرطبة إلى مالقه والجزيرة الخضرة فاستولى عليهما سنة ثلاثة عشرة وربعمائة في ذى الحجة .

ودخل القاسم بن حمود قرطبة في ذلك التاريخ وجرى بينه وبين أهلها قتال أدى إلى اخراجه منها فسار إلى سرريش فقصده ابن أخيه يحيى هو وأتباعه حتى قبضوا عليه وحبسوه فبقي محبوسا إلى أن مات وبعد ذلك خرج أهل أشبيلية عن القاسم وابن أخيه يحيى وقدموا عليهم قاضى أشبيلية وهو أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد النخلى وبقي إليه أمر أشبيلية وكانت ولاية القاسم بن حمود بقرطبة إلى أن قبض عليه وحبس ثلاثة أعوام وعدة أشهر وبقي محبوسا إلى أن مات سنة ٤٣١ هـ

الخامس عشر المستكفي

لما قتل المستظهر بويق بالخلافة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستكفي ثم خلع بعد سنة وأربعة أشهر فهرب وسمى في الطريق فمات .

ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيى بن علي حمود العلوى وكان بمالقه يخطب له بالخلافة ثم خرجوا عن طاعته سنة ٤١٨ هـ وبقي يحيى كذلك مدة ثم سار من مالقه إلى أرمونه وأقام بها محاصرا لأشبيلية إلى أن قتل في المحرم سنة ٤٢٧ هـ



السادس عشر من الاصول المعتمد بالله

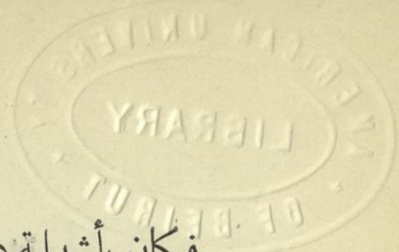
لما خلع أهل قرطبة طاعة يحيى بايعوا هشام بن محمد عبد الملك بن عبد الرحمن
الناصر الأموي ولقبوه بالمعتمد بالله سنة ٤٢٨ هـ وجرى في أيامه فتن أدت إلى
خلعه سنة ٤٣٢ هـ وسار مخلوعا إلى سليمان بن حمود الجذامي وأقام عنده حتى مات
هشام سنة ٤٣٨ هـ

ثم جاء شخص بعد هشام اسمه أمية وهو من ولد عبد الرحمن الناصر
وطالب البيعة لنفسه فقالوا له نخشى عليك أن تقتل كسابقك لأن السعادة قد
ولت عنكم يا بني أمية فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فبايعوه قلم ينتظم له أمر
واختفى عن أعين الناس وكان هذا الاختفاء آخر العهد به .

ثم أن بلاد الأندلس وتوابعها نسما أصحاب الاطراف والرؤساء وصارت
ملوكها أشبه بملوك الطوائف ونشأ عن ذلك انقراض الدولة الأموية من
الأندلس ثم اضمحل الاسلام بها بعد ذلك وخرج المسلمون منها وزالت تلك
الدولة العظيمة ضحية الخلاف التي حصل بين ملوكها وخلفائها التي كان لها من
الآثار العظيمة والمآثر الجليلة ما يدهش الابصار فرقت في يد المخالفين في الدين
ففعلوا بهم من الأفعال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت والمملك لله الواحد القهار
يؤتية من يشاء من عباده والمفرط أولى بالخسارة التي تحيق به أيا كانت عظمتها
ومن رعى غنما من أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد
ولا ينفع الندم بعد ذلة القدم

ملوك الطوائف

لما لم يبق بالأندلس أمر خلافة منتظم وتفرقت البلاد ووجد فيها ما يسمى
ملوك الطوائف .



فكان بأشيدلية دولة بني عباد وبطايوس دولة بني الأفطس محمد بن عبدالله
وبطايطة دولة اسماعيل بن ذنون وبقسطة دولة بني هود وبطرشوشه لبيب
العامري وببلنسية المنصور المعافري وغير هؤلاء ممن استقبلوا بما بأيديهم من
العطاء والولاية وكان هذا النفرق غاية رغبة آمال ملوك أسبانيا في استرداد تلك
البلاد التي نمت ثروتها وارتقت أحوال سكانها في عصر الخلافة العربية والقلوب
إذا اجتمعت والأيدي إذا تماسكت لم يقدر القوى على تفرقها فاذا تخاذلت
وتفرقت سهل على القوى اخضاعها وتلاشيها سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة
الله تبديلا فكان أول ما استرد من البلاد طليطلة استردها العنيس السادس ملك
قستالة من يد صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بعد حصارها سبع سنين
وأخذوا يستردون بعد ذلك الحصون التي تحمي تلك البلاد ويتحكمون في
الأمراء عليها كما يشاؤون ولما رأى ذلك المعتدين عباد أرسل إلى أمير المسلمين
بالمغرب وهو كبير دولة المائمين يوسف بن تاشقين يستنجد به ويطلب منه
الاعانة والنصرة فلم يجبه فسار إليه بنفسه بعد ذلك فقال له ارجع إلى بلادك
وتجهز لمقابلة العدو وإني آت على أثرك ثم جهز يوسف الأساطيل وجمع
الجنود وعبر البحر إلى الأندلس سنة ٤٧٩ هـ فاجتمعت قوته مع قوة ابن
عباد وأقبل إليهم العنيس السادس بجنوده وكانت بينهم حروب كثيرة
هائلة تسمى برقعة الزلافة وكانت نتيجتها هزيمة العنيس وجنوده هزيمة
شديدة ولما تم النصر ليوسف رأى أوفق أمر لحال الأندلس أن يتولى
على بلادها من يد ملوكها ونشأها من أيديهم لتشتت أمرهم فأخذ قرطبة وأشيدلية
من يد ابن عباد وأجلاه إلى المغرب فحبسه حتى مات وأخذ غرناطة وغيرهما من
البلاد وبذلك استتب له الأمر وانقضت أمره ملوك الطوائف .

وصارت بلاد الاندلس بعد ذلك تابعة لدولة المائمين بالمغرب التي
مقرها مراكش وهي المدينة التي بناها يوسف ابن ناشقين وجعلها عاصمة
دولة المائمين .

وكان يوسف حازما لامره ضابطا لمصالح مملكته مكرما لأهل العلم والدين
وكثيرا ما كان يستشيرهم في أموره وتوفي سنة ٥٠٠ هـ

وقام بأمر المائمين بعده أخوه علي وفي عهده استولى الافرنج على سرقسطة
وكثير من حصون المسلمين وتوفي سنة ٥٣٩ هـ جرية ولم يأتي بعده من يحمي
تلك الدولة المنتائية الأطراف لانهم قام ضدهم دولة أخرى في بدء شبابه وهي
دولة الموحدين التي قامت بدعوة المهدي عبدالله بن نومرن وكان يساعده عبدالقادر بن
بن علي وهو الذي تم على يديه الاستيلاء على مراكش وعلى جميع ما يملكه
المائمين وبدء بيعته سنة ٥٢٤ هـ

ولما تم له ملك المغرب أرسل جنوده تحملها الأساطيل لفتح بلاد الاندلس
وأخذها من أيدي بقايا المائمين فاستولوا عليها سنة ٥٤٥ هـ جرية واستردوا
كثيرا من الحصون التي كان الافرنج قد أخذوها وانتصروا على الفنس ملك
طليطلة .

ولو مد لعبدالقادر بن نومرن مدينة طليطلة ولكن منيته قد
وافته سنة ٥٥٨ هـ

ومن آثاره أنه بنى مدينة جبل طارق التي يملكها الانجيز الان وكان اسطوله
مكونا من نحو مئة قطعة حربية .

وجاء بعده ابنه محمد ولم يتم له الأمر لأنه كان متصفا بما لا يليق بمن يتولون
أمر الأمة من . اختدال الرأي والطيش وجبن النفس وشرب الخمر فخلعت
أمته بعد خمسة وأربعين يوما من ولايته .

فتولى بعده أخوه يوسف بن عبدالمؤمن ولما تم له الأمر أرسل الجيوش إلى جزيرة الأندلس فانقلدوا منها عدة مدائن كاق يحاصرها الأسبانيون وفتحوا غيرها ثم حضر إليها هو بنفسه سنة ٥١١ هـ وسلم شرف الأندلس من أولاد محمد بن مردنيش سنة ٥١١ هـ ورجع إلى أشبيلية وبني بها مسجدا عظيما ثم رجع إلى أفر بقيه وعبر الأندلس ثانية لما بلغه أن الغنص ينزل مدينة قرطبة فسار ميمما نحو الشمال يريد محاصرة شنتوين وبينما هو يحاصرها قد فارقه جنده في إحدى لياليه إذ خرج عليه المحصورون وقتلوه فخرج جرحا بليغا وعاد إلى مراکش فتوفي أثناء عودته سنة ٥٨٠ هـ

وكان يوسف بن عبد المؤمن من الصفات العالية ما ينزل في منزله كبار الملوك فتمد كان عالما فقيها حافظا وكان يميل إلى الحكمة والفلسفة وبكاتبه فخرا لأنه كان من أصحابه الفيلسوف الإسلامي الكبير ابن رشيد الذي كتب في الفلسفة كتباً عظيما كان أهل أوروبا يرجعون إليها ويتعلمون منها .

وبعد وفاته بويغ ابنه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور وفي عهده حصلت الحروب الصليبية وأنقذت نيرانها بين صلاح الدين يوسف الأيوبي وبين أهل أوروبا في الشام ومصر وكان لصلاح الدين على خصمه فضل قوة في البر إلا أن أسطوله لم يكن يمكنه أن يقاوم أسطول الأفرنج فإرسل إلى يعقوب المنصور يستتمده بأسطوله ليعاونه .

ولكن للأسف أنه لم يخاطبه بأمر المؤمنين كما كان يلقب فاخذته الغزة بالاسم ولم يمد صلاح الدين بشيء وهذا نهاية ما يحصل من ضيق العقل وسوء الفكر .

وكان للمنصور أعداء في أفر بقية يقلقون راحته فاشتغل بهم عن الأندلس

وما فيها فادى ذلك إلى تقوى الأسبانيين والبرتغاليين وتوسيعهم حدود بلادهم مما يلى المسلمين .

ولما علم بذلك يعقوب عبر الأندلس سنة ٥٩١ هـ بعسكر جرار فاتصل الخبر إلى الفنس التاسع ملك فشتاله فجمع جموعا كثيرة وأقبل بها نحو المنصور واجتمعا بمكان اسمه الاراك وانتهت الواقعة بهزيمة الفرنج هزيمة شديدة وهذه الواقعة من أعظم الوقايح كانت بين المسلمين والافرنج في بلاد الأندلس ثم تقدم بعد ذلك وفتح عدة حصون بجهات طليطلة مثل قلعة رياح ووادى الحجاز وبحر مدريد .

وقد شيد المنصور فرق ذلك بالأندلس والمغرب كثيرا من المباني الفاخرة وكثيرا من المساجد والمدارس ولولا ضنه على صلاح الدين بماطلبه منه لكان معدودا من أعظم ملوك المسلمين وفي سنة ٥٩٥ هـ اعتزل عن الملك وولى ابنه محمد الملقب الناصر لدين الله وفي عهده جمع ماوك الأندلس متحدين على غزو بلاد المسلمين وساعدهم على ذلك كثير من أهل أوروبا لأن البابا أنوسان الثالث بابا روما نادى بحرب المسلمين بعد أن استنجده ملك قشتاله فعبير اليهم الإناصر بجند لم يجتمع لملك قبله ولكنه كان خليطا من أجناس شتى غير متلائمة .

وقد تقابل الجيشان بمكان يقال له حصن العقاب شمال جيان وانتهت الواقعة بهزيمة الناصر ومن معه من جند الأندلس والبربر وكان ذلك في ١٥ صفر سنة ٦٠٩ وبذلك الهزيمة ذهبت قوة المسلمين من الأندلس

ولما عاد الناصر إلى بلاد المغرب عقد البيعة لولده يوسف الملقب بالمنتصر فاحتجب في قصره حتى مات سنة ٦١٠ هـ

وفي زمن المنتصر فشل أمر الموحدين وضعفت دولتهم وآلت إلى الهرم
واستولى الفنس التاسع ملك أسبانيا على حصون المسلمين وهزم حامية
الاندلس منهم
ولما ضعف أمر الموحدين قامت بالاندلس آخر دولة بها وهي دولة بني
الأحمر .

دولة بني الأحمر

ورأسها محمد بن يوسف بن نصر قام سنة ٦٢٩ هـ ثائرا على ابن هوذا المتغلب
بشرق الأندلس وكان بينها خطوط شديدة وفي الوقت الذي كانا ينازعان فيه
كان عدوها يستولى على البلاد شيئا فشيئا فاخذ قرطبه سنة ٦٣٣ هـ واشبيلية
سنة ٦٤٦ هـ بعد حصار دام سنتين وكان ابن الأحمر يساعد الأسبانيين في هذا
الحصار رجاء أن يساعده على خصمه ثم استولى العدو على طليطلة وسلب
وطاربيزه سنة ٦٥٩ هـ ثم على مرسيه سنة ٦٦٥ هـ ولم يزل يستولى على البلاد
شيئا فشيئا إلى أن الجأ المسلمين إلى سيف البحر ما بين رنده غربا والبيرة شرقا
ولم يبق للمسلمين غير سبف البحر البالغ عرضه مرحلة وهذا الجزء هو إمارة
ابن الأحمر وقاعدته غرناطة ولم يزل بنوه يتوارثون إمارة هذا الجزء وهم فيما
بينهم يتنازعون وإذا أدركتم صحوه من هذه الغفلة ورأوا فوه عدوهم استعانوا
بملوك إفريقيا من بني مرين الذين ورثوا دولة الموحدين فيغيثونهم بعض
الغوث ولكن الجسم إذا لم يكن مستعدا للحياة لم تنفعه حيل الأطباء
وهكذا كان حال بني الأحمر الذين اضرروا بالمسلمين وضعفوا قوتهم وقد استولى
الأسبانيون على مالتهم منه سنة ٨٩٢ هـ ثم على وادي آسن ثم عرض ملك الأسبانيين وهو
فرندد الكاثوليكى على صاحب غرناطة أن يدخل في طاعته مقابل جزية

يدفعها له وله الخيار أن يقيم في أى بلاد الأندلس فاستشار رعبته فأبت عليه
وما جاءت الصورى إلا بعد أن خوبث الدار وحينئذ أقبل العدو وحاصر
غرناطة سنة ٨٩٦ هـ فأفسد الزرع وقلع الأشجار وهدم القرى : وبعد سبعة
أشهر من الحصار اشتدت الحال على من هم بالبلد فما لها إلى الصلح وكتب بينهم
وبين عدوهم شروطا وكانت أهمها تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل
والمال وأبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ومنها إقامة شعائر دينهم على ما كانت
عليه ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعته وأن تبقى المساجد كما كانت عليه ولا
يدخل النصرارى دار مسلم ولا يقبضوا أحدا وأن لا يتولى على المسلمين نصرانى
أو يهودى وأن يفك أسر من أسر في غرناطة حيث كانوا ومن هرب من آثار
المسلمين وداخل غرناطة فلا سبيل لهم عليه ومن أراد الجواز إلى العدو لا يمنع
ويجوزون في مدة معينة في مرآكب السلطان لا يلزمهم إلا الكراء ثم بعد تلك
المدة يعطون عشر ما لهم ولا يؤخذ أحد بذنب آخر وألا يجبر من أسلم على
الرجوع إلى النصرانية ولا يعاقب من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يكلف
المسلم بضيافة جنود النصرارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون عن المغارم
المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ولا يمنع مؤذن ولا مصل
ولا صائم من أمور دينه وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومه ويمضيه
بخط يده .

وبذلك انتهى ملك المسلمين بالأندلس وصاروا رعية لصاحب فشتالة ونزع
سلطان غرناطة أبو عبد الله منها وظل الاسبانيون يراعون الشروط مدة
قليلة حتى تمكنت قدمهم وعظمت قوتهم وعلوها أن لا ناصر للمسلمين يمنعهم
من العدو ان عليهم عدلوا من مراعاة تلك الشروط وعادوا إلى الجور والعسف
حتى حملوهم ما لا طاقة لهم به وهذا شأن كل متغلب على عدوه والمفرط أولى
بالخسارة والحكم لله ما يرضاه يحكمه .

الدولة العباسية

حكمت هذه الدولة نحو ثمانمائة وتسع من السنين.

وكانت دولة كثيرة المحاسن جمّة الفوائد أسواق العلوم فيها رائجة وبضائع الآداب فيها رابحة وشعائر الدين فيها مقامه والخيرات فيها متدفقة والحريات مرعية والنور محمية مع كثرة ما حصل في أوائلها من الاضرابات وسفك الدماء ولم تنزل آخذة في الرفعة إلى أن سامت السماء علواً وشرفاً وبقيت كذلك حتى كانت أواخر أمرها فاضطربت واضمحلت حالها لأسباب سببها وأصل ملوكها من نسل العباس عم النبي ﷺ

وكان مقر ملكهم بالعراق أيام نشأة الدولة وقوتها وأقام بها منهم سبعة وثلاثون خليفة ومدته حكمهم بالعراق خمسمائة أربعة وعشرين سنة من سنة ١٣٢ إلى سنة ٦٥٦ .

ثم انتقلوا إلى مصر بعد اضمحلال شركهم وحكم بها منهم خمسة عشر خليفة ومدته حكمهم ٢٨٥ سنة من سنة ٦٥٠ هـ حين أتى إلى مصر المستنصر بالله وأثبت سببه في مدة السلطان بيبرس فبايعه وبايع له الناس إلى سنة ٩٤٥ هجرية إلى أن مات فيها المنوكل على الله آخرهم بمصر وبموته انقضت الخلافة العباسية من جميع الأرض ولم يكن لهم من الخلافة في ذلك الوقت إلا الاسم والدعاء في الخطبة لأنهم كانوا يفزدون في محل وتجرى عليهم النفقات فيه

وأولهم بالعراق أبو العباس السفاح

(من سنة ١٣٢ إلى سنة ١٣٦ هـ)

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بويع له بالكوفة لثلاث ابل خلت من ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ .

ولما تمت له البيعة صلى بالناس صلاة الجمعة وقال في أول خطبة خطبها
الحمد لله الذي اصطفى الاسلام ديننا فكرمه وشرفه واختاره وأيده بنا وجعلنا
أهله وكهفه وحصنه والثوابين به والغرابين عنده ثم ذكر قرابتهم من رسول الله
ﷺ إلى أن قال قلها قبس الله نبيه قام بالأمر بعده أصحابه إلى أن وثب بنو
حرب ومروان فجاروا فأملى لهم حيناً ثم استترفوا فانتقم الله منهم بأيدينا ورد
لنا حقنا لمن به على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما استفتح بنا وما
توفيقنا أهل البيت إلا بالله

وكانت سياسته تمكين دولته وتقوية شوكة بتدمير جميع الأئمة بين فاسرف
في القتل . وسفك الدماء حتى لقب نفسه السفاح في خطبه خطبها حيث قال وهو
على المنبر في بعض خطب خطبها .

أنا السفاح المبيح والنائر المنيح

وهو أول من اتخذ الوزراء في الاسلام فجعل أبا مسلمة حنص بن سليمان وزيراً
له وجعل الانيار مقر خلافته وكان عامله على مصر صالح بن علي بن عبد الله بن
عباس .

وكان دخوله اليها ثمان خلت من المحرم سنة ١٢٣ هـ ولما استقر بها بعث
وفداً من أهلها يبيعهم له وأصدر اليه السفاح أمراً بقتل من وجد من بني أمية
بمصر فقتلهم وهدم دورهم وأهلك كثيراً من شيعتهم وحمل طائفة منهم إلى
العراق وتمتوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر الناس بصلاتهم وقسمت
الصدقات على الينامي والمساكين ثم صرفه السفاح عنها بجعله أميراً على فلسطين
وولى مكانه أبا عورن بن عبد الملك مستهل شعبان سنة ١٢٣ هـ فمكث بها قليلاً
ثم أعيد اليها صالح بن علي ثانياً

ثم مات السفاح يوم الأحد لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦

هجريه وعمره اثنين وثلاثين سنة وستة أشهر ومدته خلافته سنتين وسبعة أشهر
وكان كريما وقورا كاملا وعاقلا كثير الحياء إلا إنه كان مسرفا في القتل ساءت
سيرته وفي آخر أمره عهد بالخلافة إلى أخيه المنصور فتولى بعده .

الثاني من العباسيين المنصور

١٣٦ — ١٥٨ هـ

وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بويح له
بالخلافة بعد موت أخيه السفاح ولم يستقم له الامر حتى قتل كثيرا من الناس
وأول عمل بدأ به أنه أمر بقتل أبي مسلم الخراساني صاحب دعوتهم ومهد
ملككتهم ليستقر له الامر ولم ينازع أحد في الملك وقال لو كان فيها آلهة إلا
الله لفسدتا

وصنع أبو مسلم ما صنع من التحريض على قتل آلاف من الناس ولم يعلم
أن الدنيا غدور والدر عثور وانه

مطار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وإن الله تعالى هو الرقيب على عباده ولا ريب في أنه يجازي المحسن باحسانه
والمسيء باساءته وانه قد ورد اعلم ماشئت كما تدين تدان وقد غفل أيضا عن
قول الشاعر

الخير بالخير والدينيا مكافأة والشر بالشر مثقالا بمثقال

كفانا الله شر الزلل في القول والعمل .

وهو الذي حمل الامام أبو حنيفة على القضاء فلم يقبل ذلك وهو أبو الخلفاء
العباسيين الذين أتوا بعده وهو أول خليفة قرب المنجمين ليعمل بأحكام النجوم
وأول من أمر بترجمة كتب أجنبية الى اللغة العربية فترجمت له كتب كثيرة
كرسائل أرسططاليس في المنطق وغيرها وكتب بطليموس في الهيئة وكتاب

كامله ودمنه وفي عصره أيضا ابتدئ بتدوين العلوم وتصنيف الكتب من حديث
وفقه وتفسير فصنف ابن جرير بمكة تفسيره الكبير ، وغيره من
المصنفات وصنف الامام مالك بن أنس الموطأ في الحديث بالمدينة والاوزاعي
بالشام وابن أبي عمروية وحماد بن مسلمة وسيفان الثوري بالكوفة وصنف أبو
اسحق المغازي وصنف أبو حنيفة الفقه ورتبه ترتيبا حسنا وكثير التدوين
في علوم مختلفة فدونت كتب في العربية من لغة وصرف ونحو ومعان وبيان
وتاريخ وغير ذلك .

وكانوا قبل ذلك يتعلمون ويعلمون غيرهم من كتب غير مرتبة ويعولون على
محفوظاتهم من أشياء مشتتة صعبة التداول وفي مدة حكمه عظمت هيئته في
التفوس ودانت له البلاد والعباد ولم يبق خارجا عن حكمه الا بلاد الاندلس
فمد اطماعه اليها ولكن لم تساعده الظروف على ضمها لملكه لما كان لعبد
الرحمن الأموي صاحبها من القوة وحسن التدبير ما كان كما سبق التنبيه عليه
وفي سنة مائة خمسة وأربعين هجرية أسس مدينة بغداد وصارت هي قاعدة
الملك عن عمده وسماها دار السلام وسبب تأسيسها وجعلها عاصمة ملكه
هو بغضه لاهل الكوفة لأنه كان لا يأمنهم على نفسه لميائهم إلى الفاطميين الذين
هم من ذرية فاطمة الزهراء فخرج يوما يريد موضعا بسكنه هو وجنده
فأختار الموضع الذي بنيت فيه مدينة بغداد ووضع بيده أول لبنة في أثارها .
وقال بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
ثم قال ابنوا على بركة الله وتم بناؤها وصارت من أعظم بلاد الاسلام رونقا
وحضارة ومنها انتشرت جميع العلوم والمعارف في سائر البلاد الاسلامية
ووسع المسجد الحرام سنة ١٥٨ هـ وعمر مسجد الخيف بمنن

عماله على مصر

قد ولى على مصر عاملا من قبل يزيد بن حاتم قدم اليها في منتصف ذى القعدة سنة ١٤١ هـ وأمره بغزو بلاد المغرب فسار اليها حسب أمر الخليفة وصالحه ملك الروم على الجزية وفي سنة ١٥٠ هـ خرج القبط بمدينة سخا فبعث اليهم جيشا فشنته القبط ورجع مهزوما فصرف عامله على مصر في ربيع الأول سنة ١٥٢ هـ وكانت مدة ولايته بها سبع سنين وأربعة أشهر وولى عليها بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الثقفي لعشره بقيت من ربيع الآخر سنة ١٥٢ هـ فأقبل على الخليفة لعشرة بانية من رمضان سنة ١٥٤ هـ واستخلف أخاه محمدا عليها فرجع في آخر هذه السنة منها ومات وهو والى عليها في مستهل صفر سنة ٢٥٥ هـ واستخلف أخاه محمدا عليها فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى بعده محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ومات وهو والى عليها في منتصف شوال وكانت ولايته عليها ثمانية أشهر واستخلف موسى بن علي فولى بن علي باستخلاف محمد بن حديج وإقرار الخليفة على توليته وكان رجلا صالحا يسير للمسجد ماشيا ويحدث الناس باحاديث الرسول ﷺ فيكتب الناس عنه ما سمعوه من الأحاديث النبوية وبقى واليا عليها إل أن مات المتصور وهو محرم بقرب مكة لست خلت من ذى الحجة سنة مائة وثمانية وخمسين هجرية وله من العمر ثلاثة وستين سنة ومدة خلافته اثني عشر سنة وتولى بعده ابنه محمد المهدي يعهد منه .

الثالث من العباسيين المهدي

(١٥٨ - ١٦٩ هـ)

وهو محمد المهدي بن أبي جعفر المتصور بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه

بعهد منه وكان يومئذ ببغداد سنة ١٥٨ هـ وكان شهما فطنا كريما شديدا على أهل
الألحاد والزندقة وكان يجاس في أوقات مخصوصة لرد المظالم وفي سنة ١٦٥ هـ
سير إلى ابنه الرشيد لغزو الروم سار بجيش حتى وصل إلى خليج القسطنطينية
فصالحه الروم وقتئذ وكانت ملكة الروم يومئذ هي (ايريني) امرأة الملك لزون
ولذلك قد جرعت من جيوش المسلمين وطلبت الصالح من الرشيد فصالحها
على أن تدفع جزية مخصوصة فقبلت ذلك .

وأقام المهدي يريد بين مكة والمدينة واليمن بغالا وأبلا وفي سنة ١٦٥ هـ
حج المهدي رحمه الله وكسى الكعبة وطيبها بالمسك والعنبر من أسفها إلى أعلاها
ومن داخلها وخارجها ولم تكن الكعبة يومئذ في وسط المسجد فاشترى دورا
كثيرا وأضافها إليها حتى بذلك أمكنه توسيعها وزاد في الحرم الجانب الشمالي
الشامي واليماني حتى بذلك صارت الكعبة المعظمة في وسط الحرم وهو أول من
حمل الثلج إلى مكة وأمر باصلاح طريقها وحفر البرك والمجاري لجمع ماء المطر
وأول من عين صرة من المال لاهل الحرمين الشريفين وأرسلها لهم

عماله على مصر

أنه قد أقر موسى بن علي الذي كان واليا عليها من قبل أبيه وبقي بها إلى
سابع عشر من ذي الحجة سنة ١٦١ هـ وكانت ولايته عليها ست سنين وشهرين
ثم عزلة عنها وولى بدله عيسى بن لقمان فقدم إليها لثلاثة عشر ليلة بقيت من ذي
الحجة سنة ١٦١ هـ ثم صرفه عنها لاثنتي عشرة ليلة من جمادى الأولى سنة
١٦٢ هـ فكانت مدة ولايته عليها أربعة أشهر ثم ولاها واضح مولى أبي جعفر
فدخلها لست باقية من جمادى الأولى وصرفه عنها في رمضان وولى منصور بن
يزيد وهو بن خال المهدي فقدم إليها لاحدى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة
١٦٢ هـ وصرفه عنها في منتصف ذي الحجة وكان مقامه بها شهرين وثلاثة أيام ثم

ولى عليها يحيى بن داود بن صالح من أهل حراسان فقدم اليهانى ذى الحجة وكان
أبوه تركيا وكان من أعظم الناس هيبة وأندوهم على القتل والعقوبة فمنع الناس
من غلق الدروب والخوانيت بالليل حتى جعلوا عليها شرائح من القصب لمنع
الكلاب عنها ووضع حراس الحمامات أن يجسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلى
اداؤه لة فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها
وبقيت على هذا المنوال مدة ولايته وأمر الأشراف والفقهاء وأهل التوبات
بلبس التلانس الطوال والدخول بها عليه يوم والحيس بلا اردئة وكان أبى
جعفر المنصور اذا ذكره يقول هو رجل يخافى ولا يخاف الله وبقى بها إلى المحرم
سنة ١٦٤ هـ ثم صرفه عنها وولى بدله سالم بن سواده التيمى على الصلوات ومعه
أبو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لاثنتى عشرة ليلة خلت من محرم سنة
١٦٥ هـ ثم ولاها لابراهيم بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس على الصلوات
والخراج معا فقدم اليها فى المحرم من هذه هذه السنة وابتنى دارا عظيمة وخرج
يحية بن المعصب بن الأصعب بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ودعا إلى نفسه
بالخلافة فتراخى عنه ابراهيم ولم يحفل بأمره فاستفحل وملك الصعيد فبلغ المهدي
فسخط عليه وعزله عنها لسبع خلت من ذى الحجة سنة ١٦٧ هـ ثم ولى بعده موسى
ابن مصعب بن الربيع من أهل الموصل فقدم اليها لسبع خلت من ذى الحجة
فرد ابراهيم وأخذ منه ما أخذ ما عمل له ثلاثة الاف دينار ثم صيره الى بغداد
وشدد موسى فى الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما كان عليه وأرتشى فى
الأحكام وجعل خراجا على أهل الأسواق وعلى الدواب فكرهه الجند
ونابذوه وسارت قنس واليمانية وكانبو أهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى
قتال وحيه بالصعيد وخرج هو فى جند من مصر لقتال الخارجين عليه فها التقى
الجيشان انقطع أهل مصر بأجمعهم وأسلموه لاعدائه فقتل لتسع خلت من

شوال سنة ١٦٨ هـ وكانت مدة ولايته عشرة أشهر وكان ظالماً غشوماً سمعه الإمام الليث بن سعد يقرأ في خطبته إن أعتدنا للطالمين ناراً أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا وبعد قتله تولى عسامة بن عمرو بأستخلاف موسى بن مصعب وبعث إلى وحيه جيشاً مع أخيه بكار بن عمرو فخاربه يوسف بن نصير وهو على جيش وحيه فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معاً ورجع الجيشان مهزومين وذلك في ذي الحجة منها وصرف عنها عسامة لثلاثة عشرة خلت منه بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح لأنه ولي مصر بدله وقد استخلفه فخلفه إلى آخر المحرم سنة ١٦٩ هـ ثم قدم الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في سلخ المحرم في جيوش الشام إلى مصر .

ثم مات المهدي في المحرم هذا سنة ١٦٩ هـ وله من العمر ثلاثة وأربعين سنة ومدة خلافته عشرين سنة وشهر واحد فتولى بعده أبنه الهادي .

الرابع الهادي

١٦٩ - ١٧٠ هـ

وهو موسى الهادي بن محمد المهدي بويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة ١٦٩ هـ ولما تم له الأمر جد في خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد التي عهد بها أبوهما وجعل البيعة لأبنه جعفر فلم يستطع ذلك وفي مدته ظهر الحسين بن علي ابن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم بالمدينة في جمع من أهل بيته وجرى بينهم وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال فانهزم عمر وبايع الناس الحسين ثم خرج الحسين ومن معه إلى مكة وكان قد حج جماعة من بني العباس منهم سليمان بن أبي جعفر المنصور

وأنضم إليه شيعتهم ومواليهم واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الحسين وانهزم أصحابه
بعد قتل كثير منهم وأفلت منهم أدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي رضي الله
عنهم فحضر وعلى بريدها واضح الشيعي مولى بني العباس فجعل أدريس على
البريد على المغرب إلى أرض طنجة فبلغ الهادي ذلك وبقى أدريس حتى أرسل
إليه الرشيد في خلافته الشماخ الناعي فسمه وكان لأدريس محظية من محظية حبل
فولدت بعده ولدا سموه أدريس باسم أبيه ولم يزل هناك حتى كبر وأستقل بملك
تلك البلاد وكثرت ذرية الحسن فيها .

عمارة على مصر

وأما مصر فانه أقر الهادي فيها الفضل بن صالح الذي كان واليا عليها من
قبل أبيه المهدي وبقى فيها متخوفا ممن كان فيها من المخالفين ومن خروج وحيه
ولم يزل مجدا في طلب وحيه حتى قدر عليه واسره وسبق إلى الفسطاط فضرب
عنقه وصلبه وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ١٦٩ هـ وبموته انقطعت الفتن
وتمت الراحة وبلغ الفضل أن الخليفة يريد عزله فلم يصدق ذلك وكان يقول
أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامى بأمر وحيه وقتله الذي عجز عنه غيرى فبينما
هو كذلك إذ ورد عليه جواب يطلب به صرفه عنها فندم على قتل وحيه وعلى
ما تحمله من النعب والمشاق وكأ أنه قد نسي قول القائل .

أن الملوك بلاء اينما حلوا فلا يكن لك في اكنافهم ظل

وهذا التغيير الكثير للعمال كان سببا في عدم الثقة بهم وعدم التفات العمال
إلى المصلحة العمومية لعلمهم أنه مهما صنع العامل من بذل جهده فلا بد من
تغييره فكيف يتعب نفسه في شيء من مصالح الناس مع كونه مهتدا بالعزل
مهما صنع وكان هذا الأمر يحمل العمال أيضا على العمل لصالحه الذاتي واعتناؤه
بأموره الشخصية فقط ثم ولي بعده عليها على بن سليمان بن علي بن عبد الله بن

عباس فقدمها سنة ١٦٩ هـ وبقي واليا عليها الى أن مات الهادي ببغداد في منتصف ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ وعمره أربعة وعشرين سنة ومدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر وتولى بعده أخوه الرشيد .

الخامس الرشيد

١٧٠ - ١٩٣ هـ

وهو هارون الرشيد بن محمد المهدي بويج له بالخلافة ليلة وفاة أخيه موسى الهادي سنة ١٧٠ هـ واستوزر يحيى البرمكي ومكثه هو وعائلته ثم نكبتهم بعد ذلك وأخذ جميع أملاكهم واختلف المؤرخون في سبب نكبتهم والغالب أنها لأمور سياسية قضت عليه بذلك .

وكان بينه وبين شلمان ملك الفرنسيس مودة كثيرة وكان كلاهما يهادى الآخر فبعث شلمان الى هارون عدة هدايا ليحصى النصارى الذاهبين الى بيت المقدس فاجابه الى ماطلبه وبعث له أقمشة نفيسة وعطرا وخشيا زكي الرائحة وفيلا وخيمة على هيئة خيام العرب وساعة كبيرة دقاقة تعجب منها أهل ديوانه لأنهم لم يمكنهم معرفة تركيبها وغير ذلك من المصنوعات النفيسة التي سبقت بها العرب غيرهم في غابر الأزمان .

وغزا الرشيد الروم مراراً وأنتصر عليهم في ثمانية حروب حضرها بنفسه وأشهرها غزوة هرقله من بلاد الروم في مدة ملكها (نيسيفور) حين أمتنع عن أداء الخراج الذي كانت تدفعه الملكة (أيربني) وهزمهم فيها شر هزيمة وإعاد عليها الخراج كما كان .

وفي أيامه ظهر يحيى الحسنى بالديلم فأحضره وحبسها حتى ماتت وهاجت فتنة بدمشق بين المضريين واليمنيين وأستمر القتال بينهما بسببها سنتين وكان

تسكينها على يد جعفر البرمكي .

وكان الرشيد من أعظم الملوك سطوة وأكثرهم هيبه وكان عالما تقيا محبا
للعلم والعلماء بلغ من الجود غايته ومن الحزم نهايته وكان يتصدق بأكثير من
ماله وأخذت الدولة الاسلامية في زمنه شأنها كبيرا ورونقا عظيما لم تأخذه في
زمن غيره ممن سبقه من الملوك وكان يصلي كل يوم وليلة مئة ركعة غير المفروض
عليه لا ينقطع عنها الا لعله شديدة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف دينار
وكان عاقلا مهيبا حسن التدبير على الهمة راويا للاخبار والتواريخ يجب الشعر
ويجيز الشعراء عليه ويميل لأهل الأدب والفضل وكان غير متحجب عن
أصحاب الدعاوى والحاجات ساهرا على راحة الرعية وما أشيع عنه من الخمر
والملاهي فغير متفق عليه وإنما رواه القصاصون على سبيل الفكاهات لميل النفس
الى مثل هذه الحكايات الموضوعه وتبعهم بعض المؤرخين وعد ذلك العلامة
ابن خلدون من غلطاتهم وأستدل على صحة قوله بان أوقاتهم كلها كانت مشغولة
بالنظر في القضايا التي ترد اليه من جميع المملكة الواسعة الأطراف والبت فيها
بما يراه صالحا فاذا فرغ من ذلك تفرغ لمقابلة العطاء والفضلاء الواردين عليه
وإنه كان يصلي كل ليلة منه ركعة سوى الصلاة المفروضة عليه وبما يؤثر عنه أن
أبا نواس قد دخل عليه وهو يصلي مرة ويتلو قوله تعالى ومالي لا أعبد الذي
فطرني فقال له سل نفسك فغضب عايبه غضبا شديدا وقال له لك كل شيء إلا
العبادة لئلا تدخل تحت قوله تعالى .

وإذا ناديتم الى الصلاة أتخذوها هزا ولعبا وإنه كان يحج عاما ويعزو عاما
فمن كانت هذه صفاته لا يصح أن ينسب اليه الخمر والملاهي ونحن نوافق على
ذلك اقتداء بقول القائل .

أكتب محاسن ماترى واحفظ محاسن ما كتبت

وفي مدته توفي الامام مالك وسيدويه النحوى وظهر رافع بن اللبت من
سمرقند مخالفا للرشيد فترجه لقتاله وبينما هو سائر في طريقه اذ اصابته حمى ولم
تزل تتزايد عليه حتى الجأتها الى الدخول في مدينة طوس فاشتدت عليه ومات
بها سنة ١٩٢ هـ ومدته خلافته اثنان وعشرون سنة وشهران

عمارة على مصر

أقر الرشيد عليها على بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الذي كان واليا
عليها من قبل الهادي فأظهر سليمان في ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومنع الملاهي والخمر وهدم الكنائس المستجدة بمصر وبذل له القبط
في تركها خمسمائة دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل والنهار وأظهر أنه
يصلح للخلافة وطمع فيها فسخط عليه الرشيد وعزله لأربع باقية من ربيع
الاول سنة ١٧١ هـ وولى مكانه موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس على الصلوات فأذن للقطب باعادة كنائسهم التي هدمها علي بن
سليمان وبنتت بمشورة الامام بن سعد وعبد الله بن لهيطة بن لهيعة ثم صرف
عن مصر لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ١٧٢ هـ فكانت ولايته عليها سنة
وخمسة أشهر ونصف شهر ثم وليها مسلمة بن يحيى بن قررة بن عبد الله البجل من
أهل جرجان ثم صرف عنها في شعبان سنة ١٧٣ هـ بعد أن وليها أحد عشر
شهرًا ثم ولي محمد بن زهير الأزدي على الصلاة والخراج لخمس خلت من شعبان
فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع فصرف بعد خمسة أشهر
سلخ ذى الحجة سنة ١٧٣ هـ وولى داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب
ابن أبي صفرة وقدم هو وابراهيم بن صالح بن علي فولى داود الصلوات وبعث
ابراهيم لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لأربع عشرة خلت من المحرم
سنة ١٧٤ هـ فأخرجت الجنود الى المشرق والمغرب في عالم كثير فساروا إلى

البحر فأسرتهم الروم وصرف است خلت من المحرم سنة ١٧٥ هـ فكانت ولايته
سنة ونصف شهر ثم أعيد اليها مرسى بن عيسى على الصلات والخراج فدخلها
لسبع خلت من صفر سنة ١٧٥ هـ وصرف عنها لليلتين بقيتا من صفر سنة ١٧٦ هـ
فكانت ولايته الثانية سنة ثم ولى ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله عباس
ثانيا فكتب الى أسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفة علي
الخراج مستهل ربيع الأول وتوفي أسامة لسبع بقيت من ربيع الآخر فقدم اليها
روح بن روح خليفه لابراهيم على الصلات والخراج معا ثم قدم ابراهيم في
في شعبان فكان مقامه بمصر شهران وثمانية عشر يوما فقام بالأمر بعده ابن صالح
ابن ابراهيم مع صاحب شرطه خالد بن يزيد وبقى صالح بن ابراهيم بها الى أن
وليها عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمر والعبتي على الصلات لاحدى عشرة
بقيت من رمضان سنة ١٧٦ هـ وصرف عنها في رجب سنة ١٧٧ هـ وولى اسحاق
ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج معا
فاستقل أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل
الحواف فحاربهم فقتل كثير من أصحاب الحواف فكتب إلى الرشيد بذلك
فبعده هرثمة بن أعين وأرسله في جيش عظيم فنزل الحواف فلقبه أهله بالطاعة
وأذعنوا فقتل منهم واستخرج الخراج كله وصرف عنها في رجب سنة ٩٣٧ هـ
وولى هرثمة بن أعين على الصلات والخراج لليلتين خلنا من شعبان ثم سار إلى
إفريقية لاثنتي عشرة خلت من شوال بعد أن أقام بمصر شهران ونصف الشهر
ثم ولى عبد الملك بن صالح بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج فلم
يدخل مصر واستخلف عنه عبد الله بن المسيب بن زهير العبتي وصرف عنها
آخر سنة ١٧٨ هـ فولى عبد الله بن المهدي بن محمد بن عبد الله بن عباس على
الصلوات والخراج لاثنتي عشرة خلت من المحرم سنة ١٧٩ هـ فاستخلف بن

المسيب ثم قدم لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وصرف في شهر
رمضان من هذه السنة فكانت ولايته تسعة أشهر وخرج من مصر لليلتين خلنا
من شوال فأعاد الرشيد اليها عبد الله بن المهدي ثانيا على الصلوات فارسل داود
ابن عباس نائبا عنه لسبع خلت من جمادى الآخرة ثم قدم لأربع خلت من
شعبان ثم صرف عنها لثلاث خلت من رمضان سنة ١٨١ هـ فولى اسماعيل بن
صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات لسبع خلت من رمضان
فاستخلف عنه عون بن رجب الخزاعي فقدم لخمس بقيت منه وكان مشهورا
بالخطابة قال بن عفير ما رأيت على هذه الأعواد أخطب من اسماعيل بن صالح
ثم صرف عنها في جمادى الآخرة سنة ١٨٢ هـ فولى اسماعيل بن عيسى بن موسى
بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات فقدم لأربع عشرة بقيت من
جمادى الآخرة وصرف عنها في رمضان وولى الليث بن الفضل على الصلوات
والخراج فقدم لخمس من شوال ثم عاد الى الرشيد لسبع بقيت من رمضان سنة
١٨٣ هـ بالمال والهدايا واستخلف أباه الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة السابقة
الذكر وخرج ثانيا بالمال لتسع بقيت من رمضان سنة ١٨٥ هـ واستخلف هاشم
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن جديج فقدمها لأربع عشرة خلت من
المحرم سنة ١٨٦ هـ فأخذ خراج سنة وفرغ من حسابها وخرج بالمال إلى أمير
المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه أهل الحوف وساروا الى
الفسطاط فخرج اليهم في أربعة آلاف مقاتل ليومين بقيا من شعبان سنة ١٨٦ هـ
واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج فواقع
اهل الحوف فانهزم عنه الجند فبق في نحو المائتين فقط فحمل بهم وهزم القوم
وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدام فرجع أهل الحوف ومنعوا الخراج
ثانيا فخرج ليبحث للرشيد شكواه وسأله أن يعث معه جيشا فإنه لا يقدر على

استخراج الخراج من أهل الأحواف إلا بجيش فرجع محفوظ بن سليمان
للرشيد أنه يضمن خراج مصر كله بغير صوت ولا عصا فولاه الرشيد
الخراج وصرف ليشا عنها وولاه على الصلوات والخراج وبعث أحمد بن إسحاق
على الصلوات مع محفوظ وكانت ولاية لبث أربع سنين وسبعة أشهر ثم ولي
أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات والخراج معا فقدم
لخمس بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٨٧ هـ ثم صرف لثمان عشرة خلت من
شعبان سنة ١٨٩ هـ وكانت ولايته سنتين وشهرا وبصفا ثم ولي عبيد الله بن محمد
ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات واستخلف لهيعة
ابن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال، صرف لاحدى عشرة
بقيت من شعبان سنة ١٩٠ هـ وخرج منها واستخلف هاشم بن عبد الله بن
عبد الرحمن بن معاوية بن حريج فرلى الحسين بن جميل على الصلوات وقدم لعشر
خات من رمضان ثم جمع له الخوارج مع الصلوات في رجب سنة ١٩١ هـ فخرج
أهل الحواف عليه وامتنعوا من أداء الخراج وخرج أبو النداء بأيلة في نحو ألف
رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وانضم
إليه جماعة من جذام فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبلغ الرشيد ذلك فبعث
إليه من بغداد جيشا لهذا الأمر وبعث الحسين بن جميل من مصر عبدالعزيز بن
الوزير بن صابى الجروى فى عسكر والتقى العسكران بأيلة فظفر عبدالعزيز بأبي
النداء وسار جيش الرشيد إلى بليس فى شوال سنة ١٩١ هـ فأذعن أهل الحرف
لأداء الخراج وصرف ابن جميل لاثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ١٩٢ هـ
فولى مالك بن أدهم بن عمير الكلبى على الصلوات والخراج فقدم لسبع بقيت من
ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الحواف وقدم
الفسطاط لعشر بقيت من جمادى الآخرة فمكتب إلى أهل الأحواف أن أفدهوا

حتى أوصى بكم مالك بن أدهم فدخل الرؤساء من اليمانية ومقيسية فغالقت عليهم
الأبواب وقيدوا وسار بهم للتحصن من رجب وصرف مالك لاربع خلت من
صفر سنة ١٩٣ هـ وولى الحسن بن التختاخ على الصلوات والخراج فاستلحف
عنه العلاء بن عاصم الخولاني فقدم لثلاث خلت من ربيع الأول ثم مات الرشيد
وهو وال عليها من قبله وكان قد أوصى بالخلافة لابنه محمد الأمين ثم
عبد الله المأمون

السادس من العباد بين الأمين

(١٩٣ - ١٩٨ هـ)

وهو محمد الأمين بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بعد موت أبيه الرشيد
سنة ١٩٣ هـ بعهد منه كما سبق التنبيه عليه وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور
ولم يكن في الخلفاء من أمه هاشمية سواه وسوى على بن أبي طالب والحسن
والحسين رضى الله عنهم وكان الأمين من أحسن الناس خلقا وأقواهم بطشا
وأعظمهم شجاعة لكنه مع ذلك كله كان سيء التدبير ضعيف الرأي كثير
التبذير لا يصغى إلى قول مشير منهم كما في اللذات غير ما كثرت بأمر الخلافة
ولذلك لما ولى الخلافة فرق الأمراء وعكف على الشراب ومنادمة الفساق
وأرسل إلى الجهات فجمعوا له المغنين وأجرى لهم الرواتب واحتجب عن
الأمراء وأعيان الدولة وعظماؤها ولها عن تدبير مملكته حتى قام عليه أخوه
المأمون جهز لقتاله جيشا وحاصره ببغداد وبلغ الخبر الأمين وهو بجانب حوض
ماء مع جواريه يتصيدن السمك وكان قد وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة
شبهها بقضيبي من الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرّة لها

فرفع الأمين رأسه وقال للذي بلغه الخبر ويحك ويحك دعني فان الجارية فلانة قد صادت سمكتين وأنا لم أصد شيئا ولم تزل الفتن تتزايد وبكثير الهرج والمرج حتى درست محاسن بغداد ودام حصارها خمسة عشر شهرا وتمرق الناس عن الأمين ولم يبق معه من يدافع عنه إلا القليل إلى أن دخلت بغداد سنة ١٩٨ هـ فدحل طاهر بن الحسين ومن معه من العساكر بالسيف قهرا فخرج الأمين بأمه وأهله من القصر إلى مدينة المنصور فدخل عليه قوم من العجم ليلا فقتلوه وذهبوا برأسه إلى طاهر فبعثه مع الثياب والتضييب إلى المأمون فعظم عليه الأمر وأسف على قتل أخيه لأنه كان يود منه أن يحضره إليه حيا ليرى رأيه فيه وحقده على طاهر بن الحسين وأهمله إلى أن مات طريدا وكان قتل الأمين ليلة السبت لست باقية من المحرم سنة ١٩٨ هـ وعمره سبع وعشرون سنة ودفن ببغداد وكانت مدة حكمه أربع سنين وثمانية أشهر .

وكانت حالة مصر في عهد الأمين مضطربة لأنه بوفاة الرشيد واستخلاف الأمين ثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة فيها قتل كثير من الناس وسير الأمين الحسن فوثب أهل الرملة فمنعوا المال عنه وبلغ الحسن ابن تخاخ عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثان بقيت من ربيع الأول سنة ١٩٤ هـ واستخلف عوف بن وهب على الصلوات ومحمد بن زياد على الخراج فولى حاتم ابن هرثة بن أعين من قبل الأمين على الصلوات والخراج وقدم في ألف من الأبناء ونزل بليس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه أهل بعض البلاد وعسكروا فبعث إليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم إلى القسطنطينية معه نحو مائة من الرهائن لأربع خلعت من شوال وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ هـ فولى جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي على الصلوات والخراج لخمس بقية من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الأمين والمأمون قام السري بن

الحكم غضبا للمأمون ودعا الناس إلى خلع الأمين فأجابوه وبايعوا المأمون لثمان
بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ فأخرجوا جابر بن الأشعث وكانت ولايته
سنة تولى عباد بن محمد بن حيان أبو نصر من قبل المأمون على الصلات والخراج
لثمان خات من رجب بكتاب هرثمة بن أدين وكان وكيله على ضياعه بمصر في
الثامن من رجب سنة ١٩٦ فولى الأمير من كان بمصر فكتب إلى ربيعة بن
قيس بن الزبير الجرشي رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب إلى جماعة من
معاونيه فقاموا ببيعة الاءين وخلعوا الماءون فساروا لمحاربة أهل القسوط
فخندق عباد وفي أثناء ذلك بلغهم قتل الأمين فصرف عباد في صفر سنة ١٩٨ هـ
وكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

السابع من العباسيين المأمون

١٩٨ - ٢١٨ هـ

وهو عبد الله بن هرون الرشيد بويعة بالخلافة في حياة أخيه سنة ١٩٨ هـ
وكان عالما أدبيا في غاية من الفصاحة وله شأن عديم في المناظرة والأطالع على
كثير من الفنون الحكيمية والأدبية وكان معدودا من أعظم رجال الفلك وغزا
الروم وفتح عدة حصون وحضر إلى مصر وفتح باب الحرم الكبير ورجع منها
سنة ٢١٧ هـ وفي مدة خلافته تقدمت العرب تقدما عظيما في العلوم النقلية
والفعلية وقد أهتم بجمع كتب اليونان وأمر بترجمتها إلى اللغة العربية ككتاب
إفليدس في الهندسة وغيره من الكتب الفاسفية والحكيمية فانتشرت العلوم بين
الناس وفاقت مدته مدة والده وقاس الدرجة الأرضية ووجدها تساوى ستة
وخمسين ميلا وكان مع ذلك صاحب فتوحات فغزا جزيرة صقلية وغيرها من
جزائر أوربا وتغلب عليها ففتح جزيرة كريد وغيرها من الجهات الشرقية التي

كانت في قبضة الروم وكان كثير العفر حتى روى عنه أنه كان يقول لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا إلى بالذنوب وكانت أمه أم ولد أسماها سراجيلا ماتت في نفاسها به وكان كثير التجسس مغرما بالعلم بكل شيء من أحوال مملكته حتى حملة ذلك على تعيين ألف وسبعمائة عجزية تجسسن ويعرفنه مايقعنه عليه من الأحوال وفي سنة ٢٠٠ هـ أمر باحصاء ولد العباس فبلغوا ثلثمائة وثلاثين ألفا ما بين ذكر وأنثى وفي سنة ٢٠١ هـ جعل ولي عهده على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أحد الأئمة والذي حملة على ذلك هو أفراط في التشيع فشق ذلك على كثير من بني العباس وأبغضوه وخرجوا عليه .

وقد شدد في القول بخلق القرآن وتفضيل على أبي بكر وعمر وكتب بذلك إلى عماله وكلفهم أن يحملوا الناس عليه فأجابه قوم وأمتنع آخرون وأحضر الإمام أحمد بن حنبل لما بلغه أنه أمتنع فقبل له ما تقول في كلام الله مخلوق هو قال هو كلام الله لا أزيد على ذلك ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا كرها فأمر باحضارهم وهو بالروم فحملوا إليه فمات قبل وصولهم إليه وكفى الله المؤمنين القتال .

وكانت وفاته في رجب سنة ٢١٨ هـ بقرية دندون من أرض الروم ونقل إلى طرسوس ودفن بها وقد بلغ من العمر ثمانية وأربعين سنة ومدة خلافته عشرون سنة وخمسة أشهر .

ويؤثر عنه أنه قال قبل موته : « يامن لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه » ولما ورد خبر وفاته إلى بغداد قال أبو سعيد الخزومي :

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون في سبت ملكه المأنوس
خلفوه بعرضتي طرسوس مثلها خلفوا أباه بطوس

عمارة على مصر

ولى من قبله عليها المطاب بن عبد الله الخزاعي بعد صرف عباد عنها على الصلات والخراج فدخلها من طريق الحجاز للنصف من ربيع الأول سنة ١٩٨ هـ وحصلت في أيامه حروب واضطرابات فصرف عنها في شوال بعد سبعة أشهر من ولايته لها ثم ولى العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج وقدمها ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبد الله الأَنْصارى في آخر شوال فسبجنا المطاب فشار الجند مرارا فمنعهم الأَنْصارى أعطياتهم وهددهم وتحامل على الرغبة وعسفها وتهدد الجميع فناروا وأخرجوا المطاب من الحبس وأقاموه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ١٩٩ هـ وأقبل العباس ونزل ببلييس ودعا قيسا إلى نصرته ومضى إلى الجرمى بقيس ثم عاد فمات ببلييس ثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال إن المطاب دس إليه سما في طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطاب هذه سنة وثمانية أشهر ثم ولى السرى بن الحكم بن يوسف من قوم الزط ومن أهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطاب في مستهل رمضان سنة ٢٠٠ هـ ثم ولى سليمان ابن غالب بن جبريل البجلي على الصلات والخراج بمبايعة الجند لأربع خلت من ربيع الأول سنة ٢٠١ هـ فقامت حروب ثم صرف بعد خمسة أشهر وأعيد السرى بن الحكم ثانيا من قبل الخليفة على الصلات والخراج فتمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لاثنتي عشرة خلت من شعبان وتبعه من حاربه وقوي أمره ومات وهو وال سالخ جمادى الأولى سنة ٢٠٥ هـ فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم ولى ابنه محمد بن السرى أبو نصر أول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الأرض فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلت من شعبان سنة ٢٠٦ هـ وكانت ولايته

أربعة عشر شهرا ثم ولي عميد الله بن السرى بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خات
من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجرمي حروب إلى أن قام
عبد الله بن طاهر وأذعن له عبد الله في آخر صفر سنة ٢١١ هـ فولى عبد الله
ابن طاهر بن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج وقدم
يوم الثلاثاء للياتين خلتما من ربيع الأولى سنة ٢١١ هـ وأقام في عسكره حتى خرج
عبد الله بن السرى إلى بغداد للنصف من جمادى الأولى ثم سار إلى الاسكندرية
مستهل صفر سنة ٢١٢ هـ واستخلف عيسى بن يزيد الجلوزى فحاصرها بضع
عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة في الجامع الضيق فزيد فيه
مثله ثم ركب النيل وترجه إلى العراق لخمس بقيت من رجب وكان مقامه بمصر
واليا سبعة عشرة شهرا وعشرة أيام ثم ولي عيسى بن يزيد الجلوزى باستخلاف
ابن طاهر على الصلات إلى سابع عشر ذى القعدة سنة ٢١٣ هـ وصر ف ابن طاهر
وولى المعتصم بن هرون الرشيد أمر مصر من قبل أخيه قافر عيسى على الصلات فقط
وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتفض
أهل مصر السفلى وعسكروا فبعث عيسى ابنه محمد في جيش فخار برة فانهزم
وقتل أصحابه في صفر سنة ٢١٤ هـ فولى عمير بن الوليد التميمى على الصلات
لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلوزى لقتال أهل
الحواف في ربيع الآخر واستخاف ابنه محمد بن عمير فافتتلوا وكانت بينهم
معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر وكانت مدة إمرته
ستين يوما فولى عيسى الجلوزى ثانيا على الصلات فحارب أهل الحواف بمنية
مطر ثم انهزم في رحب منها فأقبل المعتصم إلى مصر في أربعة آلاف من أتراكه
وقاتل أهل الحواف في شعبان ودخل مدينة الفسطاط لثمان بقيت منه وقتل
أكابر الحواف ثم خرج إلى الشام غرة المحرم سنة ٢١٥ هـ في أتراكه ومعه جمع

من الاسارى فى ضر وجهد جهيد وولى على مصر عبدوية بن جبلة من الأبناء
على الصلوات فخرج ناس الحوف فى شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم
ثم قدم الأفشين حيدر بن كادوس الصفدى إلى مصر لثلاث خلت من ذى
الحجة ومعه على بن عبد العزيز الجروى لأخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله
وصرف عبدون رخرج الأفشين إلى برقة وولى عيسى بن منصور بن موسى
ابن عيسى الرافعى أول سنة ٢١٦ هـ على الصلوات قانتقضت مهر السفلى عربها
وقبظها فى جمادى الأولى وأخرجوا العمال لسرى سيرتهم وخلصوا الطاعة فقدم
الأقشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى فى شرال
فاوقعا بالقوم وأسروا منهم وكانت حروب الى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله
المأمون لعشر خلت من المحرم سنة ٢١٧ هـ نسخط على عيسى وحل لواءه
فأخذ بلباس البياض ونسب الفشل اليه وإلى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل
الفساد وسبى القبط وقتل من قتل ثم رجع لثمار عشرة خلت من صفر بعد تسعة
وأربعين يوما وولى كيدر وهو نصر بن عبد الله بن مالك الصفرى فورد كتاب
المأمون عليه بأخذ الناس بالحنان والرفقة فى جمادى الآخرة سنة ٢١٨ هـ وكان
القاضى بمصر يومئذ هو هرون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود
ومن ومن توقف منهم سقطت شهادته فكانوا على ذلك من سنة ٢١٨ هـ إلى
سنة ٢٢٢ هـ . ومات المأمون فى رجب سنة ثمان عشره ومائتين وبويع أبو
اسحاق المعتصم بالله

المؤمن من العباسيين المعتصم بالله

(٢١٨ — ٥٢٢٧)

وهو ابراهيم المعتصم بالله بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه المأمون بعهد منه

ولما بويع له تشعب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس وقال لهم قد بايعت عمي فسكنوا واطمأنوا ولم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة وكان فيه عنف يرهب الاعداء ونشأ أمياً يكتسب كتابة عامية يقرأ قراءه ضعيفة لم يتعلم العلم وذلك لأن الرشيد كان يميل اليه فاتفق أنه مات غلامه الذي كان يقرأ معه فقتل له الرشيد ابراهيم مات غلامك فيمال نعم واستراح من عناء المكتب فقال إن المكتب قد بلغ منك هذا دعوه لاتعلمه وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم وبلغ علمانه الأتراك ثمانية عشر ألفاً والبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد فضاقت بهم المدنية وتأذى منهم الناس فبنى مدينة سر من رأى المعروفة بسامرا بغرب بغداد وانتقل اليها سنة ٥٢٢٠ هـ

وفي عهده خرج نوفل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة وعاد إلى مالطة وغيرها من البلاد فاستباحها قتلاً وأسر او مثل بالأسرى وقطع أوصالهم فبلغ المعتصم ذلك وبلغه أيضاً أن أسيرة هاشمية نادى : وامعتصماه فلما بلغه ذلك نادى بالرحيل إلى غزو عمورية وهو يقول : في مسيره لبيك لبيك وتجهز واستعد استعداداً لم يسبق له نظير وسار حتى بلغ عمورية وهي على سبعة مراحل من أنقرة وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد قد انتهى بفتح عمورية فهدمت وأحرقت وقتل من الروم نحو ثلاثين ألفاً وأسر

مثلهم ولما دخل المدينة صار يقول: لبيك لبيك وطاب العليج فضرِب عنقه وفك الشريفة من قيودها وأستولى على جميع مافي البلد من الأموال والذخائر وكتب إليه ملك الروم كتابا يهدده فيه فلما قرأه قال للدكاتب أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فتمت قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ماتسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار وجهز الجيوش ففتحوا وغنموا ورجعوا سالمين .

وكان ميمونا في مغازيه وهو أول من أضاف إلى لقبه اسم الله تعالى ولكنه قد أساء إلى المسلمين في التشديد عليهم وامتنح الناس وجبرهم على القول بخلق القرآن والذي دعاه إلى ذلك تنفيذ وصية أخيه فإنه لما عهد إليه بالخلافة أوصاه أن يحمل الناس على ذلك واستمر الامام أحمد محبوبا إلى أن بويع المعتصم فأحضره إلى بغداد وعقد له مجلسا للمناظرة فناظره ثلاثة أيام ولم يزل إلى اليوم الرابع ولم يقل بخلق القرآن فأمر بضربه إلى أن أغمى عليه وهو صائم ولم يزل يتوجع حتى مات رضى الله عنه سنة ٢٤١ هـ

ثم توفي المعتصم سنة ٢٢٧ هـ في ربيع الأول منها . وهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يعفو عنه

وأكبر غلطاته من الوجهة السياسية ادخاله الماليك في الدولة فإنه استعمل خمسين ألفا من الأتراك التتارية لأجل المحافظة على الثغور وصاروا يزيدون وتقوى شوكتهم شيئا فشيئا إلى أن اتحدوا بعد ذلك على خلع الطاعة وكان ذلك سببا في انحطاط الدولة العباسية حيث فقدت العصية العربية وابتدأ ذلك الانحطاط من عهد المتوكل على الله عاشر خلفائها

ومن الوجهة الدينية تشديده على أهل السنة في القول بخلق القرآن وإهانة أكابر العلماء ومعارضتهم في عقيدتهم بلا جدوى ولا كبير فائدة من هذا العمل

الشائن لأنه فتح باب الفتنة لعدم الرضا بما وسع المسلمين من عهد النبوة إلى عهده ، ولم ينتج من ذلك شيء من الفوائد بل نتج عنه كثير من الزندقة والفساد سألحه الله وعفا عنه .

عمارة علي مصر

لما ولي المعتصم بالله ورد كتابه على كيدر عاملها ببيعته وأمر باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم وفعل ذلك نخرج يحيى بن وزير الجروى فى جمع من لحم وجدامه ومات كيدر فى ربيع الثانى سنة ٢١٩ هـ .
فولى ابنه المظفر بن كيدر باستخلاف أبيه وخرج إلى يحيى بن وزير وقتله وأسرته فى جمادى الآخرة . ثم صرفت مصر إلى أبى جعفر أشناس فدعا له بها وصرف المظفر بن كيدر فى شعبان ، فولى موسى بن أبى العباس من قبل أشناس على الصلوات مستهل شهر رمضان سنة ٢١٩ هـ وصرف فى ربيع الآخر سنة ٢٢٤ هـ فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر ثم ولى مالك ابن كيدر بن عبدالله الصفدى من قبل أشناس على الصلوات فقدم لسبع بقيت من ربيع الأول وصرف لثلاث خلت من ربيع الثانى سنة ٢٢٦ هـ فولى على بن الأرملى من قبل أشناس على صلواتها وقدم لسبع خلت من ربيع الأول سنة ٢٢٦ هـ وبقي بها إلى أن توفى المعتصم وأقره الواثق بالله كما سيأتى فى خلافته

التاسع من العباسيين الواثق بالله

(٢٢٧ — ٢٣٢ هـ)

وهو أبو جعفر هرون بن المعتصم بالله بويح له بالخلافة بسر من رأى بعد وفاة أبيه أخذت البيعة ونفذت فى بغداد فاستمر له الامر وكان من أفاضل الخلفاء فطنا أديبا شاعرا لييبا وكان يتشبه بالمأمون فى جميع حركاته وسكناته وفى عهده غزا المسلمون الروم فى البحر وفتحوا جزيرة صقلية وفتحوا أيضا

سينيا في عهد الملكة بدوره ملكة الروم امرأة نوفل ملك الروم وكانت قد وليت
الملك بعد وفاته بالنيابة عن ابنها جنبه ميخائيل حيث كان صغيرا وقد اقتنى
الوائق أثر أبيه في مخالفة أهل السنة والقول بخلق القرآن ثم رجع بعد ذلك
عن هذا القول قبل موته وسبب ذلك أنه أتى بشيخ من أكابر العلماء وأفضل
الفضلاء وذلك الشيخ هو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الأسدي شيخ
أبي داود والسكسائي وبعد أن مكث مدة طويلة في السجن مكبلا في قيوده فلما
وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد الواثق السلام عليه فقال له الشيخ يا أمير المؤمنين
بئس ما أدبك به مؤدبك قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو
ردوها فما حييتني بأحسن منها ولا رددت بها فقال له الواثق وعليك السلام ثم
قال لابن دؤاد وقال أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه شيء دعا
إليه رسول الله ﷺ قال لا فقال له أدعا إليه أبو بكر الصديق بعده قال لا
فقال له أدعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا فقال له أدعا إليه عثمان بعدهم
قال لا قال أدعا إليه علي بن أبي طالب بعده قال لا فقال الشيخ شيء لم يدع إليه
رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وعمر ولا عثمان ولا علي رضي الله عنهم أجمعين
تدعو إليه أنت الناس فهو لا يخلو من أحد أمرين إما أن تقول علموه أو
جهلوه فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعنا وإياكم السكوت عما سكت عنه رسول
الله ﷺ وأصحابه وإن قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع بن لكع تجهل النبي
ﷺ والخلفاء الراشدين بعده رضي الله عنهم شيئا وتريد أن تعلمه أنت وأصحابك
فالزمه الشيخ الحجة فعند ذلك أمر الواثق فك قيود الشيخ فأخذها ووضعها
في كفه فقال له الواثق ما تفعل بها قال أوصى بها بعدي إذ أنا مت أن يضع القيد
بين يدي وبين كفّي حتى أخاصم بها هذا الظالم يوم القيامة فاقول يا رب سل عبدك
هذا لم يقيدني وروع أهلي وولدي وأخواني بلا حق ووجب علي له فيكي الحاضرون

ثم سألته الواثق أن يجعله في حل فقال الشيخ: جعلتك في حل إكراما لرسول
الله ﷺ إذ كنت من أهل بيته فرجع الواثق عن هذا القول وأطلق الشيخ
وأكرمه وأحسن إليه .

وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه التاج وكان أعلم الخلفاء بالغناء
وله أصوات وألحان عملها في نحو مائة صوت وألف له الاصفهاني كتاب
الأغاني ، وتوفي الواثق في رجب سنة ٢٣٢ هـ وعمره ثلاثون سنة ومدة خلافته
خمس سنين وتسعة أشهر ولما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس مشترك لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ماضر أهل قليل في تفاخرهم فليس يغنى عن الأملاك ما ملكوا
ثم ألصق خبره بالأرض وجعل يقول يا من لا يزول ملكه أرحم من
يزول ملكه ثم قبض رحمه الله .

فانظر كيف كان موقف العلماء في المدافعة عن الدين في الأعصر السابقة
وما كانوا يقاسونه من أجل هذه المدافعة من الحبس والتكبير في الحديد وهم
لا يخشون في الله لومة لائم فهم يصدق عليهم قوله تعالى « رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .
وأنظر كيف كان رد الاستاذ عبد الرحمن بن عبد الله الأسدي على الخليفة
وهو مقيد في قيوده وقوله له بنس ما أدبك به مؤدبك يا أمير المؤمنين وذلك
أنه لما أقرأه السلام فلم يجبه عليه واحتج على عمله هذا بكتاب الله لأنه قد
أضاع ما أمر الله به المسلمين عامة فرد عليه السلام .

وأنظر كيف أقام عليه الحجة الدامغة في مسألة حلق القرآن التي تقدم
ذكرها آنفا فحضع إليها ولم يستطع رد ما أخبره به بجميع براهينه وذلك لأن
الله يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المبطلون ، وأعتذر إليه عما حصل في

حقه من الأهانة بدون حق كما أخبره الشيخ بذلك وهكذا تكون العلماء في
المواقف الدينية .

ثم أنقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكانهم أحلام
وقفنا الله إلى خير العمل وعدم الوقوع في الزلل إنه سميع مجيب .

عمارة على مصر

أقر الواثق بالله على مصر على بن يحيى الذى كان واليا عليها من قبل المعتصم
إلى سابع دى الحجة سنة ٢٢٨ هـ فكانت ولايته عليها سنتين وثلاثة أشهر ثم
ولى عليها عيسى بن منصور من قبل أشناس على صلاتها فدخلها لسبع خلت
من المحرم سنة ٢٢٩ هـ فمات أشناس سنة ٢٣٠ هـ وجعل مكانه إيتاح فأقر عيسى
ابن منصور وبقي بها إلى أن مات الواثق وبويع المتوكل .

العامر من العباسيين المتوكل على الله

٢٣٢ — ٢٤٧ هـ

وهو جعفر بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بسر من
رأى يوم وفاة أخيه الواثق بعمر منه سنة ٢٣٢ هـ وله من العمر ست وعشرين
سنة فأحيا السنة وأمات البدعة وأبطل القول بخلق القرآن وكتب إلى جميع
الآفاق بذلك وقرب علماء السنة وعظمتهم ورفع قدرهم وعزز جانبهم فكسبت
المعتزلة وخمدت أنفاسهم وأراح الله الناس من شر تلك الفتن وفى أيامه ظهر
بمدينة سامرا محمود بن فرج بإدعاء النبوة وزعم أنه ذو القرنين الذى ذكره الله
فى كتابه وتبعه سبعة وعشرون رجلا فالزم المتوكل أصحابه أن يصفعه كل منهم
عشر صفعات ثم حبسه وضربه حتى مات .

ونقل دواوين الخلافة إلى دمشق وهاجر العراق مدة شهرين ثم عاد إلى سامرا

وفي سنة ١٤٥ هـ بنى مدينته التي سماها بالعزيرة والمتوكلية وساق إليها الماء من أفريقية وأنفق عليها أمرا لا كثيرة وتحول إليها . وكان المتوكل يبغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويكثر الوقعة فيه واشددة بغضه له قد أمر بهدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما ومنع الناس من زيارته فاشمأز منه المسلمون وتألّموا وهجاه الشعراء بسبب ذلك فما قيل في ذلك :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتانا بنو أبيه بمثله هذا لعمر ك قبره مهدوما
أسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميا
ولله در ابن الوردي حيث قال :

وكم قد محى خير بشركا أنمحت يبغض علي سيرة المتوكل
تعمق في عدل ولما جنى علي جناب علي حطه السيل من عل

وفي سنة ٢٤٧ هـ كثرت المماليك الأتراك ببغداد فاستولوا على المملكة وصار بيدهم العقد والحل والتولية والعزل وزاد طغيانهم وعتوهم إلى أن حملهم ذلك على السطو على الخليفة المتوكل . وكان بينه وبين ابنه المنتصر جناء ونفور فاتفق مع بغا الصغير قائدهم فدخلوا عليه وهو في مجاس أنس وعنده الوزير الفتح بن خاقان فصاح عليهم الفتح بقوله لهم ويلكم هذا سيدكم ورمى بنفسه عليه فضربهما بغا فماتا معا ثم خرج بغا ومن معه من رجاله إلى المنتصر بالله فسيلموا عليه بالخلافة وكان قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ هـ وعمره أربعون سنة ومدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

وقتل المتوكل سهل علي المماليك أمر الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالعصفور في يد الطفل الصغير يفعل به ما يدا له .

عمارة على مصر

لما بويع المتوكل صرف عيسى بن منصور الذي كان واليا عليها من قبل
أبيه في منتصف ربيع الأول سنة ٢٣٣ هـ وولى هرتمة بن النضر الجبلي من أهل
الجبيل على الصلوات وقدم لست خلت من رجب سنة ٢٣٣ هـ وورد كتاب
المتوكل بترك الجدل في القرآن لخمس خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٣٤ هـ
ومات هرتمة وهو وال عايتها لسبع باقية من رجب سنة ٢٣٤ هـ فاستخلف أبنه
حاتم بن هرتمة فتولى حاتم بن هرتمة ابن النضر باستخلاف أبيه له على الصلوات
وصرف عنها لست خلت من رمضان فولى علي بن يحيى بن الأرضي المرة الثانية
من قبل إبتاح على الصلوات لست خلت من رمضان وصرف إبتاح في المحرم
سنة ٢٣٥ هـ واستصفيت أموره بمصر وترك الدعاء له ودعى للبتصر مكانه
فصرف علي بن يحيى في ذى الحجة من هذه السنة وولى إسحاق بن يحيى بن معاذ
ابن مسلم الجبلي من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلوات
والخراج فقدم لإحدى عشرة خات من ذى الحجة ومات إسحاق بعد عزله
غرة ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ وولى عبد الواحد بن يحيى بن منصور بن طاحنة
ابن زريق على الصلوات والخراج فقدم لتسع باقية من ذى الحجة سنة ٢٣٦ هـ
وصرف عن الخراج لتسع خلت من صفر سنة ٢٣٧ هـ وأفر على الصلوات
وحدها ثم صرف سلخ صفر سنة ٢٣٨ هـ بخليفة على الصلوات والشركة في
الخراج مستهل بربيع الأول فولى عنبسه بن إسحاق بن شمر بن عبس أبو جابر
من قبل الخليفة على الصلوات وشرىكا لأحمد بن خالد صاحب الخراج فقدم
لخمس خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٨ هـ ، وأخذ العمال برد المظالم وأقامهم
للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح
ماشيا إلى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادي في شهر رمضان السجور وفي

ولايته نزل الروم دمياط وماكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس
وسبوا النساء والاطفال فنفر إليهم يرم النحر من سنة ٢٣٨ هـ في جيشه ومعه
كثير من الناس فلم يدركهم وأضيف له الخراج مع الصلوات ثم صرف عن
الخراج أول جمادى الآخرة سنة ٢٤١ هـ فدعى له وعنبة هذا آخر من ولى مصر
من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف أول رجب
منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله .

وكانت ولاية عنبة أربع سنين وأربعة أشهر وخرج إلى العراق في
رمضان سنة ٢٤٢ هـ فولى يزيد بن عبد الله بن دينار من الموالى ولاء المنتصر
ولى عهد أبيه على الصلوات فقدم العشر باقية من رجب سنة ٢٤٢ هـ فأخرج
المختين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه
وخرج إلى دمياط محاربا في المحرم سنة ٢٤٥ هـ ورجع في ربيع الأول فبلغه
نزل الروم الفرما فرجع إليهم فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل وتبع
الروانض وحملهم إلى العراق وبنى مقياس النيل في سنة ٢٤٧ هـ وجرت على
العلويين في لايته شذائد كثيرة وبقى إلى أن مات المتوكل وبويع ابنه محمد
المنتصر .

الحارثي عمر المنتصر بالله

من سنة ٢٤٧ هـ إلى سنة ٢٤٨ هـ

وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل على الله بويع له بالخلافة في الليلة التي
قتل فيها أباه فامتنع الناس أولا من مبايعته بحجة أنه قتل والده فأخرج أحمد بن
الخطيب كتابا من المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقله به فبايعه الناس
وكان كثير العدل قليل الظلم ولما ولى الأمر أمر بزيارة قبر الحسين رضى الله
عنه فيقال إنه لما جلس على سرير الملك رأى في بعض البسط دائرة فيها فارس

عليه تاج وحواله كتابة فارسية فأمر بها فترجمت فاذا هي أنا شبرويه بن كسرى
ابن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك إلا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر وأمر برفع
البساط فحصل له حمى كانت سببا في موته وقيل إنه دسوا إلى طبيبه ابن طيغور
السم ففصده بريشة مسمومة فمات عن ست وعشرين سنة من عمره ومدة خلافته
سنة أشهر .

(إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

مات مصر في عمره

لما مات المتوكل ومات الفتح بن خاقان أيضا وبويع المنتصر أقر يزيد بن
عبدالله على مصر ولم يزل بها إلى أن مات المنتصر في ربيع الأول سنة ٢٤٨ هـ
وبويع المستعين بالله .

الثاني عشر المستعين بالله

من سنة ٢٤٨ هـ إلى سنة ٢٥٧ هـ

وهو أحمد بن محمد بن المنتصر بالله بويع له بالخلافة سنة ٢٤٨ هـ ، ولاه
مر إلى الأتراك الذين أصبح في أيديهم الحل والعقد ولم يولوا أحدا من ولد
المتوكل لئلا يطالب بدمه وكانت تلك الأيام أيام فتن وخروج خوارج وأن
المستعين كان ضعيفا في عقله ورأيه وتدييره ولذلك كانت أيامه كلها قلاقل
ولم يكن فيه من حصال الخير إلا الكرم . ولسوء تدييره أخلع في سنة ٢٥١ هـ
مكرها ثم قتل بعد ذلك في المحرم سنة ٢٥٢ هـ وكانت خلافته سنتين وتسعة
أشهر ، وعمره واحد وثلاثين سنة .

عماله على مصر

وكان عامله على مصر يزيد بن عبدالله .

الثالث عشر المعز بالله

من سنة ٢٥٢ هـ إلى سنة ٢٥٥ هـ

وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل على الله بوبع له بالخلافة في المحرم سنة ٢٥٢ هـ تولى بعد خلع المستعين ابن عمه وحرص عليه فقتل وأتى برأسه إليه وهو مشتغل بأعب الشطرنج فلم يلتفت إليه حتى فرغ من لعبه ونظر إلى الرأس ثم أمر بدفنه .

وفي أيامه ابتدأت الدولة الطولونية بمصر وسيأتى الكلام عليها ثم إن الأتراك الذين صار في يدهم مقاليد الدولة اتفقوا على خلعهم مع جماعة آخرين بسبب طلب أرزاقهم فساروا إلى بابه ودخلوا عليه وأهانوه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه سردابا وجصصوا عليه فمات في رجب سنة ٢٥٥ هـ وعمره أربع وعشرون سنة ومدة خلافته ثلاث سنين وستة أشهر .

وفي أيامه تريت شوكة المتغلبين على البلاد واشتدت عزائمهم فولى أحمد بن طولون مصر وكان المعز رحمه الله حسن الخلق والخلق طيب السيرة والسريرة إلا أن الأتراك قد تمردوا في زمنه فاستخفوا بالخليفة والخلافة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه وبعد موت المعز قام بأمر الدولة المهتدى بالله .

الرابع عشر المرتضى بالله

من سنة ٢٥٥ هـ إلى سنة ٢٥٦ هـ

وهو أبو عبد الله جعفر بن الواثق بن المعتصم بوبع له بالخلافة حين خرجوا على ابن عمه المعز سنة ٢٥٥ هـ وكان ورعا متعبدا عادلا قويا في دينه شجاعا مهيبا ولما ولي الخلافة أمر بإبطال الملاهي ومنع سماع الغناء وشرب الخمر

ونفى المغنيات وترك المنكرات وجاس ينظر في حوائج الناس ومنع مظاهرهم
وكان يقول « إني لأستحي من الله عز وجل ألا يكون في بني العباس مثل
عمر بن عبد العزيز في بني أمية » وكان يتشبه به ويسعى في الخير جهده ومع
ذلك لم يجد أحدا يساعده على قوة يدفع بها طغيان هؤلاء الطاغين الذين أثاروا
عليه الفتنة وهاجوا وماجوا بسبب قتله بعض الموالى وأخذوه أسيرا وعذبوه
وجبروه على خلع نفسه فلم يفعل فقتلوه وذلك في رجب سنة ٢٥٦ هـ وعمره
سبع وثلاثون سنة ومدة خلافته سنة واحدة ودفن في سامرا . وتولى بعده
المعتمد على الله .

الخامس عشر المعتمد على الله

من سنة ٢٥٦ هـ إلى سنة ٢٧٩ هـ

هو أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله بويغ له بالخلافة بعد ابن عمه
المهتدي بالله نسامرا وكان مستضعفا ومنهكا في اللذات وكان أخوه الموفق
طلحة الناصر هو الغالب على أمره وله الأمر والنهي .

وفي أيامه خرج أحمد بن طولون وظهر بحلب وانطاكية وبقية العوام
واستفحل أمره بمصر واغتال خراجها وهي يومئذ من أثمر الأقطار وأعناها
وضيق على المعتمد أخوه طلحة من انهماكه في اللذات ولم يكن له من الأمر
شيء سوى الاسم والدعاء في الخطبة وقد اتفق أنه طلب في بعض الأيام ثلثمائة
دينار فلم يحصل عليها فقال

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل تمتعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذلك شيء في يديه
إليه تحمل الأمرا ل طرا ويمنع بعض ما يجي إليه
ومن الحوادث التي حصلت في أيامه أن الزنج دخلوا البصرة وأعمالها

وضربوا وقتلوا وأحرقوا وسبوا ونهبوا أموالا كثيرة واستمر القتال معهم إلى سنة ٢٧٠ هـ ثم قتل رئيسهم يهودا الذي كان يدعى أنه نبي وأنه مطلع على الغيب وكان منير يصعد عليه ويسب عثمان وعليها معاوية وطلحة والزبير ولما قتل زينت بغداد وطافوا برأسه فيها وهي على ربح .

ثم توفي المعتمد في شوال سنة ٢٧٩ هـ ببغداد وعمره خمسون سنة ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة ثم ملك بعده المعتضد بالله .

السادس عشر المعتضد بالله

من سنة ٢٧٩ إلى سنة ٢٨٩ هـ

وهو أبو العباس أحمد بن المرفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد برقع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد سنة ٢٧٩ هـ فقام بالأمر بعده حق القيام .

وكان شجاعا عاقلا لا يهاب الموت ولا يخاف الأسد مدبرا حازما ولذلك جدد ملك بني العباس . وولى الأمر والثغور مهملة والأموال معطلة والكلمة غير نافذة والظالم ضارب بجرانه فقوم الاعداء وجاج وأبطل المظالم والمفاسد وقوى الثغور وحافظ عليها وهدم دار الندوة التي كانت الحرم وجعلها مسجدا فانتشر في أيامه لواء العدل وانقطعت المظالم والمفاسد لتيقظه وحسن تدبيره مع مافي أيامه من الفتن وكثرة الخوارج .

ومن خرج عليه عمرو بن الليث الصغار الذي عظم شأنه وأستولى على أكثر بلاد العجم وكانت عاقبة أمره الأسر ومقاساة الأهوال ولم يزل المعتضد ساهرا على رعيته ملتفتا لتشديد دعائم مملكته إلى أن مات سنة ٢٨٩ هـ وله من العمر ست وأربعون سنة ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ثم قام بالأمر بعده ابنه المكتفي بالله .

السابع عشر المكتفى بالله

من سنة ٢٨٩ هـ إلى ٢٩٥ هـ

وهو أبو محمد علي بن المعتضد بالله بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه في ربيع الاول سنة ٢٨٩ هـ وكان حسن الخلق والخلق يكره سفك الدماء وفي أيامه ظهرت القرامطة وهم قوم من الخوارج خالفوا الدين وخرجوا عليه وقطعوا الدواب عن الحجاج ونهبوهم وقتلوا منهم كثيرا فأرسل المكتفى بالله عساكره وأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم وفي عهده رجعت مصر والشام إلى الخلافة العباسية وانقرضت دولة بني طولون وكان المكتفى فصيحاً يقول الشعر ونقش على خاتمه (علي يتوكل على ربه) ثم عاجلته المنون لانثى عشرة خلت من ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ ومدة خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً وقد أوصى بصدقة من خالص ماله ٦٠٠٠٠٠ ستمائة ألف دينار كان قد جمعها وهو صغير وأوصى بالخلافة إلى أخيه المقندر بالله

الثامن عشر المقندر بالله

من سنة ٢٩٥ هـ إلى سنة ٣٢٠ هـ

وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله بويغ له بالخلافة يوم وفاة أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة واختل نظام الملك في أيامه لحدائثة سنه وانهماكه في اللذات وكان كثير الانفاق مبذرا وولى الخلافة ثلاث مرات فتغلب عليه الجند واتفقوا على خلعها وعقدوا البيعة لابي العباس بن المعتز ولقبوه المرتضى بالله ولم يتم له الامر ولم يمكث سوى يوم واحد ولذلك لم يعد من الخلفاء ثم عاد المقندر وقتل ابن المعتز فاستقام له الامر وهذه ولايته الثانية ثم جرت بينه وبين مؤنس المظفر أمير الجيوش منافرة أدت إلى خلعها ومبايعة أخيه

القاهر ثم أعيد المقتدر مرة ثالثة وحمله الجنود على أكتافهم إلى دار الخلافة
فجلس على السرير وصفح عن أخيه القاهر ثم وقع بينه وبين مؤنس خلاف
أدى إلى الحرب فتوغل المقتدر في المعركة فضربه واحد من البربر فسقط على
الارض وقال لضاربه ويحك أنا الخليفة فقال له أنت المطلوب وأخذ رأسه
بسيفه وكان قتله يوم الاربعاء سنة ٣٢٠ هـ وله من العمر ثمانية وثلاثون سنة
وأشهر وخمسة أيام ومدة خلافته خمس وعشرون سنة وولى بعده أخوه
القاهر بالله

التاسع عشر القاهر بالله

من سنة ٣٢٠ هـ إلى سنة ٣٢٢ هـ

وهو القاهر بالله بن المنصور محمد بن المعتضد بويح له بالخلافة سنة ٣٢٠ هـ
وكان طائشا سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير النلون مدمنا للخمر وكان من
وزرائه ابن مقلة الذى جرد الخط العربى وأخذه من الخط الكوفى ولكنه لم
يترك فيه شيئا يشابه الخط الكوفى ولم يمكث القاهر فى الخلافة إلا سنة وستة
أشهر ثم خلع وسمت عيناه لست خلت من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ ثم عاش
مابقى من عمره فقيرا يتكفف الناس إلى أن مات وله من العمر ثمان وخمسون
سنة ويصدق عليه قول القائل

أوتيت ملكا فلم تحسن سياسته كذاك من لايسوس الملك يخلعه
وتولى بعده الراضى بالله

العشرون الراضى بالله

من سنة ٣٢٢ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله بويح له بالخلافة سنة ٣٢٢ هـ وفى

عنده ضعف أمر الخلافة العباسية فاسترد الروم كثيرا من البلاد التي كانت في حوزة الاسلام وتم استقلال الولاة بجميع الاقاليم فكانت مصر والشام في يد الاخشيد وفارس في يد آل بويه والموصل وديار بكر في يد بني حمدان وخراسان وماوراء النهر في يد سامان وطورستان وجورجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد القرامطة والاندلس في يد عبد الرحمن الاموي ولم يبق للخليفة الا بغداد وما والاها فبطالت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الخراب وساد الفساد وقهرت العباد ثم مات الرازي في ربيع الاول سنة ٣٢٩ هـ وعمره واحد وثلاثون سنة وأشهر بعد أن حكم سبع سنين وكان آخر خليفة له شعر يدون وآخر من خطب كثيرا وآخر من جالس المجلساء وآخر من كان في معيشته على ترتيب أسلافه ، وتولى بعده أخوه المتقي بالله

الحادي والعشرون المتقي بالله

من سنة ٣٢٩ هـ إلى سنة ٣٣٣ هـ

وهو أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله بويح له بالخلافة بعد أخيه الرازي سنة ٣٢٩ هـ وكان ورعا كثير الصوم والتجهد والتلاوة حافظا لدينه بعيدا عن اللهو والطرب وشرب الخمر وفي سنة ٣٣١ هـ من حكمه عدت الروم على الاردن ونصيدين فقتلوا وسلبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها زعموا أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورة وجهه فيه فأرسلوه اليهم في مقابلة فك الاسارى ففعلوا وكثرت الاضطرابات والحروب والفتن في أيامه بين رؤساء الدولة فصار كل واحد منهم يود أن يكون له السيادة والاعداء ينتصون أطراف الدولة وهم لا يلتفتون إلى ذلك ومع كون المتقي كان ملكا عاقلا مدبرا فانه لم يستطع المحافظة على ملكه لضعف قوته وكثرة المخالفين له والمتغلبين عليه

ولم يزل في نكد من العيش وأمره مضطرب إلى أن خلع وسملت عيناه لتسع
باقية من صفر سنة ٣٣٣ هـ بأمر بوزون التركي لما قام عليه فكانت مدته ثلاث
سنين وأحد عشر شهرا وعاش بعد ذلك مخلوعا إلى أن مات سنة ٣٤٣ هـ وعمره
سبع وأربعون سنة وولى بعده المستكفي بالله

الثاني والعشرون المستكفي بالله

من سنة ٣٣٣ هـ إلى سنة ٣٣٤ هـ

وهو أبو القاسم عبيد الله بن المكتفي ولى الامر سنة ٣٣٣ هـ بعد خلع
ابن عمه المنقفي وفي عهده استولى معز الدين بن بويه على بغداد وبذلك لقبه
المستكفي كما لقب أخويه عماد الدين وركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم
على الدنانير ومن هذا الوقت صار الخليفة في غاية الضعف ليس له إلا الاسم
والدعاء في الخطبة ومع ذلك فانه لم ينبج من الاذى بل انه خلع وسملت عيناه
في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ كما أمر بذلك أحد أمراءه معز الدولة احمد بن
بويه الديلمي لما دخل بغداد وتغاب على الخليفة وكانت مدة ولايته سبعة عشر
شهرا وعاش مخلوعا إلى أن مات سنة ٣٣٦ هـ وعمره خمسون سنة وولى بعده
المطيع لله

الثالث والعشرون المطيع لله

من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٣٦٣ هـ

وهو أبو الفضل القاسم بن المقدر بويح بالخلافة بعد خلع المستكفي
سنة ٣٣٤ هـ وفي أيامه ازداد ضعف الخلافة وغلبت الديلم على بغداد والروافض
العيديون على مصر والشام ومكة والمدينة وغلب الروم على الجزيرة وبعض
الشعور وردت القرامطة الحجر الاسود إلى مكانه وبقي الخليفة بلا وزير بل

كان له كاتب يريد إقطاعاته وإخراجاته وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد فكان بنو بويه يعتقدون أن الأحق بالخلافة العلويون ولم يكن ثم باعث ديني يبعثهم على الطاعة والانقياد لبني العباس وبقى المطيع يدبر الأمور جهده إلى أن ضاق ذرعا فتخلى عن الخلافة لأبنة غير مكره يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ وبعد نيف وأربعين يوما مات لثمان خلت من المحرم سنة ٣٦٤ هـ وولى بعده أبنة الطائع لله.

الرابع والعشرون الطائع لله

(٣٦٣ - ٣٨١ هـ)

وهو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع بويغ له بالخلافة بعد خلع أبيه نفسه وكان مغلوبا على أمره من قبل أمرائه وما كان له إلا العظمة الظاهرية وكان شديد القوة في خلقه كريما شجاعا بطلا جوادا سمحا إلا أن يده كانت قصيرة مع ملوك بني بويه ولم يزل كذلك حتى تغلبوا عليه وخلعوه سنة ٣٨١ هـ بعد أن تولى الحكم ست عشرة سنة وأشهر وعاش بعد ذلك مخلوعا مسمول العينين إلى أن مات سنة ٤٠٠ هـ والذي تولى خلعه وسمل عينه فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي الملقب بهاء الدولة وتولى بعده القادر بالله.

الخامس والعشرون القادر بالله

(٣٨١ - ٤٢٢ هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر بويغ له بالخلافة سنة ٣٨١ هـ وكان كثير العبادة والصدقات دينيا ورعا مؤثرا للعدل وقضاء الحوائج وفي أيامه رجع وقار الدولة العباسية وزاد رونقها وأخذت أمورها في القوة ومكث القادر في الخلافة مدة طويلة إلى أن مات سنة ٤٢٢ هـ ولم يبلغ أحد من الخلفاء

في إمارته المؤمنين مبلغه ولاطول عمره إلى أن مات سنة ٤٢٢ هـ، لأن ولايته دامت اثنتين وأربعين سنة وأشهرًا ومات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة لأن مولده كان سنة ٣٣١ هـ وتولى بعده القائم بأمر الله .

السادس والعشرون القائم بأمر الله

(٤٢٢ — ٤٦٧ هـ)

وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله بويغ له بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٤٢٢ هـ، وكان عادلاً قوياً الدين واليقين كثير الفضل والعدل والصدقات من خير الخلفاء ولكنه كان مغلوباً على أمره . وفي أيامه كان انقراض دولة بني بويه وابتداء الدولة السلجوقية فكانت مدة ملك الديلم مائة وتسع وعشرين سنة وكان هذا الملك الصالح كثير الصدقة والصيام والتهجد ومما يؤثر عنه أنه ما كان ينام إلا على سجلاته وما تجرد من ثيابه وتوفي رحمه الله سنة ٤٦٧ هـ، ومدة خلافته خمس وأربعون سنة وله من العمر سبع وسبعون سنة، وتولى الأمر بعده ولد ولده المقتدى بأمر الله .

السابع والعشرون المقتدى بأمر الله

(٤٦٧ — ٤٨٧ هـ)

وهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بويغ له بالخلافة يوم وفاة جده وكان ديناً على الهمة نجماً أزال المنكرات والملاهي ولذلك عمرت بغداد في أيامه وخطب له بالحجاز واليمن والشام فأقام بالخلافة تسع عشرة سنة وعدة أشهر ومات في المحرم فجأة سنة ٤٨٧ هـ تولى بعده المستظهر بالله .

التاسع والعشرون المستظهر بالله

من سنة ٤٨٧ إلى سنة ٥١٢ هـ

وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله بويغ له بالخلافة يرم وفاة أبيه وكان بين الجانب كريم الأخلاق جرادا محبا للعلم والعلماء . وفي سنة ٤٩٢ هـ في عهده أخذ الإفرنج بيت المقدس وقتلوا نحو سبعين ألفا وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في كنيستهم وأحرقوها عليهم وتمكنت الإفرنج من الشام ، وفي سنة ٥١٨ هـ نقل المصحف العثماني من مدينة طبرية إلى الجامع الأموي بدمشق خوفا عليه ونسب إلى عثمان لأنه هو الذي أمر بكتابتها كما سبق في خلافته ومات المستظهر لسبع بقية من ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ ومدة خلافته خمسة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعمره واحد وخمسون سنة ، وولى بعده المسترشد بالله .

التاسع والعشرون المسترشد بالله

من سنة ٥١٢ إلى سنة ٥٢٩ هـ

ولى المسترشد بعد وفاة أبيه بعهد منه وسنه يومئذ سبع وعشرون سنة وكان شجاعا دينا مقداما حتى قيل إنه لم يل الخلافة أخذ بعد المعتضد أشجع منه ذا رأى صائب وهمة عالية فأحيا مجد بني العباس وأرجع الدولة العباسية إلى نضارتها وقوتها وخرج إلى قتال السلطان مسعود السلاجوقي بنفسه وانتصر عليه ولكنه قتل بعد ذلك غيلة حيث دخل عليه الغزارية بالسكاكين وقتلوه هو ومن معه فجأة في سابع عشر ذي الحجة سنة ٥٢٩ هـ بعد أن حكم سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وعمره خمس وأربعون سنة وعهد بالخلافة لابنه الراشد بالله

التمرتون الرشيد بالله

من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٣٠ هـ

وهو أبو جعفر منصور بن المسترشد بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه بعهد منه ، وكان حسن الهيئة جميل الوجه كريم الأخلاق فصيح اللسان قوى الجنان وبقي يغالب الأيام وتغالبه إلى أن خلعه السلطان مسعود السلجوقي بعد شهادة أهل بغداد عليه أنه ارتكب منكرا فحكم قاضي القضاة ابن التتوخي بخلعه فخلعوه لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٥٣٠ هـ وعمره ثلاثون سنة فكانت خلافته نحو سنة وبعد ذلك قتل سنة ٥٣٢ هـ وهو صائم في يوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، وولى الأئمة بعده عمه المقتفي لأمر الله .

الحارثي والتمرتون المقتفي لأمر الله

من سنة ٥٣٠ إلى ٥٥٥ هـ

وهو أبو عبدالله محمد بن المستظهر بويع له بالخلافة يوم قتل ابن أخيه وكان شديد الهيئة سيدا عالما فاضلا ديتا شجاعا خليفيا بالآمارة عظيم السلطان قوى الجنان بيده أزمة الأمور فكان لا يجرى في خلافته أمر إلا بأمره وتوقيعه . وفي سنة ٥٤٣ هـ حاصر الأفرنج دمشق فوصل إليها نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب حلب يومئذ وأخوه غازي صاحب الموصل فنصر الله المسلمين بهما وانهمز الأفرنج عنها ، وفي أيامه عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق له منازع في سلطانه وكان الحكم قبله للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة إلا الاسم كما تقدم ومن سلاطينه أيام دولته سنجر صاحب خراسان والسلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ومهر وكان المقتفي مغرما بكتابة القرآن بيده حسن الخط فكتب بيده الكريمة ثلاث ربعات وكانت وفاته في شهر ربيع

الأول سنة ٥٥٥ هـ وعمره ست وستون سنة ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وجدد بناء الكعبة وعمل لنفسه من الباب العتيق تابوتا دفن فيه ، وولى بعده ابنه المستنجد بالله

الثاني والتملأون المستنجد بالله

من سنة ٥٥٥ إلى سنة ٥٦٦ هـ

وهو أبو جعفر المظفر يوسف بن المقتدى بالله . بويع له بالخلافة بعد يوم مورت أبيه وكان موصوفا بالعدل والديانة ثاقب الفكر صائب الرأي أبطل المكوس والمظالم وبما يؤثر عنه أنه رأى في منامه في حياة والده أن ملكا نزل من السماء فكتب له في كفه ثلاث خاءات فطلب معبرا فقال له إنك ستلي الخلافة سنة ٥٥٥ فكان كذلك . وكان له شعر رقيق منه قوله :

عيرتني بالشيب وهر وقار ليتها عيرت بما هو عار

إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمار

وفي أيامه ساد العدل وباد الظلم لأنه كان شديدا على المفسدين وتوفي سنة ٥٦٦ هـ في ثامن ربيع الثاني خنقه أكبر دولته في حمام عقب مرض أصابه ، وقيل إنه حبس في الحمام إلى أن مات بعد أن عمر ثمانى وأربعين سنة وكانت خلافته إحدى عشرة سنة . وتولى بعده ابنه المستضى بأمر الله

الثالث والتملأون المستضى بأمر الله

من سنة ٥٦٦ إلى سنة ٥٧٥ هـ

وهو أبو محمد حسن بن المستنجد بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وكان سمحا كريما محبا للسنة مبيدا للبدعة كثير الخيرات والصدقات وفي مدته عمرت البلاد وعم العدل في جميع أرجائها ومحيت عن الناس مظالم كثيرة ولذلك كثر

الثناء عليه من جميع الخلق ولم يكن يركب إلا مع ممالئكة ولا يدخل عليه سوى
الأمراء وفي أيامه انقضت دولة الفاطميين بمصر وما كان أسد الدين شيركوه
تانيا عن محمود نور الدين ومات نور الدين بعد أن بنى قبة الامام الشافعي سنة
٥٧٤ هـ خلفه في جهاده وحسن سيرته صلاح الدين يوسف الأيوبي وهو الذي
استرد من الافرنج بيت المقدس وكثيرا مما كان بأيديهم من البلاد الاسلامية
بهمته المشهورة وحروبه المعروفة ولم يزل المستضيء ناشراً لواء العدل معروفاً
بالحزم والفضل إلى أن توفي سنة ٥٧٥ هـ ومدة خلافته تسع سنين ونصف
وعمره سبع وثلاثون سنة وولى الأمر بعده ابنة الناصر لدين الله

الرابع والثلاثون الناصر لدين الله

من سنة ٥٧٥ إلى سنة ٦٢٢ هـ

وهو أبو العباس أحمد بن المستضيء بنور الله بويبع له بالخلافة في بغداد يوم
وفاة أبيه غرة ذى القعدة سنة ٥٧٥ هـ وعمره ٢٣ سنة ، وكان عظيم الهيبة شجاعاً
مقدماً ذا دهاء فائق وذهن رائق . فنشر لواء العدل وعمل على إحياء السنة
وكان له هيبة في النفوس حتى أنه إذا ذكر اسمه عند أمرائه وعطاء دولته
خفضوا أصواتهم إجلالاً له ، وفي أيامه كان ظهور صلاح الدين الأيوبي
واستيلاؤه على مصر وفتح بيت المقدس وإزالة دولة الفاطميين وإماتة البدع
فأمر بإزالة الخمر وإبطال الملاهي وأبطل المكوس والمظالم فعمرت البلاد
واستراحت العباد وكثرت الأرزاق وعم الأمن والوفاق فقصد الناس بغداد
من كل فج وراجت التجارة رواجاً عظيماً وعم الخير في أنحاء مملكته حتى صار
الناس يتبركون به أيام دولته ، وكان يقظاً ملتفتاً لأمر دولته حريصاً على راحة
رعيته يتعب نفسه لراحتهم ويسهر الليالي الطوال ليناموا في ظل أمانه فكان

كثيرا ما يطوف ببغداد ليلا ليقف على كل شيء يهيمه الوقوف عليه فضلا عن كونه كان متخذاً الأرصاد والعيون حتى يقف على ما يهيمه ، وفي أيامه ابتداء خروج التتار من بلادهم مغيرين على بلاد الاسلام فظهر جنكبير خان سنة ٥٩٩ هـ وكان لا يدين بدين فأفسد البلاد وأضر بالعباد ودخل بخارى ونهب وسلب وقتل كثيرا وقصد بلاد خراسان ومات سنة ٢٢٤ فقام بعده ولده (تولى خان) وبعده ولده (هلاكو) وبعده ولده (تكدار) فأسلم وسمى نفسه أحمد ، وكان انقراض دولتهم سنة ٧٢٧ . ولم يزل الناصر ملتقيا لأمر رعيته باسطة إليهم بساط العدل إلى ساخ رمضان سنة ٦٢٢ هـ وعمره ٧٠ سنة ومدة خلافته ٤٧ سنة فهو من أطول الملوك أياما وشق موته على جميع أهل مملكته لما كان مرصوفا به من صفات الكمال وتولى بعده الظاهر بالله .

الخامس والسلاطون الظاهر بالله

(٦٢٢ — ٦٢٣ هـ)

بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه بعهد منه وكان جميل الوجه حسن الهيئة موقرا محسنا لرعيته ولما تولى لم يزل ناشرا لواء العدل ساعيا جهده في إبطال ما بقى من المكوس والمظالم وأعاد بسيرته سيرة العمرين فإنه ماولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز أحد مثله فإنه أمر بجباية الخراج والأموال على الرسم القديم في العراق وأرسل إلى القاضى عشرة آلاف دينار ليفرقها على المعسرين ، وأعطى العلماء والصالحين ليلة جبر البحر مائة ألف دينار ، وتوفى رحمه الله في ١٣ رجب سنة ٦٢٣ هـ وعمره ٥٢ سنة ومدة خلافته تسعة أشهر ونصف ولو طال أمده لكان من أجل الخلفاء نفعا وولى الأمر بعده ابنه المستنصر بالله .

السادس والثلاثون المستنصر بالله

(٦٢٣ - ٦٤٠ هـ)

وهو أبو جعفر المنصور محمد بن الظاهر بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه وعمره ٣٥ سنة وكان عادلا كريما محبا للعلم والعلماء وأهل الدين والتقوى وكان كثيرا ما يقول (إني أخاف أن الله تعالى لا يثيني على ما أهبه وأعطيه لأنه تعالى قال في كتابه العزيز : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وإني والله لافرق عندي بين التراب والذهب) .

وكانت أيامه كلها سرور وأمان وراحة بال واطمئنان خاطر الفتن فيها نائمة والخيرات كثيرة ولذلك لم يشغله شاغل عن بناء المساجد وتقوية الرباطات وحفظ النغور وتشديد الحصون وبناء المدارس والملاجيء .

وقصد التتار البلاد في أيامه فلم يفلحوا وهمهم شرمهزيمة ورجعوا على أعقابهم خائبين ولذلك أحبته رعيته وأطلق أسنة الثناء والشكر عليه ولم يزل حصنا حصينا وذخرا وملجأ لرعيته إلى أن مات مأسوفا عليه يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية سنة ٦٤٠ هـ وعمره (٥٢) سنة ومدة خلافته (١٧) سنة وولى الأمر بعده ابنه المستعصم بالله .

السابع والثلاثون المستعصم بالله

من سنة ٦٤٠ إلى سنة ٦٥٦ هـ

وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بويغ له يوم موت أبيه وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق وكان حليما كريما إلا أنه كان ضعيف الرأي غير ملتفت لأمور الخلافة ولذلك ركن إلى وزيره مؤيد الدين بن العلقمي الرافضي وكان عدوا له يداريه في الظاهر ويعمل على زوال دولته في الباطن ولذلك صار

يكتب هولاء ملك التتار ويغريه على أخذ بغداد ويرشده إلى طريق أخذها ويخبره بضعف الخليفة وقلة عساكره وانحلالهم ولم يزل به إلى أن زحف على بغداد في عسكر جرار وجيش عرهم والمستعصم ومن معه في غفلة فأوقع بمن بها وأرسل إلى الخليفة يطلبه إليه فاستيقظ من رقدته وندم حيث لا ينفع الندم .
وأما الوزير الخادع الخائن فإنه ذاق جزاء ما كسبت يدها فان هولاء كو استدعاه بين يديه وعنفه تعنيفا شديدا على خيانتة لسيدته ثم قتله شر قتله ولم ينل شيئا مما كان يتوهمه من الخير .

وبقتل المستعصم خرجت بغداد من قبضة الخلافة الاسلامية بدخول التتار فيها واستيلائهم عايبها وأقام الناس بلا خليفة ثلاث سنين ، وعلق التتار المصاحف في أعناق الكلاب وقلبوا المساجد كنائس وألقوا كتب الأئمة في نهر دجلة وذهبت محاسن بغداد كأن لم تكن . بعد أن كان بها اثنا عشر ألف خان واثنتا عشرة ألف طاحونة وأربع وعشرون ألف سوق وألف حمام وثمانية آلاف مدرسة ومن جوامعها الرصافة الواسع الاترجاء فإنه كان يسع مائة ألف إنسان كانوا يحضرون مجاس ابن الجوزي .

ولما مات بها الإمام أحمد بن حنبل حضر جنازته ألف ألف وستمائة ألف رجل ضبط ذلك بالمساحة . وكانت أجمل مدينة في الدنيا ثم انتشرت فتنة التتار فأخذوا بلاد الروم ورتبوا على ملكهم كل سنة أربعمائة ألف دينار .

ثم اضمحلت الخلافة الاسلامية وانتقلت الى مصر بعد ما كان لها من العظمة والعزة والسلطان ما كان والملك لله الواحد الديان .

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى المات سلام

انتقال دولة بني العباس الى مصر

لما اضمحل بنو العباس انتقلوا إلى مصر وتركوا بغداد لغلبة التتار عليها
وحكم بها منهم (١٧) خليفة ومدة حكمهم بها (٢٨٥) سنة
ولم يكن لهم إذ ذاك لأمر ولا نهى بل كانوا يجعلونهم في محل خاص بهم
وتجرى عليهم النفقات فيه كما تقدم .

أولهم المستنصر بالله من سنة ٦٥٩ هـ إلى سنة ٦٦٠ هـ وهو أبو القاسم أحمد
ابن الظاهر بأمر الله كان بعيدا عن الفتنة فسلم وقدم مصر وأثبت نسبه في سنة
٦٥٩ هـ وذلك في أيام الظاهر بيبرس فتلقيه وبايعه هو وأهل الحل والعقد
بالخلافة وبايعه الناس على اختلاف مراتبهم وخطب باسمه على المنابر فاستبشر
الناس بذلك وفرحوا وفرحا عظيما ثم رتب له السلطان حاجبا وكاتبا وعين له
جميع ما يحتاج اليه وأقام بالقلعة ثم بدا له بعد ذلك الرجوع إلى العراق والمطالبة
بالببيعة فودعه الظاهر وسار معه حتى وصل إلى الشام ثم فارقه فذهب الخليفة
إلى العراق فلما قرب منه بعساكره استقبله جماعة من التتار فاقتلوا وقتل كثير
من عساكره وتشنت من بقي منهم ولم يعلم له أثر بعد ذلك وقيل إنه قتل وكان
ذلك في المحرم سنة ٦٦٠ هـ

الثاني الحاكم بأمر الله (الأول)

من سنة ٦٦٠ إلى سنة ٧٠٦ هـ

وهو أبو العباس أحمد بن علي كان قد اختفى وقت الفتنة وقدم حلب فبايعه
كثير من الناس ثامن الحرم سنة ٦٦٠ هـ ولما قصد المستنصر بغداد ووقعت
الواقعة التي تقدم الكلام عنها وأخبره بها كاتب الحاكم الملك بيبرس فطلبه إلى
القاهرة فحضر ومعه ولده وجماعة من أتباعه فأكرمه الملك الظاهر وبايعه بالخلافة

وطالت مدته وفي سنة ٦٩٩ هـ قصد غازان بن أرغون بن ايقان هولاء كو كبير التتار دمشق بجيش عظيم نخرج السلطان اليه وتقابلا على ثلاثة فراسخ من حمص بواد حصل فيه واقعة فقتل فيها أكثر من عشرة آلاف من التتار وظهرت علامات النصر على المسلمين ثم انهزمت ميمنتهم فدخل التتار دمشق وعثوا فيها الفساد وبقى الحاكم بأمر الله إلى أن توفي بمصر سنة ٧٠٦ هـ ودفن بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها . وهو أول خليفة من العباسيين دفن بمصر

الثالث المستكفي بأمر الله

من سنة ٧٠٦ إلى سنة ٧٤٢ هـ

وهو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بويح له بالخلافة بعهد من أبيه سنة ٧٠٦ هـ وعمره سبع عشرة سنة وخطب له على المنابر بمصر والشام وكان فاضلا كريما يحب العلم والعلماء ويعظم أهل الأدب ويقربهم اليه في مجلسه وبعد أن أقام بالخلافة إحدى وثلاثين سنة حصلت فتنة بينه وبين الملك الناصر ترتب عليها خلع الخليفة ونفيه إلى قوص وهي قرية من صعيد مصر واستمر بها إلى أن مات سنة ٧٤٢ هـ

الرابع الواثق بأمر الله

من سنة ٧٤٢ إلى سنة ٧٤٣ هـ

وهو ابراهيم بن المستمسك بالله بايحه الناصر بعد موت المستكفي بأمر الله سنة ٧٤٢ هـ ، وكان قد عهد لولده أحمد بالخلافة فلم يلتفت السلطان لتنفيذ عهده وبايع ابراهيم واستمر في الخلافة إلى أن حصلت وفاة السلطان الناصر فندم عند موته وعزل ابراهيم وجعل الخلافة لأحمد كما عهد والده . فخلع ابراهيم في أول المحرم سنة ٧٤٣ هـ ، وكانت مدة حكمه سنة .

الخامس الحاكم بأمر الله « الثاني »

من سنة ٧٤٣ إلى سنة ٧٥١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله بويغ له بالخلافة بعد خلع ابراهيم بايعه الناصر والقضاة والعلماء وأرباب الدولة فقوى دعائم الخلافة وسلك مسلك آبائه واستمر كذلك إلى أن مات .

السادس المعتضد بالله

من سنة ٧٥١ إلى سنة ٧٦٣ هـ

هو أبو بكر بن المستكفي بويغ له بالخلافة يوم موت أخيه بعهد منه وكانت سيرته حميدة وسار على نهج الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

السابع المتوكل على الله

من سنة ٧٦٣ إلى سنة ٧٧٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن المعتضد بويغ له بعد موت أبيه بعهد منه وطال عمره حتى خلف نحو مائة ولد . وفي سنة ٧٧٣ حدثت العلامة الخضراء على عمائم الاشراف ليشتموا بها عن غيرهم وذلك بأمر السلطان الملك الاشراف قنصوه بن محمد بن قلاوون وفي هذه السنة كان ابتداء خروج تيورلنك الأعرج الخبيث الذي خرب البلاد وأهلك العباد ، ثم خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩ هـ وبقي إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ

الثامن المعتصم بالله

سنة ٧٧٩

وهو زكريا ابن ابراهيم بويغ له يوم خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩ هـ وأقام نحو شهر وخلعوه ثم أعيد المتوكل بن المعتضد بالله بعد خلعه فأقام ست سنين وخلعه السلطان برقوق الشركسي ملك مصر سنة ٧٨٥ هـ .

التاسع الواثق بالله

من سنة ٧٨٥ الى سنة ٧٨٨ هـ

هو عمر بن ابراهيم بويغ له بعد خلع المتوكل مرة ثانية فأقام ثلاث سنين وكان محمود السيرة وتوفي سنة ٨٨٨ هـ ، وأعيد إلى الخلافة المتوكل على الله بن المعتض بالله بويغ مرة ثالثة فأقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ، وكان مجموع خلافته بما فيها من الخلع والحبس نحو خمس وأربعين سنة وخلف عشرة أولاد ذكور . تولى بعده الخلافة خمسة أولهم المستعين بالله .

العاسر المستعين بالله

من سنة ٨٠٨ إلى سنة ٨١٥ هـ

هو أبو الفضل العباس بن المتوكل بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه المتوكل بعهد منه فأقام في الخلافة ست سنين ثم خلع ثم عاد وبقي ستة أشهر ثم خلع سنة ٨٥١ هـ وحبس بالاسكندرية وبقي بها إلى أن مات وبويغ بعده المعتض وهو الثاني من أولاد المتوكل .

الحادي عشر المعتض بالله

من سنة ٨١٥ إلى سنة ٨٤٥ هـ

وهو أبو الفتح داود المتوكل بويغ له يوم خلع أخيه فأقام بالخلافة ثلاثين سنة وكان حميد السيرة ممدوح الخصال سمحاً كريماً يميل إلى مجالسة العلماء والفضلاء ، وبلغ بمصر من التعظيم والتكريم ونفوذ الكلمة ما لم يبلغه خليفة فيها سواه وتوفي سنة ٨٤٥ هـ . واحتفل بجنائزته سلطان مصر الملك الظاهر جقمق العلأى ومشى في جنازته على قدميه إلى دفنه بالمشهد النفيسى وبويغ بعده أخوه المستكفي بالله وهو الثالث من أولاد المتوكل .

الثاني عشر المستكفي بالله

٨٤٥ - ٨٥٥ هـ

وهو سليمان بن المتوكل بويج له يوم موت أخيه المعتضد فأقام في الخلافة عشر سنين وكان عاقلا مدبرا حتى نال من العز والشرف والرفعة فوق أخيه وتوفي سنة ٨٥٥ هـ وحمل السلطان نعشه تعظيما وإجلالا له وبويج بعده أخوه القائم بأمر الله وهو الرابع من أولاد المتوكل .

الثالث عشر القائم بأمر الله

٨٥٥ - ٨٥٩ هـ

وهو حمزة بن المتوكل . بويج له يوم موت أخيه المستكفي فأقام أربع سنين وخلعه الملك الأشرف إينال سلطان مصر سنة ٨٥٩ هـ ، وأرسله إلى الاسكندرية محتجا بما أفتاه الشافعية في عصره من أن السلطان له أن يخلع الخليفة وبويج بعده أخوه المستنجد بالله وهو الخامس من بني المتوكل .

الرابع عشر المستنجد بالله

٨٥٩ - ٨٨٤ هـ

وهو يوسف بن المتوكل بويج له يوم خلع أخيه يوم الخميس السادس من شهر رجب سنة ٨٥٩ هـ وكان تقيا دينا ورعا وأقام بالخلافة خمسة وعشرين سنة وتوفي رحمه الله في ١٤ المحرم سنة ٨٨٤ هـ ودفن بقراة السيدة نفيسة رضي الله عنها بجوار المشهد النفيسى وهو السادس من بني المتوكل وتولى بعده المتوكل على الله

الخامس عشر المتوكل على الله (الثاني)

٨٨٤ — ٩٠٣ هـ

وهو أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بويغ له يوم الاثنين ١٦ من محرم سنة ٨٨٤ هـ بعهد من عمه المستنجد بالله وكانت بيعته بحضرة السلطان (قاينباي) ملك مصر وكان محبوبا للنخاص والعام لما اتصف به من مكارم الأخلاق وجميل الصفات ولم يزل يمثل الخلفاء الراشدين في كل أحواله إلى أن توفي رحمه الله سلخ المحرم سنة ٩٠٣ هـ وتولى بعده المستمسك بالله.

السادس عشر المستمسك بالله

٩٠٣ — ٩٢٠ هـ

هو يعقوب بن عبد العزيز الملقب بالمستمسك بالله بويغ له بعد موت أبيه وكان من خيرة بني العباس عقلا ودينا وتوفي بمصر سنة ٩٢٠ هـ. وأعقبه المتوكل على الله

السابع عشر المتوكل على الله (الثالث)

٩٢٠ — ٩٤٥ هـ

هو محمد بن يعقوب وهو آخر العباسيين بويغ له بعد موت أبيه بمصر وله شأن معلوم ومقام رفيع إلى أن حضر السلطان سليم بمصر وأفتتحها وعند رجوعه أخذه معه سنة ٩٢٢ هـ وبقي عنده إلى أن توفي السلطان ثم رجع إلى مصر وأقام بها خليفة إلى أن مات سنة ٩٤٥ هـ وبمرته انقرضت الدولة العباسية من جميع الأرض ويقال إنه تنازل للسلطان سليم في آخر حياته عن الخلافة. وعلى كل حال فإنه لم يعقب أحدا يستحق الخلافة ولم يكن من هو أولى بها من آل عثمان في ذلك الحين فصار السلطان بعد موته هو الحاكم الديني والسياسي معا والحكم لله الواحد القهار فسبحان من لا يزول ملكه ولا يهن سلطانه

سبب انقراضه الدولة العباسية بعد ما كان لها

من العظمة والسلطان

لما أراد الله تقويض بنيان هذه الدولة التي أخذت مأخذا عظيما في التقدم والفتوحات ووصلت فيها العلوم العقلية الى درجة عالية صرف الله ملوكها عن العصية الدينية العربية فاستبدلوا غالب الجيوش والأمراء والقواد الذين كانت لهم الدراية والشوكة بغيرهم من المماليك التتارية حتى أنه في زمن المعتصم بالله ثامن ملوكها استعمل خمسين ألفا من هؤلاء الجنود التتارية للمحافظة على الثغور وصاروا يزيدون شيئا فشيئا ويتغلبون على الوظائف العالية حتى تولوا في أغلب الأقطار . ولما قرئت شوكتهم اتحدوا وخلعوا الطاعة كما بينا ذلك ففرقت بذلك الدولة . فأين طبا طبا تغلب على اليمن وسيف الدولة تغلب على حلب وابن بويه تغلب على فارس وأحمد بن طولون تغلب على مصر وهكذا مازالت الدولة في اختلال وانقسام إلى أن ظهرت الدولة السلجوقية وكان ظهورها في خلافة القائم بأمر الله سنة ٤٢٣ هـ ولم يتعرض لهم في مبدأ أمرهم حيث كان يمكنه قمعهم بل تركهم حتى صارت لهم قوة عظيمة وشوكة قوية ففتحوا مدينة بغداد في مدة خلافة المستعصم بالله بسبب ميل وزيره العتقى إليهم وسلوا سيوفهم فيها أربعين يوما ففر من فر وقتل من قتل وأسروا من أسروا وقتلوا الخليفة وأولاده كما سبق بيانه وهذا الاضطراب الذي حصل كان سببا في زوال الدولة العباسية من بغداد ثم حضر خلفاؤها إلى مصر فأقاموا بها بعد مبارحتهم بغداد ولكنهم لم يكن لهم فيها سوى الاسم كما تقدم وكانت الغلبة للمماليك الحاكمين إلى أن مات المتوكل على الله آخر خلفائهم وبموته انقرضت الدولة العباسية من جميع الأراض بعد ما كان لها من عظيم الشأن وغلبة السلطان وشامخ البنيان ما كان سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الدولة الطولونية

(٢٥٧ - ٢٩٢ هـ)

هذه الدولة هي أول دولة تغلبت على مصر وأصل ملوكها من عمال الدولة العباسية عليها ثم استقلوا بها كما استقل غيرهم من العمال في أنحاء الدولة العباسية بما في أيديهم من الولايات عند ما ظهرت عليها علامات الضعف وقد دام حكمها نحو خمسة وثلاثين سنة وقام منها خمسة أمراء أصلها

وتنسب إلى طولون والد مؤسسها وهو تركستاني أسر في إحدى الوقائع الحربية وجمي به إلى نوح بن أسد الساماني عامل المأمون على بخارى وكان يدفع له جزية سنوية من الماليك والخيول وغيرها حسب عادة تلك العصور فأرسل طولون إلى الخليفة ضمن الماليك الذين أرسلهم إليه وقد كان طولون متناسب الأعضاء قوى البنية فأعجب به المأمون وألحته بحاشيته وما زال برقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بأمير السفر وكان هذا المنصب وقفا على من يثق الخليفة بأمانتهم وأخلاصهم ويطمئن إلى مقدرتهم على المحافظة على حياته الشخصية وقد بقي طولون في هذا المنصب أكثر من عشرين سنة مدة المأمون والمعتمد إلى أن مات في أيام المتوكل على الله سنة ٢٣٩ هـ

أحمد بن طولون

٢٥٧ - ٢٧٠ هـ

ظهور أمره وتأسيس دولته

ولد أحمد بن طولون سنة ٢٢٠ هـ فرباه والده أحسن تربية فنشأ رضى الخلق كريم النفس واشتهر بين أقرانه بالعلم والتقوى والشجاعة وأحبه كثير من العلماء ومال إليه معظم الأتراك حتى أن يركوج أحد كبار حرس الخليفة

المتوكل على الله زوجه أبنته التي رزق منها أبنه العباس واختاره الخليفة بعد وفاة والده طولون للقيام بوظيفة أبيه وولاه أمانة الستر بدلا عنه وعمره حينئذ تسعة عشرة سنة ولم تشغله هذه الوظيفة عن توسيع معارفه والتردد إلى طرسوس بأسيا الصغرى للتعلم بمدارسها فكان يذهب إليها كلما سنحت له فرصة مع استبقاء مركزه لدى الخليفة ولقبه ومرتباته كالعادة ولما وجهت ولاية مصر إلى بابكيال أحد رؤساء الأتراك من جهة الخليفة المعترف بالله بن المتوكل سنة ٢٥٤ هـ لم يرغب بابكيال أن يترك بغداد مركز نفوذه وكل مصالحه ويذهب إلى مصر فاستخلف عليها أولا أحمد بن المدبر ثم أشرك معه أحمد بن طولون لما كان له من السمعة الحسنة وجعل ابن المدبر على الخراج وجباية الأمور وجعل ابن طولون على الإدارة وبقية الوظائف العسكرية واستعمله على مصر وحدها دون باقي الأعمال كالأسكندرية ورشيد والصعيد الأعلى وابن المدبر هذا كان ظالما شديدا الوطأة على الناس مكروها منهم لأنه أثقل الضرائب على الأهالي وقدر المغارم الفادحة وابتدع بدعا صارت سنة مرعية إلى يومنا هذا كأحاطته بالنظرون والمالح وحجره عليهما بعد أن كانا مباحا للناس وتقريره على الكلاء الذي ترعاه الماشية مالا سماه المراعى وتقريره على ما يطعمه الله من صيد البحر مالا سماه المصائد حتى كانت هذه الضرائب المحدثه وقرأ ثقيلاً ومظلمة مرهفة فادحة فلما قدم أحمد بن طولون إلى مصر واستقر به منصب النيابة وجد الأحوال ملائمة لتثبيت مركزه وتعظيم هيئته ومنزلته وامتلاك القلوب وأخذ يعمل لكيف يد ابن المدبر إلى أن خلع المعتز وبويع المهدي سنة ٢٥٥ هـ فقتل المهدي بابكيال المذكور واستعمل على مصر مكانه يار كوج التركي الذي هو صديق أحمد بن طولون وأبو زوجته فأبقى صهره على مصر واستعمله عليها جميعا منفردا سنة ٢٥٧ هـ بتقليد من الخليفة وكان هذا مبدأ ظهوره بمصر وقيام دولته بها.

أعماله وأصلحه

ما زال ابن طولون بعد انفراده بأدارة مصر يعظم شأنه وتقوى شوخته إلى أن أظهر الاستقلال ومنع الخراج عن الخليفة ودعا نفسه سلطانا في عهد المعتمد بالله فهو أول من تسلط بمصر من ولادة العباسيين ولما تم له الأمر أخذ في تصليح البلاد وتوفير أسباب عمرانها وأسقط الضرائب التي أحدثها ابن المدبر وكانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار ثم شرع في تحصينها وأكثر من الجند وآلات الحرب استعدادا للطوارئ وكان ابن طولون يسكن بدار الأمانة التي كانت في ضاحية المعسكر ولما ضاقت بأتباعه وأدواته وآلات حربه ولم تتسع لها أسس مدينة جديدة عرفت بالقطائع الطولونية واتخذها ميدانا واسعا لجيشه وبنى فيه قصره وجعل فيه مقر سلطانه وتمتد القطائع من جبل يشكر إلى سفح المقطم وموضعها الآن من قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون طولاً ومن الرملة إلى المشهد المعروف بزين العابدين عرضاً وقد أقطع أرضها رؤساء جيشه وأصحابه وقسمها بينهم وكلفهم أن يبني كل منهم في قطيعته فسميت القطائع لذلك فبنوا فيها مساكناً رائقة وقصوراً شاهقة وأكثرها من المساجد والطواحين والحمامات والأفران ومحال التجارة والأسواق فيها والقطائع فيها هي بمنزلة الحارات التي بالقاهرة فكل قطيعة لسكنى جماعة وتنسب إليها فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين وهكذا ولم يمض زمن يسير حتى صارت القطائع مدينة كبيرة عامرة ومن آثاره جامع المشهور المسمى باسمه وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان وموضعه يعرف بجبل يشكر وقد شرع في بنائه سنة ٢٦٣ وأتمه سنة ٢٦٥ وبلغت نفقات بنائه مائة وعشرين ألف دينار ولا يزال هذا الجامع عامراً إلى الآن وله مسجد في أعلى جبل المقطم أيضاً يعرف بمسجد التنور بناه سنة ٢٥٩ هـ في موضع

يعرف بتنور فرعون لأنه كان يوقد له عليه إذا أراد الركب فيعرف
الناس بركوبه فيتخذون له ما يلزم وله بالمغافر إلى الجنوب من القسطنطينية
وسقاية تعرف بعفصة الكبيرة يستقي منها الناس لقلعة الماء هناك وقناطر تعرف
بقناطر ابن طولون تمتد بالقرافة الكبرى وقد أمر ببناء مستشفى بالمعسكر للمرضى
والمحبوسين من المجانين ولم يكن قبل ذلك بمصر مستشفى ولما فرغ منه رتب له
ما يلزم من أدوية وأغذية وأطباء وغيرها وأجرى عليه الأرزاق وحبس عليه
ما يضمن بقاءه من حبوس وقد كان كثير الاهتمام به يركب إليه كل يوم جمعة
بنفسه يزور المرضى ويتفقد شئونه ولم رأى أن مياه النيل لا تصل إلى الاسكندرية
وأن الترعة التي توصلها إليها قد سدت بالرمال أمر باعادة حفرها كما أمر بترميم
مقياس النيل الذي بالروضة

حروبه المعروف بالصوفي

في سنة ٢٥٦ خالف الصوفي مأمور أفليم أسنا ووضع يده على البلاد التي
حواله وقتل من قاومه فأرسل الجيوش لمحاربه ولكنه لم يظفر به إلا سنة ٢٦٠
فلما ظفر به نفاه إلى المدينة وفي سنة ٢٦١ عصى أهل برقة وأخرجوا أميرهم
فبعث اليهم جيشا تحت قيادة غلامه لؤلؤ فسار اليهم وحاربهم وقهرهم وقتل من
كبرائهم وأسر وقفل راجعا ولما مات أماجور التركي عامل دمشق وقام مقامه
ابنه تافت نفس ابن طولون لأخذ بلاد الشام وضمها إلى مصر فخرج إليها في
عسكر عظيم واستخلف بمصر ولده العباس فلقبه ابن أماجور بالرملة مطيعا
فأقره على ما بيده ثم سار إلى حمص فملكها وملك كذلك حماه وحلب ونازل
أنطاكية حتى أخذها سنة ٢٦٥ هـ بعد قتال شديد ثم مضى إلى طرسوس فدخلها
ثم خرج عنها واستخلف عليها وتقدم في فتوحه فبلغه أن ابنه العباس خالف
عليه بمصر وأخذ الأموال وسار إلى برقة فلم يكثر بذلك وبقي إلى أن تم

أعماله وحفظ البلاد التي افتتحتها ثم عاد إلى مصر وأرسل لابنه يلاطفه ويطلب منه الرجوع إليه فمنعه خوفاً منه فأرسل جيشاً إلى برقة قاتل جيش العباس وهزمه سنة ٢٦٧ هـ وأسر العباس وعاد به إلى والده وقد وقع النفور بين ابن طولون وبين الموفق بالله أخى الخليفة العباسى المعتمد (وقد كان متغلباً على الأمر كلها دون الخليفة) وطال أمر هذا النور وأشدت العداوة بينهما حتى أفضت إلى أن أمر الموفق عماله بلعن أبى طولون على المنابر وفى سنة ٢٦٩ هـ حصل قتال بين عسكريهما ثم عادا فتمالحا وتناسيا ما كان ففرح الخليفة المعتمد لذلك لميله إلى ابن طولون وإيثاره على الموفق ولما بلغ ابن طولون أن نأبى بطرسوس عمه سار إليها وحاصرها وضيق على أهلها ثم تركها لشدة البرد وعاد لأنطاكية ومرض بها.

موته

لما أشد مرضه بانطاكية عاد إلى مصر فترأى عليه المرض ومات سنة ٢٧٠ هـ وقد ترك من الأولاد ثلاثين ثلاثة عشر ذكوراً وسبع عشرة أنثى وخلف من الذهب العين عشرة آلاف دينار ومن المالك سبعة آلاف ومن العميد السود أربعة وعشرين ألفاً ومن الخيول آلافاً وكذلك من البغال والحمير ومن الجمال وخلف من المراكب الحربية والتجارية ألف مراكب.

مناقبه

كان ابن طولون حازماً سديداً رأى بلغت غلة مصر فى أيامه عشرة آلاف ألف من الدينار فى السنة وقد غالى بعضهم حتى جعلها عشرة أمثال ذلك وقال أنها بلغت مائة ألف ألف دينار سنوياً وهو أول من جاس بنفسه فى مصر للنظر فى مظالم الرعية فكان يجاس لذلك يومين فى كل أسبوع ينظر فى التظلمات وينصف أصحابها وكان تقياً يحترم الشعائر الدينية غاية الاحترام وكان كثير

المعروف والصدقة ينفق في سبيل ذلك ألفي دينار شهريا سوى ما يطرأ عليه من
الندور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابجه المقامة كل يوم للصدقات
يقصدها من يشاء فيجد ما يحب ويشتهي من طعام

ابو الجيش خمارويه بن أحمد

٢٧٠ — ٢٨٢ هـ

تولى بعد موت أبيه وله من العمر عشرون سنة ولقب بأبي الجيش فجعل
يتصرف في الأمور على أحسن ما يكون من الرفق بالرعية والنظر في الظلمات
ولم يغير شيئا مما كان في أيام أبيه فأبقى أرباب المناصب في مناصبهم ولم يكده
يستقر في ملكه حتى طمع في أملاكه بالشام بعض عماله بها وخرجوا عليه
واستولوا على بعض البلاد واستعانوا بالموفق العباسي المتقدم فأمدهم بجيش
عليه ابنه أحمد الذي صار الخليفة المعتضد فيما بعد فجرد خمارويه الجيوش لقتالهم
وخرج معها ومعه قائد جيوشه سعد الأيسر فكانت بين الفريقين موقعة عظيمة
سنة ٢٧١ تدعى موقعة الطواحين (لأن خمارويه كان نازلا على الماء الذي عليه
الطواحين) من أرض فلسطين انتهت بهزيمة الخارجين وانتصار جيوش خمارويه
ومازال خمارويه يقاتل الخارجين عليه بالشام حتى ثبت ملكه بها وسكنت
الفتن ثم أخذ في الإصلاح وأقبل على قصر أبيه فزاد فيه وجعل الميدان كاه
بستانا وزرع فيه جميع أنواع الرياحين وغرس فيه الأشجار الغربية التي أحضرها
من كل جهة إلى مصر وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه وبنى بالفسطاط محلا
واسعا جمع فيه أصناف الحيوان وجعل لكل مسكنا وحوض ماء من رخام
وقد اتسعت اصطبلات خمارويه فجعل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا
وكان له أيضا اصطبلات تنتج فيها الخيل حلابة السباق وللرباط في سبيل الله
تعالى وقد بلغت أرزاق الجيش في أيامه تسعة آلاف دينار في كل سنة وفي سنة

٢٨٩ مات الخليفة العباسي المعتمد وتولى مكانه المعتضد فاغتنم خمارويه الفرصة
وتقرب اليه وأرسل اليه هدايا نفيسه ثم زوجه أبنته قطر الندى فزفت اليه سنة
٢٨١ وضربت بجهازها الأمثال وبني لها والدها على رأس كل منزلة تنزل فيها
من مصر إلى بغداد قصرا مفروشا بأفخر الرياش ووصلت إلى بغداد في أول
سنة ٢٨٢ هـ وفي تلك السنة خرج خمارويه بعساكره إلى الشام ودخل إلى دمشق
فمات مقتولا بها في ذى الحجة ونقلت جثته إلى مصر ودفنت بسفح المقطم مع
جثة أبيه أحمد وسبب قتله أنه نهي اليه أن بعض نسائه كن يتقابلن مع بعض
كبار خدمه وتحقق من ذلك فانفقوا على قتله لينجوا الجميع من العقاب فقتلوه
على فراشه في ليلة من ليالي ذى الحجة من سنة ٢٨٢ هـ بعد أن حكم اثني عشرة
سنة واثني عشر يوما وقيل في سبب قتله غير ذلك .

أبو العساكر جيش بن خمارويه

(٢٨٢ — ٢٨٣ هـ)

بعد قتل خمارويه بوبع ابنه جيش الملقب بأبي العساكر وكان صيالم يبلغ
رشده فعكف على لذاته وقرب الأحداث والسفلة وتنكر لكبار الدولة ولما
علم بعزمهم على الفتك به توعدهم وأطلق لسانه فيهم حتى فارقه بعضهم وسار
إلى الخليفة وخرج عليه بعض آخر من كبار عماله وخلعوا طاعته فلما رأى الجند
ذلك وثبوا عليه وقتلوه لانسعة أشهر من ولايته ثم نهبوا داره وعاثوا في المدينة
فنهبوا ما قدروا على نهبه ثم أحرقوها .

هرون بن خمارويه

(٢٨٣ — ٢٩٢ هـ)

وبعد قتل جيش أقاموا أخاه هرون مكانه وفي سنة ٢٨٤ هـ أختل حال
هرون واختلف القواد والعمال عليه وأنحل نظام مملكته فقام المعتضد الخليفة

العباسي يريد اغتنام الفرصة والاستيلاء على مصر وتقدم نحو قنسرين وتملكها
نخاف هرون سوء العاقبة رتنازل عن قنسرين والعواصم كلها للمعتضد فتسلها
وكف عن قتاله ولما مات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ وخلفه المكتفي بالله عزم على
فتح مصر فبعث سنة ٢٩١ هـ جيشا تحت قيادة محمد بن سليمان فاستولى على
دمشق وسار حتى دنا من مصر فاستعد هرون للدفاعه ألا أن غالب قواده
غدروا به ولحقوا بعسكر الخليفة فخرج فيمن بقي معه وجرى بينه وبين محمد بن
سليمان وقعات ثم وقعت في عسكره خصومة أدت إلى قتال بعضهم بعضا فركب
هرون لرد بعضهم عن بعض فأصيب بطعنة من أحد المغاربة فوقع ميتا سنة ٢٩٢ هـ
وقيل قتله عمه شيبان أبو المغازي وقيل قتله عمه شيبان وعدى وهو في سكره.

شيبان بن احمد الملقب بأبي المغازي سنة ٢٩٢ هـ

وأنقضاء الدولة الطولونية

وفي يوم مرت هرون أقيم عمه شيبان بن أحمد ولما لم تمكنه المقاومة
لضعفه وذهاب أكثر أمراء الجيش لمحمد بن سليمان يطالب الأمان فأمنه ثم
هرب شيبان ليلا بعد أن حكم أثني عشر يوما فاستولى محمد بن سليمان على مصر
واعتقل بني طولون وأرسلهم إلى بغداد فلم يبق منهم بمصر أحد يذكر وخلت
منهم الديار وعفت الآثار وانتهت دولتهم وعادت مصر وسائر ولاياتها للعباسيين
ثانية وصاروا يرسلون إليها العمال من قبيلهم وبقيت كذلك إلى خلافة الراضي
بالله ثم قامت بها الدولة الأخشيدية.

سبب زوالها وبعض ما قبل من الشعر في رثائها

هذه الدولة لم تعش إلا أكثر من ثلث قرن بقليل ولكنها قد عظم أمرها
وامتد ملكها خارج مصر إلى أقصى الشام وكان لبعض ملوكها المواقف المحمودة
في القتال وخلفت من الآثار ما يدل على مقدار ما بلغت من العز والشوكة والغنى

والرفعة وأسباب زوالها ترجع إلى ضعف ملوكها ابتداء من جيش وذهاب هيبتهم من النفوس واختلاف القواد عليهم وانضمامهم في أكثر الأحيان إلى الخليفة العباسي وتفرقهم فيما بينهم في أشد الأوقات حرجا وعند بلوغ الأزمات على ملوكهم أشدها وأن كان لهم بعض ظلم في آخر أيامهم وترف وبنخ وانغماس في الملاذ فليس بالشيء الكثير وأكبر ما أخذ عليهم خروجهم على الخليفة العباسي واستقلالهم بما في أيديهم وفتحهم هذا الباب لغيرهم من الولاة، وقد بكاهم الناس كثيرا بعد زوال سلطانهم ورثاهم الشعراء ولسان الشعر انطق وأبقى فمن رثاهم من الشعراء المعاصرين أحمد بن محمد الحبشي وأحمد بن يعقوب واسماعيل بن أبي هاشم وسعيد القاص وغيرهم فما قاله سعيد القاص من قصيدة طويلة

وفقد بني طولون في كل موطن أمر على الاسلام فقدا من القطر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا جميل المحيا لا بيت على وتر
إلى أن قال

وتنور فرعون الذي فرق قلة على جبل عال على شاهر وعر
بني مسجدا فيه يرون بناؤه ويهدى به في الليل أن ضل من يسرى
تخال سنا قنديله وضيائه سهيلا إذا ملاح في الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية وعين أجاج للرواة وللظهر
إلى أن قال

ولا تنسى مارستانه واتساعه وتوسعة الأرزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكفاته ورفقتهم بالمعتدين ذوى الفقر
إلى أن قال

فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله لفقدهم فليك حزنا على مصر
ليك بني طولون إذ بان عصرهم فبورك من دهر وبورك من عصر

الدولة الأخشيدية

٣٢٣ — ٣٥٨ هـ

أسترد العباسيون مصر من الطولونيين فبقيت في حكمهم أكثر من ثلاثين سنة (٣٩٢ — ٣٢٣ هـ) في أيام المكتفي والمقتدر والظاهر والراضي وفي عصر الراضي أستقل محمد بن طنج الأخشيد بمصر وأسس بها دولته فنسبت إليه وقد دام حكمها نحو خمس وثلاثين سنة وقام منها خمسة أمراء

أصلها

أصل هذه الدولة من أولاد ملوك فرغانة كان الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد الذي هو أول من أكثر من المماليك الأتراك قد علم بأن في فرغانة جماعة من أقوىاء الترك وأشدهم وبينهم شاب من أولاد ملوكهم أسمه جف فسير في طلبهم فقدموا وقدم جف المذكور معهم فلما رآه المعتصم مال إليه وأحبه وأدناه من بابه وأقطعه أقطاعا بسر من رأى عرف به وما زالوا في نعمة وافرة إلى أن مات ببغداد سنة ٢٤٧ هـ فخرج أولاده إلى البلاد يتصرفون ويطلبون الرزق واتصل أحدهم وهو طنج أيام الدولة الطولونية بلؤلؤ غلام أحمد ابن طولون (ولؤلؤ هذا هو الذي كان محمد بن سليمان الذي أزال الدولة الطولونية كاتباً له في أول أمره ولذا يقال له محمد بن سليمان الكاتب) فقال إليه لؤلؤ واستخدمه على بعض مصالح الدولة ثم اتصل بخارويه أيام ولايته فقربه إليه وقدمه على جميع من عنده وولاه على دمشق وطبرية ولم يزل خمارويه إلى أن قتل فذهب إلى بغداد ولحق بالخليفة العباسي المكتفي بالله فأحبه وخلع عليه خلعة الرضا ولكنه لم يتذلل لوزيره يومئذ العباس ابن الحسن كغيره من أرباب المناصب فأوقع به عند الخليفة المكتفي فحبسه وحبس معه أبنته محمداً وما زال طنج في السجن حتى مات وبقي محمد بن طنج

مسجوناً مدة ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يرصد الوزير العباس ابن الحسن حتى أخذ بثأر أبيه منه وخرج هارباً إلى الشام سنة ٢٩٦ هـ .

بدء أمرها وكيفية ظهورها

وبعد هروب محمد بن طفج إلى الشام أقام متغرباً بالبادية حولا كاملاً ثم أخذ يتغلب في الوظائف حتى كانت سنة ٣١٨ هـ ، فكتب إليه المقتدر بولاية دمشق فسار إليها ولم يزل بها إلى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر سنة ٣٢١ هـ ولكنه لم يذهب إلى مصر لاستلام هذا المنصب ولم يلقب به إلا مدة شهر فقط ثم عين الخليفة مكانه ابن كيفلغ ولما تولى الخلافة الراضية بالله بعد خلع القاهر أعاد محمد بن طفج إلى مصر مرة ثانية سنة ٣٢٣ هـ ، فلما رأى ما عليه الدولة العباسية من الانحلال وأرتباك الأحوال طمع فيما في يده وصرح باستقلال مصر ومنع خراجها عن الخليفة ودعا نفسه سلطاناً عليها سنة ٣٢٤ هـ .

أبو بكر محمد بن طفج الأخشيدى

(٣٢٣ - ٣٣٤ هـ)

ولد محمد بن طفج الأخشيد سنة ٢٦٨ هـ ببغداد ونشأ شجاعاً بأسلاً كثير النيقظ حسن التدبير فال شهرة وعم ذكره الآفاق متى هابه الملوك وتقر بوامنه وقد استقل بمصر سنة ٣٢٤ هـ كما تقدم ولما صرح باستقلاله بها اضطر الخليفة إلى تثبيته وضم إليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وقد قدم أبو الفتح الفضل ابن جعفر من قبل الخليفة بالخاع لمحمد بن طفج فلبسها ثم زاد في نعمته ولقبه سنة ٣٢٧ هـ بالأخشيد ودعى له به على المنابر والأخشيد لقب أجداده ملوك فرغانة (ومعناه ملك الملوك) وكان هذا اللقب عندهم ككسرى عند الفرس وقبصر عند الرومان وخاقان عند الترك والنجاشي عند الحبشة وقد أشتهر بهذا اللقب حتى نسبت إليه دولته.

مقاومته لجيش الفاطميين

وكان لمحمد بن طفج حروب مع أصحاب أحمد بن كيفلغ أنكسروا فيها وخرجوا من مصر على أفبح وجه واتصلوا بالقائم بأمر الله الفاطمي بالمغرب وحرصوه على أخذ مصر وهونوا عليه أمرها فأعد جيشا وأرسله إليها ولما بلغ ذلك الأخشيد حصن الحدود الغربية وجعل فيها حامية قوية ألا أن ذلك لم يمنع جيوش التمام بأمر الله من التقدم وفتح الأسكندرية واحتلال قسم كبير من الصعيد ولما صعب عليها أتمام الفتح عادت من حيث أتت وأجلت ذلك إلى فرصة أخرى .

حروبه مع ابن رائق

طمع محمد بن رائق في فتح الشام وقدم إليها يريد التغلب عليها وتقدم حتى وصل إلى دمشق وكان عليها بدر بن عبد الله من قبل الأخشيد فأخرجه ابن رائق منها وماكها وسار لمهاجمة مصر حتى باغ العريش فالتقى بعساكر الأخشيد التي كانت قادمة لقتاله وكانت بينهما موقعة عظيمة انكسرت فيها ميمنة الأخشيد وثبت هو في القاب ثم حمل بنفسه على أصحاب ابن رائق فهزمهم وأسر كثيرا منهم وأما ابن رائق فقد نجى في قليل من أصحابه ووصل إلى دمشق مهزوما فبعث إليه الأخشيد أخاه أبا نصر الحسين بن طفج في جيش فبرز اليهم ابن رائق وقاتلهم وهزمهم وقتل أبو نصر في المعركة فعز على ابن رائق قتل أخى الأخشيد فحفظ جثته وكفنها وأرسلها مع ابنه مزاحم إلى الأخشيد بمصر وبعث معه كتابا يعزيه ويعتذر إليه ويحلف له أنه ما أراد قتله وأنه أرسل ابنه مزاحما إليه ليفتيده به أن أراد فتلقى الأخشيد مزاحما بالترحاب والقبول وخلع عليه الخلع السنية وعامله بكل جميل ورده إلى أبيه ثم اصطالحا على أن تكون الرملة وملاوراءها إلى مصر للأخشيد وباقى الشام لمحمد بن رائق ويحمل إليه الأخشيد

عن الرملة عن كل سنة مائة وأربعين ألف دينار وأن كلا منهما يطاق أسرى
الآخر ولما تم هذا الصلح بينهما عادت عساكر الأخشيد إلى مصر سنة ٣٢٩ هـ
ثم بقى الأمر على ذلك إلى أن قتل ابن رائق سنة ٣٣٠ هـ في واقعة حصلت بينه
وبين بنى حمدان بالموصل فسار الأخشيد إلى الشام مسرعاً لاسترجاعها وعاد
إلى مصر سنة ٣٣١ هـ بعد أن استولى على دمشق وماجاورها وفي هذه السنة
أوصى بالحكم من بعده لابنه أبي القاسم محمود الملقب بأنوجور

حروبه مع سيف الدولة ابن حمدان

وفي سنة ٣٣٣ هـ حصلت محاربات بين سيف الدولة بن حمدان وجيوش
كافور قائد عسكر الأخشيد وانهزم كافور وملك سيف الدولة حمص وحاول
الاستيلاء على دمشق وحينئذ خرج الأخشيد إلى الشام ووقع القتال بينه وبين
سيف الدولة بن حمدان ثم اصطالحا على أن يكون لسيف الدولة حلب وأنطاكية
وحمص وللاخشيد ما بقى من الشام وتأيداً لهذا الصلح تزوج سيف الدولة
بنت الأخشيد ولكن لم يدم هذا الصلح طويلاً وعاد النفور بينهما مرة ثانية
فأرسل الأخشيد جيشاً عظيماً لقتال سيف الدولة مع خادمه كافور وأبى شجاع
فاتك الملقب بالمجنون وخرج خلفهم وسار حتى لقي سيف الدولة وقهره وأخذ
منه حلب

مرته

وبعد انتصاره على سيف الدولة عاد إلى دمشق ولبث بها أياماً فمرض
ومات سنة ٣٣٤ هـ ثم نقل إلى بيت المقدس ودفن هناك وقد خلف عدة ذكور
صفاته ومنافيه

كان حازماً عارفاً بأساليب الحرب يقظاً في مصالح دولته مكرماً لجنده شديد
البطش ذا هيبة عظيمة متجملاً في مركبه وملبسه فكان موكبه يضارع موكب

الخليفة بلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف وعدد جيوشه أربعمائة ألف وكان يكره
سفك الدماء شديد التحرز على نفسه فكانت تحرسه مماليكه بالمنابذة فاذا نام
حرسه ألف مملوك ويضع الخدم بجرانب خيمته إذا سافر وقد بلغ خراج مصر
في أيامه ألفي دينار سوى ضياعه التي كانت ملكا له خاصة

أبو القاسم محمود الملقب بانوجور

(٣٣٤ — ٣٤٩ هـ)

وبعد وفاة أبي بكر الأخشيد تولى ابنه أبو القاسم أنوجور (معناه بالعربية
محمود مقامه) وكان صغيرا فأقيم كافور الأخشيدى وزير أبيه أتابكا له (كانت
تطاق لفظه أتابك على مربى أولاد الملوك ثم استعملت فيمن يتولى الصدارة
العظمى أو قيادة الجنود) فكان يدير المملكة نيابة عن أناجور بأمانة ونشاط
وليس لأناجور من الملك سوى الاسم ولما علم سيف الدولة بموت الأخشيد
ومغادرة ابنه أناجور لدمشق اغتتم الفرصة وسار بجيوشه الى دمشق واستولى
عليها فلما علم كافور بذلك سار بالجيش ومعه أنوجور وتلقى الجيشان في الرملة
وبعد قتال شديد انهزم سيف الدولة الى الرقة وأعاد كافور دمشق إلى مصر
وفي سنة ٣٤٥ هـ أغار ملك النوبة على مصر العليا فبعث كافور جيشا مع القائد
محمد بن عبد الله الخازن من طريق البر وأنفذ أسطولا في نهر النيل وآخر في
البحر الأحمر فنزل على الساحل من وراء النوبة لقطع خط رجعتهم فتضايق
النوبيون وهربوا فاستولى المصريون على حصن أبريم ثم كبرت سن أبي القاسم
أنوجور ودام الاستقلال بالأمر وأزالة كافور بذلك قتله فمات مسموما

سنة ٣٤٩ هـ

ابو الحسن علي

(٣٤٩ — ٥٣٥ هـ)

وبعد موت أنوجور بن الأخشيد تولى أخوه أبو الحسن علي مكانه ولم يكن له من حظ الملك في جانب كافور غير ما كان لأخيه أنوجور وبقى مغلوبا على أمره والتدبير كله لكافور وفي سنة ٥٣١ هـ حصل بمصر قحط لعدم وفاء النيل وتعاقب ذلك تسع سنوات فاشتد الحال بالناس واضطربوا وكثر النهب والسلب ثم فسد ما بين أبي الحسن وبين كافور ووقع النفور بينهما وفي خلال ذلك قدم روم القسطنطينية تحت قيادة أمبراطورهم الى سوريا واستولوا على مدينة حلب (التي كانت حينئذ مع سيف الدولة) وهزموا سيف الدولة فأسرع حاكم دمشق من قبل الأخشيد لمساعدة سيف الدولة بعشرة آلاف مقاتل فلما علم أمبراطور الروم بذلك آثر الرجوع وقد مرض أبو الحسن علي بن الأخشيد ومات سنة ٣٥٥ هـ بعد أن أقام نحو خمس سنوات

كافور الأخشيدى

(٣٥٥ — ٥٣٥ هـ)

كافور هذا من موالى محمد الأخشيد ارتقى لدى سيده حتى وثق به الثقة التامة وكان عبدا أسود خصيا مثقوب الشفة السفلى بطينا جاب الى مصر سنة ٣١٠ هـ وعمره عشر سنين فما فوقها فباعه الذى جلبه لمحمد بن هاشم وباعه ابن هاشم لابن عباس الكاتب فأرسله ابن عباس الكاتب ذات يوم بهدية إلى محمد بن طفيح الأخشيد وهو يومئذ أحد قواد تكين أمير مصر فأخذ كافورا ورد الهدية وألحقه بخدمته فترقى عنده حتى صار من أخص خدمه ثم تقدم لعقله ورأيه إلى أن صار من كبار القواد ثم لما مات سيده صار أتاك ولد

بأنوجور أيام حكمه كما تقدم وأمدت به الأيام حتى استقل بالأمر دون بني
الأخشيدي فبلغ ما لم يبلغ أحد من الخصيان وقد مدحه المتنبي بقوله :
قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السوافيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخات بياضا خلفها ومآقيا
وهجاه حين غضب بقوله :

من علم الأُسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم أبأؤه الصيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود
ولما أستبد كافور بالأمر دون بني الأخشيدي بعد موت أبي الحسن طلب
من الخليفة العباسي المطيع لله أن يقره على ما كان للأخشيديين فكتب له
المطيع بعهدته على مصر والشام والحرمين وكناه العالی بالله فلم يقبل الكنية
تواضعا منه وتلقب بالأخشيدي واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات فعادت
سلطة العباسيين إلى مصر من ذلك الحين وصار يدعى لكافور على منابر مكة
والحجاز جميعه ومصر وبلاد الشام من دمشق وأنطاكية وحلب وغيرها ولم
تطل أيامه ومات بمصر سنة ٣٥٧ هـ فكانت مدة تصرفه سنتين وأربعة أشهر
وقد كان من أعظم الملوك جوادا ممدوحا كبير السياسة كثير التبصر في العواقب
عظيم الخشية لله والخوف منه وكان يدارى المعز العبيدي صاحب المغرب
ويهاديه كما يهادى صاحب بغداد وصاحب اليمن وكان يجلس للظالم في كل سبت
إلى أن مات وقد بلغت الرواتب في أيامه خمسمائة ألف دينار في السنة لآرباب
النعم والمستورين وأجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية
ولا من المتصرفين في الأعمال .

أبو الفوارس أحمد بن الأخشيد

(٣٥٧ - ٣٥٨ هـ)

وانتهاء الدولة الأخشيدية

لما مات كافور اجتمع أهل الدولة وولوا بعده أبا الفوارس أحمد بن علي ابن محمد الأخشيد ولم يكن له من العمر أكثر من إحدى عشرة سنة فلم يقره الخليفة العباسي المطيع لله في الحكم وقام بتدبير أمره الحسن الأخشيدى ابن عمه واستوزر كاتبه جابر الرياحي وفوض أمر مصر إليه ثم انقسمت الأسرة الأخشيدية على نفسها وأرتبكت أحوال الدولة من كثرة الفتن التي كانت تنبئ بقرب انقراضها وللكثرة ما حل بمصر من الاضطراب سئم المصريون وملوا ذلك واستنجدوا الفاطميين أصحاب المغرب فكان ذلك جل أمنيتهم وبعث المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي الكاتب إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ على رأس مائة ألف مقاتل فسار بهم جوهر من القيروان إلى مصر مارا ببرقة ذلك وملك الأسكندرية ثم الجزيرة ثم جاز إلى مصر وحاصرها وبها أبو الفوارس الأخشيدى وأهل دولته ثم فتحها بلا قتال ولا مشقة في السنة المذكورة وقتل أبا الفوارس وكل من خاف منه وبعث بالأموال والغنائم إلى القيروان وأصحابها بوفد من علماء وقضاة مصر وانقرضت بذلك دولة بني طفج المعروفة بالأخشيدية فتم للفاطميين فتح مصر وأخرجها من حوزة العباسيين ومن ذلك الوقت قامت بمصر الدولة الفاطمية

سبب زوالها

قد كان للأخشيد مؤسس هذه الدولة وكافور من بعده المواقف المحموده

في القتال والبلاء الحسن في الفتح مما شرف مصر ورفع قدرها ومد نفوذها خارج حدودها إلى أقصى الشام شمالا وإلى الحجاز جنوبا ولن يجد الباحث من سبب لاقتضاء أيامها وزوال سلطانها أكثر من حداثة سن بعض ملوكها وضعفهم وتغلب أعوانهم ووزرائهم عليهم ثم تفرق كلمة أعضاء الأسرة الأخشيدية أخيرا وانقسامهم فيما بينهم حتى ساعدوا أعدائهم والفاطميين لمصر على أنفسهم والله غالب على أمره وتلك الأيام نداؤها بين الناس

الدولة الفاطمية بمصر

٣٥٨ — ٥٦٧ هـ

تنسب هذه الدولة للسيدة فاطمة الرهراء بنت رسول الله ﷺ وزوج علي ابن أبي طالب ويقال لخلفائها الفاطميون لأنهم يدعون أنهم من نسلها كما يقال لهم العلويون وتنسب أيضا لرأسها ومؤسسها عبيد الله المهدي فيقال لها الدولة العبيدية وقد دام حكمها ٢٧١ سنة (٢٩٦ — ٥٦٧ هـ) منها ٦٢ سنة بالمغرب (٢٩٦ — ٣٥٨ هـ) و ٢٠٩ سنة بمصر (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ) وقد قام منها أربعة عشر خليفة ثلاثة منهم حكموا بالمغرب وكان مقرهم القيروان ثم المهدي (جنوبي تونس) وأولهم عبيد الله المهدي وأحد عشر حكموا بمصر والشام وكان مقرهم القاهرة وأولهم المعز لدين الله .

ما قيل في نسبها

اختلف المؤرخون في نسب عبيد الله المهدي مؤسس هذه الدولة فمنهم من يجعل نسبه إلى علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة زوجته وبنت رسول الله ويقول أنه عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المسكشوم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهناك فريق ينفي عنه هذا النسب ويرجع نسبه إلى اليهودية ويقول أنه ابن

يهودى حداد وآخرون يقولون أنه ابن مجوسى والمعول عليه هو صحة نسبه
إلى على بن أبى طالب ويظهر أن هذه الأقوال قد دسها عليهم العباسيون ونشروها
وأثبتوها من طريق باطل وتبعهم فى ذلك دعواتهم لما كان بينهم وبين الفاطميين
من العداوة والبغضاء خوفا على زلزلة أركان ملكهم وتقريض بنيانه لأن
الفاطميين زاحموهم فيه فى كثير من الجهات وقد كان الفاطميون فى أول أمرهم
يوجسون خيفة من العباسيين ويحذرون بطشهم ودائما يتوقعون الغدر منهم
فلاذوا بالأختفاء وما كادوا يعرفون حتى تسمى أحد أجداد عبيد الله بالمكشوم
سماه بذلك الشيعة لأخفائهم أمره خوفا عليه من المتغلبين عليهم .

أصلها ومبدأ ظهورها

لم يزل من بقى من نسل سيدنا على بن أبى طالب مذخرحت عنهم الخلافة
وهم يدعون أنهم أهلها وأنهم أحق بها من سواهم وأن خلافة غيرهم باطلة وقد
نشيع لهم كثير من الناس وتبعوهم فى هذا الرأى ثم ابتدعوا لهم مذاهب خاصة
بهم فسموا بالشيعة وأنكر عليهم ذلك بقية المسلمين وخالفوهم فيما رأوه وذهبوا
إليه فدعوا بأهل السنة والجماعة وقد دأب العلويون فى نشر دعوتهم هذه بعد
موت الحسن وقتل الحسين أيام بنى أمية وبعض أيام بنى العباس إلا أنهم كانوا
لا يلاقون إلا الحبس والقتل والتشريد وقتل من يخرج من أمتهم ولم يكن ذلك
بمبسط لهمتهم وازدادوا مجاهرة بمطالبتهم حتى نال بعضهم ما يبق على طول الأيام
وبلغ أماره وملكه وأصل هذه الدولة قوم من الشيعة وطائفة من غلاتهم وأول
من ظهر منهم عبيد الله المهدي ظهرت كلمته وعرفه الدعاة بالشام ونادى فى الناس
أن الحق فى الخلافة لنسل فاطمة ولما شاع خبره عند الناس أراد الخليفة
المكشوف بالله القبض عليه فهرب إلى الحجاز واجتمع هناك على بعض الحجاج
من أهل المغرب ورافقهم عند عودتهم إلى مصر ولما رأوا فيه أنه ذو ذكاء لحوا

عليه بالسفر معهم الى المغرب فقبل دعوتهم وسافر معهم ولما وصل إلى المغرب صار ينتقل من مكان إلى آخر حذرا وخوفا على نفسه وأخيرا قبض عليه وسجن في سلجاسة بالمغرب الأقصى وقد كان أبو عبدالله الشيعي الذي هو أحد دعائه قد ذهب إلى بلاد المغرب منذ سنة ٢٨٠ هـ ليقوم بنشر الدعوة له هناك وكان له علم ومكر ودهاء فاستمال اليه الأهالي وبمساعدهتهم تمكن من الوقوف أمام جيش الأغلبة ومتانتهم (وهم حكام أفريقية (تونس) من قبل العباسيين) وما زال يقوى أمره ويعظم شأنه حتى هزم جيوش الأغلبة في عدة وقائع فخرج آخر أمير منهم (وهو أبو مضر زيادة الله) هاربا إلى المشرق وانتهت أيام بني الأغلب بتونس سنة ٢٩٦ هـ وأما أبو عبدالله فدخل رقادة بالقرب من القيروان ونزل بقصرها ولما استقرت له الأمور في رقادة وسائر بلاد أفريقية خرج قاصدا سلجاسة وأخرج المهدي وابنه من سجنها وعادوا إلى أفريقية وبويع للمهدي البيعة العامة ٢٩٧ هـ وكان هذا مبدأ الدولة الفاطمية أو العبيدية

عبيد الله المهدي

(٢٩٧ - ٣٢٢ هـ)

وبعد أن استولى على ملك بني الأغلب بأفريقية وتلقب المهدي أمير المؤمنين بث دعائه في الناس فأتوه طائعين ثم دون الدواوين وجبى الأموال وبعث العمال على البلاد وأيضا على صقلية التي خضع له وإليها الذي كان عليها من قبل بني الأغلب ولما استقرت له الأمور وقويت شوكته وخشى أن ينازعه أبو عبد الله في السلطنة قتله مع أنه هو الذي كان سببا في توطيد خلافته كما قتل من قبله جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني الذي وطد دعائم دولة العباسيين بشمال أفريقية وضرب عليهم الجزية ومد سلطانه من المحيط الأتلاطيق إلى حدود مصر وجعل مقامه في مدينة رقادة بالقرب من القيروان وفي سنة ٣٠٣ هـ شرع في

بناء مدينة سماها المهديّة نسبة إليه على نحو مائة ميل من تونس وأتمها سنة ٣٠٦ هـ
بعد ثلاث سنّات وجعلها مقر ملكه وأخذ بها دار صناعة لأنشاء السفن وقد
كان من أكبر أمان عبيد الله المهدي فتح مصر وضمها إلى أملاكه الواسعة
لما هي عليه من الثروة والخصب فأرسل الجيوش لغزوها والاستيلاء عليها
ثلاث مرات وكان القائد في مرتين منها ابنه وولى عهد (أبو القاسم) واكلها
لم تنجح في كل مرة وعادت مهزومة ثم شغل بالأمور الداخلية باقى حياته حتى
مات سنة ٣٢٢ هـ بعد أن حكم ٢٤ سنة وشهر واحد.

القائم بأمر الله أبو القاسم محمد

(٣٢٢ - ٣٣٤ هـ)

بعد موت عبيد الله خلفه ابنه الأكبر القائم بأمر الله أبو القاسم محمد
فتبع سيرة أبيه وبعد أن أطفأ الفتن والنورات وجه همته للغزو والفتح فأرسل
أسطولا ضخما لغزو ساحل أوروبا فأغار على شواطئ إيطاليا وفرنسا
والأندلس وبعث جيشا إلى مصر هزمه الأخشيد وفي سنة ٣٣٣ هـ خرج عليه
أبو زيد الخارجي وكان على مذهب طائفة من الخوارج يرى تكفير أهل الملة
واستباحة دماءهم وأمرهم فاشتدت شرّكته وكثر أتباعه وهزم جيوش القائم
غير مرة ومملك بعض المدن وحاصر القائم في المهديّة وكان يغلبه عليها وبعد
طول حصارها رحل عنها إلى القيروان وفي تلك الأثناء مات القائم سنة ٣٣٤ هـ
بعد أن حكم ١٢ سنة وستة أشهر.

المنصور اسماعيل

(٣٣٤ - ٣٤١ هـ)

وبعد وفاة القائم خلفه ابنه المنصور اسماعيل فكتم موت أبيه خوفا من
أن يعام أبو يزيد فتزايد فتنته وأبقى الأمور على حالها ثم سار بنفسه إلى

التيروان لقتال أبي يزيد واستردها منه سنة ٣٣٥ هـ وهزم جيشه ومازال يتعقبه من بلد إلى آخر وهو يفر أمامه حتى ظفر به وحمل إليه وبقي أسيرا عنده إلى أن مات من جراحه سنة ٣٣٦ هـ وأراح الله أهل المغرب من فاسد بدعته ثم التفت لأمر الملك بعد أن أعلن موت والده فوطد أركانه وقوى بنيانه ومازال يتصرف حتى مات سنة ٣٤١ هـ وهو ثالث من ظهر ومات بالمغرب من الفاطميين وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقته شجاعا عاقلا .

المعز لدين الله أبو تميم معد

(٣٤١ - ٣٦٥ هـ)

تولى بعد وفاة أبيه المنصور واتبع في سياسته خطة أسلافه فأخذ يوطد الأمور في بلاده ويرسع نطاقها حتى دانت له جميع رؤساء القبائل المغربية وامتد سلطانه على جميع شمال أفريقية من برقة إلى المحيط الأتلا نطيق وعلى معظم جزائر البحر الأبيض المتوسط من صقلية وسروانية ومالطة وغيرها وكان أخضاع أقاصي المغرب سنة ٣٤٦ هـ على يد وزيره جوهر الصقلي

فتحه لمصر

ثم صرف همهته لفتح مصر وانتهز فرصة الشقاق الذي كان بين الأخشيديين واشتغال الدولة العباسية بما يحيط بها من القتن عن مساعدتها فسير لفتحها أكبر قواده جوهرا الصقلي (وجوهرا هذا مملوك رومي من مرالى المنصور عظم أمره وارتقى إلى رتبة الوزراء) فى مائة ألف مقاتل ووضع تحت تصرفه أربعة وعشرين ألف دينار فما زال جوهرا فى طريقه إلى مصر حتى دخلها بلا ضرب ولا طعن سنة ٣٥٨ هـ كما تقدم وسلمت له الفسطاط والاسكندرية وجميع بلاد مصر فابتدأت الدولة الفاطمية بمصر من ذلك العهد ثم نزل الفسطاط بمن معه وصلى بجامع عمرو وأقام الخطبة للخليفة المعز ثم أمر المؤذنين أن يؤذنوا

بحي على خير العمل كأذان الشيعة وشرع في الحال في توطيد الأمور بمصر
وأصلاح حالها حتى بلغ خراجها في السنة التي دخلها فيه ٣٤٠٠٠٠٠٠ دينار بعد
ما كانت في أسوأ الأحوال

بناء القاهرة والجامع الأزهر

ولما استتبت الراحة والأمن بأرض مصر ومكن جوهرها ساطعة الفاطميين
شرع في بناء حاضرة جديدة لهم بها ليفاخر بها بغداد حاضرة العباسيين فاخط
القاهرة سنة ٣٥٩ هـ في الموضع الذي نزل به الجند يوم جاء لفتح القسطنطينية
(وهو شمال القسطنطينية وقد أحاطها بسور منيع فيه أبواب بناه من اللبن وبنى في
وسطها حيث الجهة المعروفة الآن ببیت القاضي قصرين لسكن الخلفاء قصر كبير
شرقي وهو منزل لسكني الخليفة وحده وأسرته وفيه الدواوين وبيت المال
وخزائن السلاح وغير ذلك وقصر صغير غربي تجاهه وموضعه الآن المارستان
الكبير المنصوري (مارستان تلاوون) ويتحول إليه الخليفة في أيام النيل
للنزهة على الخليج وعلى البساتين القريبة منه وكان بين القصرين ميدان عظيم
يكفي لاستعراض عشرة آلاف جندي ما بين فارس وراجل وقد تم بناؤها
سنة ٣٦٢ بعد نحو ثلاث سنين وانما سميت القاهرة لوضع أسسها عند توسط
المرج المعروف عند العرب بالقاهر وقد أسس أيضا جوهر بأمر المعز أول
جامع بني بالقاهرة وهو الجامع الأزهر الشريف شرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ وأتمه سنة
٣٦١ وجعل به دار كتب عظيمة تجمع أشهر المؤلفات وخصص له العلماء والمدرسين
في كل علم حتى صار مدرسة تدرس فيه جميع العلوم النقلية والعقلية وقد أخذت شهرته
من أيام المعز تنتشر في الآفاق وقصده الطلاب من جميع الأقطار الإسلامية
لطاب العلم (ولم يزل كذلك حتى الآن) فصارت بذلك القاهرة مقراً للعلوم

والمعارف كبغداد وقد طرأ عليه بعد ذلك كثير من التجديد فجدده الحاكم بأمر الله وجعل له أوقافاً ثم جدده المستنصر ثم جدده الحافظ وبنى فيه مقصورة بجوار الباب الغربي وهؤلاء جميعهم من الفاطميين ثم جدده الظاهر بيبرس وزاد في بنائه وهكذا مازال الأزهر معتنى بتجديده والزيادة في بنائه من الملوك والولاة معمراً بالعبادة وتدریس كثير من الفنون الدينية وغيرها إلى أن اعتنى به اعتناء تاماً خديوى مصر السابق عباس حلمى باشا وبنى به الرواق العباسى المنسرب اليه وأزال ما حوله من الحوانيت ولم يزل مريضاً رعاية من أتى بعده من ملوك مصر إلى الآن

انتشار نفوذه خارج مصر واتساع دولته

بعد أن استقامت الأمور لجوهر أرسل جيشاً إلى الشام فوصل الرملة وملكها ثم سار إلى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله ثم ملك دمشق بعد حرب وقتال ونشر عقيدة الشيعة فيها على كره من أهلها الذين كانوا شديدي الكراهة للشيعة منذ خلافة معاوية وقد اعترف للمعز الأمير الحمدانى الوالى على شمال الشام بالسيادة على حلب كما امتد نفوذه إلى الحجاز وخطب له في مكة والمدينة

قدوم المعز من المغرب إلى مصر

فى سنة ٣٦١ هـ عزم المعز على المسير إلى مصر فهدد الأمور فى بلاد المغرب وأتاب عنه من يدير شؤونها فسار إليها فى موكب حافل ومعه عشيرته وحاشيته وأمواله وأمتعته وسار إلى طرابلس وخرج منها إلى الاسكندرية وتلقاه أعيانها فأكرمهم ثم سار إلى القاهرة فدخلها سنة ٣٦٢ هـ ونزل بالقصرين وصارت القاهرة مقر ملكه ومقر ملك الخلفاء الفاطميين من بعده إلى آخر دولتهم

القرامطة وتهديدهم مصر

القرامطة طائفة من الشيعة لها مذهب مخصوص ظهرت بالعراق آخر القرن الثالث الهجري وكان دينها التخريب والتدمير وتنسب إلى رجل اشتهر بقرمط وهو صاحب مذهبها وقد كان لهم ضريبة يأخذونها من دمشق كل سنة ولما استولى الفاطميون علىها كما تقدم منعت عنهم فغضبوا لذلك وأغاروا على دمشق وأخرجوها من يد الفاطميين سنة ٣٦٠ هـ ثم ساروا بجيوشهم إلى مصر فهزمهم جوهر أمام القاهرة وفروا هاربين وفي سنة ٣٦٧ هـ زحف القرامطة على مصر ثانية وحصلت حروب هائلة بينهم وبين جيوش المعز فضعف عن مقاومتهم ولم يستطع المعز الانتصار عليهم إلا بالتفريق بينهم واستمالة أحد رؤسائهم من البدو بمائة ألف دينار أرسلها إليه وكان أكثرها زائفا

موته

وفي سنة ٣٦٥ هـ مات المعز من حمى أصابته ومدة خلافته ٢٣ سنة منها سنتان وستة أشهر بمصر والباقي ببلاد المغرب صفاته ومناقبه

يمتاز بالعلم والفضل والجود والشجاعة وله دراية عظيمة بكثير من اللغات يجيد اللغات البرزبية والسودانية والرومية وتعلم اللغة الفارسية أيضا وكان سياسيا حكيما محبا للعدل والأصاف بين الرعية مغرما بالنجوم يقول الشعر العربي (ومما يؤثر عنه أنه سئل مرة من بعض الأشراف عن نسبه فقال لهم سنعقد مجلسا نجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا ثم جمع الناس في مجلس في قصره وسل نصف سيفه وقال هذا نسبي ونثر عليهم ذهبيا كثيرا وقال هذا حسبي فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا) وقد بذل غاية وسعه في استجلاب محبة الناس فكان يرأس بنفسه حفلة قطع الخليج ويرسل كسوة قاخرة للكعبة كل عام ويمنع جنده من

البقاء في المدينة بعد الغروب إجتنابا لما عساه أن يحدث منهم من هياج وألغى نظام جباية الخراج بواسطة الملتزمين لما كان يترتب عليها من الأضرار فزاد الخراج من غير أن يضر بمصلحه المزارعين وأما ثروة مصر وغناها في أيامه فحدث ولا حرج فعصره في مصر من أزهى العصور وأيامه مبدأ عصر جديد في تاريخ الفاطميين .

العزیز بالله أبو منصور نزار

(٣٦٥ - ٣٨٦ هـ)

تولى بعد وفاة أبيه فسادت في عهده السكينة في البلاد واستقامت أحوالها فدل ذلك على حسن إدارته وأكثر حروبه كانت في سوريا ولم تنمقه شيئا بل عظمت هيئته وكان شديد التسامح مع المسيحيين وهو الذي بدأ بناء الجامع الذي يعرف بجامع الحاكم (لأن الحاكم هو الذي أتمه) بجوار باب الفتوح وهو أول من استخدم من الخلفاء الفاطميين جند النزك وأول من سار في موكب إلى الجامع في كل يوم جمعه من رمضان للصلاة بالناس وكان مغرما بالأكثر من الأساطيل كريما شجاعا عظيم العفو مولعا بالصيد ما هرا فيه وقد مات ببليبس سنة ٣٨٦ هـ وحمل إلى القاهرة ودفن في تربة القصر بعد أن حكم إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر .

الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور

(٣٨٦ - ٤١١ هـ)

تولى بعد وفاة أبيه وكان عمره إحدى عشرة سنة فقام بتدبير مملكته وزيره برجوان كما أوصى والده (وكان برجوان هذا خصيا أبيض حسن التدبير) وما زال يدير الأمور ويمهد العقبات ويثبت سلطة الحاكم بأمر الله ويفتح

الفتوحات الكبار حتى أبغضه الحاكم وأراد التخلص منه فقتله سنة ٣٨٩ هـ
ثم علت كلمة الحاكم بأمر الله فسير الجيوش للغزو واشتد على القواد وكبار
القبائل بمصر وأكثر فيهم القتل فخرج عليه الوليد المعروف بأبي ركوة وكبار
القبائل وأكثر القواد فانتصر عليهم بعد حروب كثيرة كان النصر فيها متبادلا
(وأبو ركوة هذا رجل أدعى أنه من نسل بني أمية وأمر بالمعروف ونهى عن
المنكر حتى كثرت به وكفى بأبي ركوة ركوة كان يحملها في أسنانه كسنة الصوفية)
ولما صفت له الأمور أكثر شره وكبر ظلمه وعظم أفساده وطغيانه وصار
لا يستقر على أمر مضطربا في كل شيء على طرفي الغلو في كل أعماله فإذا عاقب
أفرط وسفك الدماء وقتل الأعوان والأقارب والعلماء وإذا أثاب أو أحب
بذل مالم يبذله ملك يفعل اليوم ما ينقضه غدا وأفعاله تشهد عليه بالجنون فقد
أمر الناس بسب الصحابة زمنا وكتب سبهم على أبواب المساجد ثم منع سبهم
ومحا الكتابة ومنع مائة التراويح عشرة سنين ثم أباحها وأمر بهدم كنيسة
القمامة ثم عاد فبناها على نفقته الخاصة وبنى المدارس وجعل فيها المعلمين ثم عاد
فقتلهم جميعا وخربها وأمر الناس بأغلاق الأسواق نهارا وقتحها ليلا فامتلوا زمنا
ثم رجع وأمرهم بأقفالها ليلا ومنع النساء من الخروج إلى السوق والحمام وسد
الحمام على بعضهن حتى متن فيه وانتهى به الأمر أن أدعى أنه يعلم الغيب مع أن
ذلك كان من جواسيس تطلعه على الأخبار وقد أتى عليه وقت اضطره فيه اليهود
والنصارى وأحرق كنائسهم حتى كان ذلك من الأسباب التي ولدت الحروب
الصليبية ومع سفهه هذا ونزقه كان شديد العناية بجمع الكتب ومعاضدة العلم
أقام بالقاهرة دار كتب للطباعة تشبه دار الكتب المالكية الآن ودعاها دار
العلم أو دار الحكمة وأتم الجامع المسمى بأسمه بين باب الفتوح وباب النصر سنة ٤٠٤ هـ
وأراد تحويل الطلبة من الأزهر إليه فلم تنجح مساعيه ولما عظم شره واشتد على

الناس بلاؤه ركب يوما حماره وخرج على عادته الى جبل المقطم بناحية حلوان
للخولة بنفسه ولينظر في النجوم فلم يعد ووجدوا جثته بعد أيام بثيابه مضرجة
بالدماء وحماره مجروحا فعلموا أنه قد قتل وقيل أن أخته عملت على قتله وذلك
سنة ٤١١ هـ

الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي

(٤١١ - ٤٢٧ هـ)

تولى بعد وفاة أبيه ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وكان عمره حينئذ
ست عشرة سنة فلم يكن بالرجل الذي يرجى منه انتشال البلاد مما أصابها من
جرائم أعمال والده وكان في أول أمره في قبضة عمته أخت الحاكم وهي التي تقوم
بتدبير المملكة والنظر في أمور الدولة إلى أن مات سنة ٤١٥ هـ بعد أربع سنين
ثم غلبه على أمره بعد ذلك نفر من وزرائه واستأثروا بتصرف الأمور والقيام
بالأحكام ومنعوا الناصحين من الوصول إلى الخليفة ومن هذا العهد ابتدأت
دولة الفاطميين في الانحطاط وأخذت قوة خلفائهم في الاضمحلال وتحولت
جميع السلطة من أيديهم إلى الوزراء ولم يبق لهم إلا أبهة الملك وكان هؤلاء
الوزراء كلما مات خليفة اختاروا مكانه من أسرته من كان أكثر ليانا وأقرب
إلى التشكل في أيديهم حسب أهوائهم وفي أيامه حصلت مجاعة كبيرة في البلاد
سنة ٤١٥ هـ واشتد الغلاء وكاد المصاب يكون عظيما لولم يتدارك الله الناس
بسنة ٤١٧ هـ بازدياد النيل وزيادته عن العادة كذلك قامت في عهده عدة فتن
الأمم وثورات ضد الفاطميين فتقلب عليها منتخب الدرلة الحاكم الفاطمي لفلسطين
واسترد حلب ودمشق ومعظم شمال الشام وأعاد جميع ذلك لحكم الفاطميين ولما
كان سنة ٤٢٦ هـ كثير الوباء بمصر وقد مات الظاهر سنة ٤٢٧ فكانت مدته
خمسة عشرة سنة وثمانية أشهر وقد كان مع جميل سبرته منهمكا في اللذات

عاكفا على الملاهي وكانت مملكته بأفريقية ومصر والشام والحجاز

المستنصر بأمر الله أبو تميم معد

(٤٢٧ — ٤٨٧ هـ)

توفي المستنصر بأمر الله بعد وفاة والده وله من العمر سبع سنين فطالت مدته حتى بلغت ستين سنة وهي مدة لم يحكمها خليفة غيره إلا أن عصره هذا على طوله كان عصر تدهور سريع في الدولة الفاطمية وأيامه كانت أسوأ الأيام وأشدها على الأهالي بؤسا وذنبا كانت أيام قحط وغلاء وفتن وحروب داخلية وخارجية انقضت أيامه الأولى في مشاحنات بين عدة وزراء تعاقبوا على الحكم (٤٢٧ — ٤٤٢) وفي مدتهم خرجت ولايات شمال افريقية من يد فراطم ورفضت التشيع وخطبت للخليفة العباسي بدل الخليفة الفاطمي وعادت سنوية وابتدأ خروج ولايات الشام عن حكمهم وانقسامها إلى عدة ولايات حتى افتتحها الأتراك السلجوقيون ووقعت غنيمية باردة في يدهم سنة ٤٦٩ واستولوا على دمشق وبيت المقدس ولم يكفهم ذلك وهاجموا مصر ولكنهم ردوا عنها كما خرجت في سنة ٤٥٣ جزيرة صقلية من يدهم وقد هدأت حالة البلاد نحو ثمانية أعوام بعد ٤٤٢ وكان القابض فيها على زمام الأمور وزير عامل يدعى (البازوردي) فقام ببعض اصلاحات ولكن الحال رجعت بعده إلى ما كانت عليه من الفوضى والنزاع بين الوزراء ثم قامت الفتنة وتأججت نيرانها بيد الأتراك ضد الدولة والسودانيين أتباع المستنصر وغلبنه الذين عليهم معتمده وقد كانوا كثيرى العدد ووالدة المستنصر تمنح اليهم لأنها سوداء مثلهم وأخيرا انهزم السودانيون وفروا إلى الصعيد فزادت قوة الترك وبالغ رئيسهم ناصر الدولة القائد العام للجيش في الظلم والاستبداد واستبد الخليفة وأراد أن يخلعه وفي ذلك الوقت نزل بمصر غلاء عظيم وأصابته مجاعة شديدة

وقحط هائل دام سبع سنين (٤٥٧ - ٤٦٤ هـ) حتى مات الناس فيها جوعا
وكاد يأكل بعضهم بعضا وتد حدث فيها من الولايات والأذى ما لم يسلم منه
الخليفة نفسه إذ اضطره قواد حرسه من الاتراك الى اخراج ما في قصره من
النقائس والذخائر التي ورثها عن آبائه وأجداده مما لا يدخل تحت حصر فقسموا
بعضها على أنفسهم وباعوا الآخر بأبخس الأثمان بل نهبوا ما كان في خزانه
الكتب من الكتب النفيسة وبلغت به الفاقة مبلغا عظيما وكابر من آلامها
مالا يكاد يصدق وأما ناصر الدولة فما زال يضرم نيران الفتن في البلاد حتى
قتل سنة ٤٦٥ هـ ولكن لم تنقطع بموته مفاسد الاتراك فسم ذلك الخليفة وأرسل
إلى بدر الجمالي الأرمي الأصل حاكم عكا يسأله القدوم الى مصر لتنظيم أمورها
واصلاح ما فسد فيها فقبل بدر الجمالي ودخل مصر في جيش من أهل الشام
سنة ٤٦٧ هـ فقلده وزارة مصر الادارية والعسكرية ولقبه بأمر الجيوش ففتك
بالقواد الاتراك ثم انصرف الى تسكين الاضطرابات الداخلية واصلاح البلا
و احياء ما ذهب من العمران حتى ساد الأمن وأزداد الخراج وعم الخير جميع
الناس وقد كان سور القاهرة الذي بناه جوهر القائد لأول مرة قد تهدم فأعاد
بناؤه مرة ثانية سنة ٤٨٠ هـ وزاد فيه زيادة كثيرة وما زال بدر يتصرف في
الأمر ولا كلمة فوق كلمته حتى وافته منيته سنة ٤٨٧ هـ بعد أن قضى في
مصر عشرين عاما امتلأت فيها البلاد هدوءا وسلاما وقد أقام المستنصر مكانه
ابنه الأفضل فباشر الأمور قليلا ثم مات الخليفة المستنصر في السنة عينها
وقد كان ضعيف الرأي

المستعلي بالله أبو القاسم أحمد

(٤٨٧ - ٤٩٥ هـ)

تولى المستعلي بعد وفاة أبيه دون أخويه أقامه الأفضل وكان الأمر بيده
فبادر لمبايعته وأخضع أخيه الأ أكبر نزار الذي خالف عليه وفي زمنه ابتدأت
الحروب الصليبية وهي حروب شنها مسيحيو أوروبا على المسلمين لاخذ بيت
المقدس من أيديهم فدامت نحو قرنين وقد ساعدتهم على أثارها وأطمعهم في
القيام بها الضعف الشديد الذي صارت إليه كل من الدولتين العباسية والفاطمية
وهما الدولتان الكبيرتان اللتان كانتا تتنازعان زعامة المسلمين في ذلك الوقت
وانما سميت بالصليبية لأن المسيحيين الذين قاموا بها اتخذوا الصليب شعارا
لهم ورسموه على ملابسهم وأعلامهم وقد كانت فرقة من الانراك السلجوقيين
استولت على معظم آسيا الصغرى وكونت فيها دولة فلما دخل الصليبيون آسيا
الصغرى في طريقهم الى الشام اجتمع الامراء السلجوقيون لمقاومتهم والدفاع
عن دولتهم فانتهم الأفضل هذه الفرصة وزحف على القدس واسترجعها من
السلجوقيين سنة ٤٨٩ بعد أن تمككها عشرين سنة وكان الصليبيون حينئذ قد
تقدموا في الشام وهزموا عساكر المسلمين فقصدوا بيت المقدس وهو في
حوزة مصر وانقضوا عليه وافتتحوه سنة ٤٩٢ بعد سنة من استرجاعه وغنموا
منه غنائما لا تحصى وقتلوا من أهله ما يزيد على سبعين ألف مسلم وقد حاول
الأفضل استرجاعه منهم وسار بالجيوش الى عسقلان فأسرعوا اليه وهزمه
قبل أن يصل اليهم ومن ذلك العهد بقى الأفضل في حروب معهم انتهت بتراجع
المصريين من الشام ثم مات المستعلي بالله سنة ٤٩٥

الأمير بأحكام الله بن المستعلي

(٤٩٥ — ٥٢٤ هـ)

تولى بعد وفاة المستعلي ابنه أبو علي المنصور ولقب بالأمير بأحكام الله وكان عمره خمس سنين لم يل منهم أصغر منه فقام بتدبير المملكة الأفضل مدبر دولة أبيه وفي أيامه نجح الصليبيون وملكوا كثير من حصون الشام لاضطراب أحوال مصر حينئذ ولم تأت سنة ٥٠٤ حتى كانوا قد ملكوا عكا وطرابلس وصيدا وغيرها ولم يبقوا للمصريين في الشام سوى عسقلان وفي سنة ٥١١ أغار بقدوين الأول ملك بيت المقدس على مصر نفسها فأحرق القرما ووصل إلى تنيس ثم لحقه مرض فرجع ومات بالقرب من العريش ولم يزل الأفضل منكبا على إصلاح أحوال مصر حتى ثقلت وطأته على الحاكم فوضع له من قتله سنة ٥١٥ هـ ثم ولي مكانه المأمون بن البطايحي وقتله سنة ٥١٩ هـ وصلبه وفي مدته عظم أمر الطائفة المعروفة بالباطنية وبالأسمعية ووضعوا يدهم على بعض البلاد المجاورة لدمشق وسعى أميرهم في قتل الأمر بأحكام الله وأرسل إليه من رجاله من قتله في ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ وقد كان منهمكا في اللذات والملاهي ساء السيرة مولعا باللهو والطرب يقرض الشعر قليلا وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين سنة وخمسة أشهر .

الحافظ لدين الله بن محمد

(٥٢٤ — ٥٤٤ هـ)

تولى بعد موت الأمر ابن عمه عبد المجيد بن محمد المستنصر فاستوزر أحمد ابن الأفضل بن بدر الجمالي فغلبه على أمره وحجر عليه واستقل بالأمر وقام به أحسن قيام ولم يزل كذلك إلى أن قتل في المحرم سنة ٥٢٦ هـ وبمجرد قتله أخرج جنود الحافظ وبايعوه وقد أتخذ الحافظ هذا اليوم عيداً سماه عيد النصر

وقد استراحت مصر في أيامه من غوائل الصليبين لاشتغالهم بقتال مسلمي الشام والعراق ولكن ظهر له عدو آخر وهو روجر ملك جزيرة صقلية فقد شاع خبر قدومه بأساطيله إلى الإسكندرية فاضطربت مصر لذلك وكان قد استولى على جزء من سواحل أفريقية وفي أثناء ذلك مات الحافظ في منتصف سنة ٥٤٤ هـ وكان حازما كثير المداراة جماعا للمال يغلب عليه الحلم

الظافر بأمر الله أبو منصور اسماعيل

(٥٤٤ — ٥٤٩ هـ)

تولى بعد موت الحافظ ابنه الظافر بأمر الله وكان منهمكا في اللذات غريبا في الشهوات مستقلا بها عن تدبير الملك وفي أيامه ملك الصليبيون مدينة عسقلان سنة ٥٤٨ هـ وانتزعوها من مصر وفي السنة نفسها جاءت مراكب صقلية إلى دمياط وأغارت على السواحل المصرية وأحرقت تنيس وفي سنة ٥٤٩ هـ مات الظافر قتيلا قتله وزيره العباس جرأه عليه اشتغاله بالشهوات وأعراضه عن الملك

الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى

(٥٤٩ — ٥٥٥ هـ)

بعد قتل الوزير العباس للظافر أقام ابنه الفائز بنصر الله مكانه وكان عمره خمس سنين فاستبد هو بتدبير الملك حتى قبض على أزمة الوزارة طلائع ابن رزيق بعد قليل وتلقب بالملك الصالح وكان قويا حازما شهما فأخذ يدير الأمور ويصلح الأحوال ويعمل لحفظ مصر وصيانة حدودها من أعدائها الذين يتطلعون للاستيلاء عليها فقد كانت مصر في ذلك الوقت في غاية من الضعف يتحفر للاغارة عليها جاران قويان وهما « نور الدين » و « صاحب بيت

المقدس » ولم يمنع أحدهما من الاغارة عليها إلا خوفه من الآخر ولم يزل
الفائز بنصر الله لا كلمة له والحكم للملك الصالح حتى مات الفائز سنة ٥٥٥ هـ
فكانت مدته ست سنوات ونحو شهرين

العاضد لدين الله

(٥٥٥ — ٥٦٧ هـ)

وانقراض الدولة الفاطمية

بعد موت الفائز بنصر الله بوييع بالخلافة للعاضد لدين الله عبد الله بن
يوسف بن الحافظ وعمره لا يتجاوز إحدى عشرة سنة فاستبد الصالح بالأمور
وأكثر من عزل العمال وضيق على أهل القصر حتى مات مقتولا سنة ٥٥٦ هـ
فولى العاضد مكانه ابنه رزيك ولقب بالعدل فحسنت سيرته في الناس ولكن
لم تطل أيامه وقد كانت الدولة الفاطمية في هذه الأيام مشرقة على الزوال والفتن
والخطوب لا تنقطع بين الطامعين في منصب الوزارة فوزير يثب ويقاوم حتى
يتبرأ الوزارة وآخر يعزل ويقتل وليس للخلفاء الذين يولون في صغر سنهم في
الأمور من شيء .

شاور وضرغام

بعد تولى العادل رزيك للوزارة قام نزاع كبير بشأن تولى الوزارة أدى
أخيرا إلى انقراض الدولة الفاطمية وذلك أن شاور بن مجبر السعدي الذي كان
واليا على قوص ثار على العادل رزيك بن طلائع وقبض عليه وقتله وأجلس
نفسه، وزيرا مكانه سنة ٥٥٨ هـ ولم يلبث شاور في منصب الوزارة طويلا حتى
ثار عليه ضرغام أحد القواد (وصاحب الباب يومئذ) وتغلب عليه واستبد
بالوزارة ففر شاور إلى دمشق ملتجئا إلى نور الدين محمود بن زنكي وطلب
منه مساعدته على الرجوع إلى منسبه ووعده بأن يكون له ثلث دخل البلاد

مضى تم له ذلك فتردد نور الدين في الأمر أولا لوجود الصليبيين في الطريق وخوفا من عدم وفاء شاور بما وعد به وفي تلك الأثناء قام خسام بين ضرغام وصاحب بيت المقدس (أمورى الأول) بشأن جزية سنوية كان يدفعها من قبل ضرغام من الوزراء لصاحب بيت المقدس حتى أغار أمورى على مصر بجيوشه ورجع عنها بعد أن أرضاه ضرغام .

ذهاب شيركوه لمصر لأول مرة

فلما علم نور الدين بذلك بادر بأرسال جيش من الأتراك إلى مصر تحت قيادة أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين ابن أخيه (وكان حينئذ صغير السن) وصحبهم شاور فدخلوا القاهرة سنة ٥٥٩ هـ بعد أن هزموا الجيوش التي أرسلها إليهم ضرغام في بليس وهزموا ضرغام نفسه على أبواب القاهرة وحينئذ انفض الناس من حول ضرغام وقتلوه وعادت الوزارة إلى شاور ولما تمكن منها واستقامت له الأمور نقض عهده مع نور الدين وطلب من شيركوه الذى نصره مغادرة مصر إلى الشام فلم يجبه شيركوه واستولى على بليس فاستغاث شاور بأمورى صاحب بيت المقدس ليخلصه من نفوذ نور الدين فأرسل إلى مصر الجيوش بسرعة فصدتها شيركوه نحو ثلاثة أشهر ثم عقد هدنة وخرج بجيشه تاركا لمصر للجيوش المصرية وحلفائهم من الصليبيين .

ذهاب شيركوه لمصر لثاني مرة

لم تأت غارة شيركوه على مصر في المرة الأولى بالفائدة المرجوة ولكنها مكنته من الوقوف على أحوالها فوصفها لنور الدين بعد عودته وهون عليه أمرها ولم يزل به حتى أرسله في جيش آخر لفتحها سنة ٥٦٢ هـ ومعه صلاح الدين أيضا في هذه المرة وبعد قدومه إلى مصر أسرع إليها أمورى في جيوشه لينجد حلفاءه المصريين ثم طال القتال بينه وبين شيركوه وانتهى الأمر باتفاقهما

على أن يخلى كل منهما وأن يتركوا مصر للمصريين وعاد شيركوه إلى الشام
كما أتى

ذهاب شيركوه إلى مصر لثالث مرة

بعد أن رجع شيركوه إلى الشام في المرة الثانية طمع الصليبيون في مصر
ورأوا الفرصة سانحة لوضع يدهم عليها فرجع أموري إليها بجيش آخر يريد
غزوها لا للدفاع عنها وفتح بلبيس سنة ٥٦٤ هـ ونهبها وذبح كل من فيها ولما علم
شاور بذلك أمر باحراق القسطنطينية كي لا يأوى إليها الصليبيون ثم تقدمت جيوش
أموري نحو القاهرة وحاصرتها فاستغاث العاضد أثناء ذلك بنور الدين وطلب
منه أن ينجد ويخلص مصر من عساكر الصليبيون فلم يتردد وأرسل لثالث
مرة أسد الدين شيركوه بجيش جرار مقصده الحقيقي غزو مصر لا مساعدة
المصريين وخرج معه في هذه المرة أيضا صلاح الدين وهو كاره

شيركوه في مصر وزوال الدولة الفاطمية

ثم دخل شيركوه مصر بجيوشه سنة ٥٦٤ هـ وانضم إلى الجيوش المصرية
وطرد الصليبيين من مصر ثم دخل القاهرة ظافرا ورحب به الناس وخلع عليه
الخليفة اعترافا بجميله ولما شك في اخلاص شاور قتله وعين شيركوه وزيرا
ولكنه لم يتمتع بالوزارة ومات بعد شهرين نخلفه في منصب الوزارة ابن أخيه
صلاح الدين ولقب بالملك الناصر فكف يد العاضد عن كل شيء بالتدرج ثم
قطع الخطبة للعاضد وهو مريض ودعا للمستضيء العباسي ثم مات العاضد سنة
٥٦٧ هـ وبموته انقرضت الدولة الفاطمية واستولى صلاح الدين على مصر مع
تابعيته تابعة اسمية للخليفة العباسي أولا ولنور الدين ثانيا وابتدأت الدولة
الأيوبية

عظمة الدولة الفاطمية وغناها

كانت الدولة الفاطمية مع شذوذها في العقيدة وتشيعها من أعظم دول
الاسلام ملكا وأكبرها غنى وأرقاها حضارة وأشدها تعظيما للعلم والعلماء وهذه
آثار خلفائها بمصر وما خلفوه في تصورهم بعد زوال دولتهم السنة ناطقة
بذلك ودالة على أن مصر في عهدهم والقاهرة بلغتا من الرخاء والعظمة مبلغا
فافتتا فيه العراق وبغداد فمن آثارهم الباقية إلى الآن مدينة القاهرة المعزية
وباب زويله وباب النصر وباب الفتوح والجامع الأزهر وجامع الحاكم
والجامع الأفرم (بالنحاسين) أنشأه الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ
وكانت سفن أسطولهم في أول دولتهم تعد بالألوف وكانت عنايتهم
بالعلم كبيرة كانت لهم دور كتب جمعت أكثر من ستمائة ألف مجلد مفتحة
الأبواب للخاصة والعامة من أشهرها دار الحكمة التي كانت بين القصر الغربي
والأزهر (ما بين السكة الجديدة والصناديقية الآن) وما يدل على عظم ثروتهم
وتأنقهم بجمع التحف والذخائر النفيسة من آنية الذهب والفضة والأحجار
الكريمة وغيرها مما لم يسمع بمثله أن إحدى بنات المعز لدين الله ماتت وتركت
وراءها ما يعادل ألف ألف دينار وأخرى خلفت بعد موتها خمسة أكياس من
الزمرد ومنتجات وافر من الأحجار الكريمة الأخرى وثلاثة آلاف أناء فضي
مطعم وأن المؤرخين الثقات أجمعوا على أن ما حمل إلى صلاح الدين من قصر
الخلافة بعد موت العاضد من الاعلاق النفيسة والأشياء الغريبة والجواهر
لكثرته يخرج عن الاحصاء مع أن هذا هو الباقي بالقصر بعد ما أصابه في فتنة
المستنصر وغيرها وكان لهم اهتمام وعناية بالأحتفال بالمواسم والأعياد أحدثوا
في مصر كثيرا منها بقي أغابها إلى وقتنا هذا فمن مواسمهم التي كان يحتفلون بها
يوم رأس السنة الهجرية وعاشوراء ومولد النبي ﷺ وسيدنا علي بن أبي طالب

وأبنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء والخليفة الحاضر صاحب الشأن

أسباب زوال دولتهم

وترجع أسباب زوال دولتهم إلى أمور كثيرة منها :

(١) كانوا شيعة متغالين وجيرانهم وكثير من الداخلين في حكمهم سينين معتدلين فتفرقت منهم القلوب وناوأم الممالك المجاورة لهم وعملوا على محو دولتهم واستقل عنهم بعض أطراف بلادهم

(٢) وقعوا فيما وقع فيه العباسيون من قباهم فاستهانوا بأهل دعوتهم والحماة الاولين من عرب وبربر وأكثر وامن ممالك الترك والديلم والسودان والارمن والصقالبة وقدموهم على سواهم حتى كثرت المنافسة بين هذه الطوائف وقامت بينها الثورات والحروب الداخلية التي خربت البلاد واهلكت العباد وأذلت الخلفاء في قصورهم

(٣) تولى الاطفال للخلافة في آخر أيامهم مما سهل على الوزراء وأمراء الجيوش وغيرهم الاستبداد بالملك وأثار فيما بينهم التزاحم على الوزارة والقتال لأجائها والاستعانة بالأجانب أحيانا

(٤) خروج الصليبيين وإغارتهم على الشام ومصادقة ذلك الأيام ضعفهم وكثرة الأوبئة والمجاعات في أيامهم

بعض الشعر في رثائها

وقد رثاها الفقيه أبو محمد عمارة النيني بقصيدة لم يسمع في دولة بعد انقراضها أحسن منها وأتى فيها على كثير من مزاياها وأثارها قال في مطلعها
رمى يادهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحل بالعطل
ومنها

بإعاذي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة أن قصرت في عدلي

بالله در ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفيين والجل
ساحة القصرين أو بين القصرين هي الميدان الذي تقدم وصفه والقصران
هما القصر الكبير الشرقي والقصر الصغير الغربي وقد تقدما .
وقل لأهليهما والله ما التحمت فيكم جراحی ولا فرحى بمندمل
ومنها :

مررت بالقصر والأركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبل
فلت عنها بوجهى خوف منتقد من الأعدى ووجه الود لم يمل
ومنها :

دار الضيافة كانت أنس وافدكم واليوم أوحش من رسم ومن طلل
(دار الضيافة كانت برسم الرسل الواردين من الملوك ويقال لمتوليها النائب
لكونه ينرب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل والوافدين) .
وقطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
(أنشأ المعز دارا سماها دار الفطرة يعمل فيها الطعام على اختلاف ألوانه
من أول رجب إلى نصف رمضان ويفرق فى جميع الناس) .
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست

ورث منها جديد عندهم وبلى
كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم وحواشيهم ومن
يلوذ بهم كسوات الصيف والشتاء من فاخر الشباب ونقيس الملبوس .
وموسم كان فى يوم الخليج لكم يأتى تجملكم فيه على الجبل
وأول العام والعيدى كم لكهوى فيهن من وبلى جود وليس بالوشل
وآخرها :

والله ما زلت عن حى لهم أبداً ما أخرج الله لى فى مدة الأجل

الدولة الايوبية

هذه الدولة حكمت بمصر سنة ٥٦٧ هـ ومدة حكمها ٨١ سنة وعدد ملوكها ثمانية رجال وأصلهم من الاكراد الذين كانوا في خدمة السلطان نور الدين زنكي ملك الشام وكان أرسلهم الى مصر لما استغاث به العاضد وكان قائدهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف الايوبى ولما سمعت الافرنج بمجيئهم ارتحلوا عن الديار المصرية وقبض أسد الدين على شاور الوزير الذى أشار بحرق المدينة (مصر القديمة والقطائع) وصلب بأذن العاضد نخلع العاضد على أسد الدين الوزارة فلم يلبس أن مات بعد شهرين فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين يوسف الايوبى وقلده الامور فلقبه بالملك الناصر فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ في اظهار السنة واخفاء البدعة فثقل أمره على الخليفة فأبطن له فتنة كانت غايتها ظهور أمر صلاح الدين حتى ضيق على الخليفة وحبس أقاربه وقتل أعيان دولته واستولى على مافي القصور من الاموال والذخائر التي استمر البيع فيها عشر سنين سوى ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه وخطب للمستضى العباسى بمصر وسير البشارة بذلك الى بغداد فمات العاضد قهرا بعد أن حكم ١٤ سنة وكان ذلك سنة ٥٦٧ هـ كما سبق وتم الامر للملك الناصر صلاح الدين .

الأول من ملوك الدولة الايوبية

الملك صلاح الدين يوسف الايوبى

كانت ولايته على مصر سنة ٥٦٧ هـ ولما تم له الامر أظهر السنة وأخفى البدعة وطهر الأقاليم من التشيع وكان هذا الملك شجاعا عافلا كريما مدبرا حسن الاخلاق صبورا على الشدائد وفتوحاته الكشيرة تدل على ذلك قد عمر

المساجد والمدارس التي خربتها يد العدوان حين دخلوا الأفرنج البلاد وهدم كل ما صنعوه من الكنائس سوى كنيسة القمامة اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخذ في استخلاص ما تغلب عليه الأفرنج من السواحل وبيت المقدس وسار حتى فتح أغلب بلاد الشام وفتح فتوحات كثيرة سواها فاتسع ملكه إلى أنصى بلاد الهند واليمن ومن طرابلس الغرب إلى النوبة وهو الذي أنشأ قلعة الجبل وسور القاهرة العظيم وكان المشرف على عماراته بهاء الدين قراقوش ولم يزل معروفًا بالعدل موصوفًا بالشهامة والفضل وكثرة الخيرات والعمارات إلى أن مات بقاعة دمشق سنة ٥٨٩ هـ ودفن بشمال الجامع الأموي ومدة خلافته ٢٢ سنة وعمره ٥٧ سنة رحمه الله رحمة واسعة .

الثاني عزيز عماد الدين

تولى بعد أبيه صلاح الدين وكان ملكًا عادلًا محبًا للعلم والعلماء كثير الخيرات واسع الكرم محسنًا إلى الناس معتقدًا في أرباب الخير والصلاح غير أنه كان ضعيف الرأي ولذا أشار عليه بعض الناس بهدم الأهرام وأغراه أن يهاذخائر كثيرة فأرسل عمالًا واستمر على هدمها مدة ستة عشرة شهرًا فكانوا لا يهدمون في اليوم الواحد أكثر من أربعة أحجار وبعد أن صرف على هذا العمل أموالًا كثيرة تركه ورجع صفر اليدين ولم ينل شيئًا ولما قبض على زمام المماليك حصلت حروب بينه وبين أخيه الملك الأفضل لفتنة حصات بينهما فاستولى فيها على دمشق وفي سنة ٥٩٤ هـ منع ما كان يحصل في موسم خليج القاهرة وكان الناس قد اعتادوا ذلك من مدة مديدة فعظم الأمر عليهم وحصل الاضطراب والهرج حتى هموا بخلعه والخروج عن طاعته لولا ما بانهم من مرض موته ولم يزل كذلك حتى مات سنة ٥٩٥ هـ وكانت مدته نحو ست سنين ودفن بترية الامام الشافعي رضي الله عنه وأعقبه ابنه المنصور

الثالث المنصور

تولى بعد أبيه سنة ٥٩٥ هـ ، وفي مدته اشتدت الفتن لأنه تولى الملك وعمره ثمان سنين وكان القائم بأمور الدولة في عهده بهاء الدين قراقوش الأسدي الأتابكي (عبد خصي) فاختلف عليه الأمراء وكانوا عمه الملك الأفضل فقدم من (صرخد) واستولى على مهام الأمور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وأراد الأفضل أخذ دمشق من عمه الملك العادل فجهز الجيوش إليها وحصلت بينهما حروب كانت غايتها هزيمة الأفضل فدخل العادل مصر وأعاد الأفضل إلى (صرخد) وقام بكفالة المنصور ثم خلعه بعد ذلك سنة ٥٩٦ هـ وحبس به بالقلعة حتى مات وانفرد بسلطنة مصر والشام .

الرابع الملك العادل

تولى بعد خلع الملك المنصور سنة ٥٩٦ هـ وعظم أمره حتى جعل جميع من بقي من الحكام الأيوبيين تحت رايته فعادت مملكة مصر كما كانت عليه في مدة الملك صلاح الدين وفي سنة ٥٩٨ هـ أرسل ابنه أبا الفتح موسى الملقب بالملك الأشرف إلى الرها فتملكها وتملك أيضا على حوران ولم يزل يفتح في بلاد الشام حتى استولى على معظمها وفي سنة ٦١٥ هـ جاء الأفرنج إلى مصر وحاصروا دمياط في ربيع الأول منها وبعد حصارها ستة أشهر وأياما ملكوها ثم اجتمعت عساكر الشام وغيرها عند الكامل بن العادل وحاربوا الأفرنج وكانوا قد تحصنوا بدمياط بعد أن ملكوها وبعد ذلك اضطروا لتسليمها في التاسع من رجب سنة ٦١٨ هـ لما شدد عليهم الحصار وبقي العادل يفتح في البلاد ويقهر الأعداء بصبره وجسارته حتى مات سنة ٦١٥ هـ وكانت مدة ملكه بدمشق ٢٣ سنة وبمصر ١٩ سنة وكان ميمون الطالع منصورا في مغازيه حسن الحظ حتى أنه رزق أولادا لم يخلف مثلهم أحد من الملوك .

الخامس الملك الكامل

تولى بعد أبيه العادل ولما تم له الأمر شرع في تنميم بناء قلعة الجبل وأنشأ بها الدار السلطانية في أثناء نيابته عن أبيه سنة ٦١٥ هـ ولما مات أبوه انتقل من دار الوزارة الكبرى بالدرب الأحمر إليها وجعلها مسكنا له فهو أول من سكنها من الملوك ومن ذلك الوقت أخذ الناس في تعمير ما حولها من الدرب الأحمر والمحجر وجهة القطائع والصلابية بعد أن كان بعض تلك الجهات بساتين وبعضها مقابر وبنى القبة التي على ضريح الامام الشافعي وأنشأ في القاهرة المدرسة الكاملة التي كانت تعرف بعد ذلك بدار الحديث ورتب لها أوقافا وكان محبا للسنة مبيدا للبدعة وكان يبني كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء يباحثهم ويسألهم عن كل أمر أشكل عليه وهو بينهم كأحمد بن وبنى مدينة المنصورة وحارب الأفرنج واسترد منهم دمياط سنة ٦١٨ هـ، ولم يزل مجدا في أعماله ساعيا في الخير لأهل مملكته الى أن مات بدمشق سنة ٦٣٥ هـ وكانت مدته في الملك ٢٠ سنة .

السادس سيف الدين الملقب بالعاقل

لما مات الكامل قام بالأمر بعده ابنه أبو بكر سيف الدين ولقب بالملك العادل الأصغر ولما جلس على سرير الملك وقع بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين منازعات انتهت بخنقه بيد الامراء لاستيائهم منه لكرهه كان عاكفا على اللهو والطرب غريقا في بحار الشهوات وكان موته سنة ٦٣٧ هـ ودفن عند الامام الشافعي رضى الله عنه وأعقبه على سرير الملك أخوه الملك الصالح .

السابع الملك الصالح

تولى بعد موت أخيه سيف الدين العادل الأصغر وفي أيامه حضر الأفرنج ومالكوا دمياط فاستمر يحاربهم أربعة عشر شهرا وكان النائد لهم لويز التاسع

ملك فرنسا وهو المعروف عند مؤرخي الاسلام باسم إفرنسيس وكان الملك الصالح مريضا فاستمر يحاربهم إلى أن مات والحرب قائمة بعد أن حكم سنة وشهورا فأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الامور وأمضت أيامائه حتى حضر ابنه توران شاه .

الثامن توران شاه

ملك بعد أبيه وكان عند موت أبيه غائبا بحصن كيفا بديار بكر فخرب الفرنج وأسر ملكهم لويز التاسع في واقعة فارسكور وسجنه بالمنصورة بمحل يعرف بدار لقمان ووكّل بحفظه خصيا يقال له صبيح وبقى أسيرا إلى ولاية شجرة الدر وقتل توران شاه المذكور بعد أن حكم شهرين وقلدت شجرة الدر الملك .

شجرة الدر

امرأة الملك الصالح وكانت حسنة السياسة والتدبير فأطلقت لويز التاسع ملك فرنسا الذي كان قد أسره توران شاه واشترطت عليه أن يسلم لها دمياط ويعطى للمسلمين مالا عوضا عما نهب منهم ويطلق ما عنده من أسرى المسلمين فقبل ذلك كله بعد أن أقامت بيدهم دمياط أحد عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها عز الدين أبيك التركماني فاتفق الامراء على أن يتسلطن الملك الاشرف موسى ابن الملك الصالح ويشركوا معه اسم شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ نخلعت شجرة الدر نفسها بعد ثلاثة أشهر ومن ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على الديار المصرية وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لنفسه واشتراهم بماله واتخذ منهم جندا وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها وجعل لهم سفنًا في البحر فيها ذخائر وآلات حربية وما يحتاجون إليه وسماهم البحرية وبخلع شجرة الدر نفسها قد انتهت الدولة الأيوبية .

والحقيقة أن الدولة الايوبية قد انتهت بقتل المماليك للملك المعظم
توران شاه سنة ٦٤٨ هـ وهو آخر ملك أيوبي فتكون مدة حكم الدولة الايوبية
٨١ سنة من سنة ٥٦٧ هـ إلى سنة ٦٤٨ هـ

دولة المماليك البحرية

حكمت هذه الدولة سنة ٦٤٨ هـ وعدد ملوكها أربعة وعشرون ملكا ومدة
حكمهم (١٣٦) سنة .

أولهم الملك عز الدين أيبك

وسبب استيلائه على مصر هو أن الأشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل
مصر قدوم التتار فأجمعوا على توليته منفردا فدبر المملكة أحسن تدبير ولما
صفا له الوقت وتمكن من الدولة خطب بنت صاحب الموصل فسمعت بذلك
زوجته شجرة الدر فتغيرت عليه فلما رأى ذلك منها عزم على قتلها فبلغها ذلك
وخافت على نفسها فاتفقت مع محسن أغا الجوهري على قتله فقتلوه في الحمام فلما
بلغ مماليكه الخبر دخلوا على شجرة الدر ليقتلوهما فقا بلتهم زوجة أخرى له كانت
أم ولد فقتلوهما ظانين أنها شجرة الدر وكان عز الدين ملكا شجاعا .

الثاني الملك المظفر

نور الدين علي بن عز الدين أيبك

تولى الملك بعد موت أبيه سنة ٦٥٥ هـ وكانت سنه عشر سنين وجعل
الأمير سيف الدين فونوزو نائبا عنه وفي أيامه أخذت التتار ببغداد وقتلوا
الخليفة المستعصم كما تقدم وزحفوا على الشام فلما علم بذلك فونوزو قبض على
الملك ووالدته وإخوته باستشارة الأمراء فخلع الملك نفسه بعد أن حكم سنتين
واستولى على الملك فونوزو ولقبه بالملك المظفر وحارب التتار بالشام

وانتصر عليهم وفي أثناء رجوعه إلى الديار المصرية قتله ركن الدولة بيبرس
البنديقدارى واستولى على ملك مصر في أواخر سنة ٦٥٨ هـ

الثالث الملك بيبرس البندقدارى

هذا الملك تولى سنة ٦٥٨ هـ وحصلت في زمنه الفتوحات العظيمة وأصله
تركي اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولا زالت الأقدار تساعد
حتى وصل إلى ما وصل إليه وترجع في دست الملك وكان شجاعا يغزو بنفسه
وله مع التتار وقائع كثيرة ومع الافرنج كذلك وفتح بلاد النوبة ودنقلة وجدد
عمارة الجامع الأزهر بعد أن تطرق إليه الخراب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة
فأعادها فيه وله خيرات كثيرة وأوقف شتى وبني الجامع الكبير المعروف
باسمه إلى الآن وأكمل عمارة المسجد النبوي من حريق كان قد أصابه وغسل
الكعبة بماء الورد بيده وبني مدرسة تجاه المارستان وقنطرة السباع أمام السيدة
زينب وهو أول من رسم موكبي المحمل والكسوة الشريفة بمصر وذلك سنة
٦٧٥ هـ ومات الظاهر بدمشق بعد أن حكم (١٧) سنة وعدة أشهر. وتولى
بعده ابنه الملك السعيد

الرابع الملك السعيد

تولى سنة ٦٧٦ هـ ولقب بالملك السعيد فكث سنتين وعدة أشهر واختلف
عليه الأمراء وأرادوا قتله فمانعهم الحاكم بأمر الله الخليفة العباسي إلا أنهم
أجمعوا على خلع نخلع في ربيع الأول سنة ٦٧٨ هـ. وتولى بعده أخوه الملك
العادل شلامش

الخامس الملك العادل شلامش

تولى بعد خلع أخيه الملك السعيد وتلقب بالعادل وكانت سنه سبع سنين
وجعل سيف الدولة قلاوون الألفي مشيراً له فاستبد بالأحكام وخلع شلامش
بعد خمسة أشهر وجلس هو على سرير الملك

السادس الملك المنصور قلاوون الالفي الصالحى النجمى

لما جلس على سرير الملك فى جمادى الاولى سنة ٦٧٨ هـ قام بالأمر حق القيام ولقب نفسه بالملك المنصور وعامل الناس بالمعروف ورفع كثيرا من المكوس والمظالم وقسم الوظائف بين الامراء وولى جماعة من مماليكه وزاد فى الرواتب والاقطاعيات وجعل عز الدين أيبك الصالحى نائبا على مصر ثم أعفاه وولى حسام الدين طر نطاي مكانه وأقر الوزير برهان الدين فى وزارته وبعد أن تمكن من الملك عزله وولى مكانه نحر الدين ابراهيم بن لقمان سنة ٦٨٣ هـ وسافر إلى الشام فملك الحصون وعاد إلى قصره وجهز النائب طر نطاي مع العساكر لحصار الكرك لما وقع من شلامش وخسرو من الانتقاض فسار وحاصرهم حتى استأمنوا وجاء بشلامش وسيروا إلى السلطان قلاوون فركب للقائمهم وبالغ فى إكرامهم ولما ساءت سيرتهم استرأب منهم وعذبهم وبقى مجتهدا حتى فتح أغاب بلاد الشام وفى أيامه حضرت التتار إلى الافطار الشامية فخار بهم بالقرب من حمص وهزمهم شر هزيمة واضطره الحال لحرق مدينة حمص فحرقها وجدد غيرها وسمها باسمها وهى الموجودة الآن

وهو صاحب الفتوحات بسواحل البحر الأبيض ففتح طرابلس واستخلصها من يد الافرنج وفتح جبلة واللاذقية ، وفى سنة ٦٨٦ هـ سير عساكره إلى بلاد النوبة مع علم الدين سنجر وكان عابئة ذلك ضرب الخراج على أهلها وادخلهم تحت الطاعة وله خيرات كثيرة بمصر والشام فهو صاحب البيمارستان والجامع المشهور باسمه إلى الآن والمدرسة والقبة التى دفن بها وكمل هذه العمارة سنة ٦٨٢ هـ ووقف عليها أوقافا وضياعا بمصر والشام وجاس فى المارستان فى يوم مشهود وشرب قدحا من الأشربة الطيبة وقال وقفت هذا البيمارستان على من كان مثلى فمن دونى من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره ومخلداً

لأخباره ومات سنة ٦٨٨ ومدة حكمه احدى عشرة سنة وتولى بعده ابنه
الملك الأشرف

السابع الملك الأشرف خليل بن قلاوون

تولى بعد موت أبيه سنة ٦٨٩ هـ وكان ملكا ذا هممة عالية وسياسة مرضية
وفي أيامه كانت الحرب قائمة بينه وبين الافرنج في السواحل الشامية وبحسن
تدبيره وعلو همته أجلاهم عنها وفتح عكا وغيرها من المدائن ثم سافر إلى اليمن
ثم إلى الكرك ثم عاد إلى مصر وفي أيامه بلغ عدد المماليك عشرة آلاف وسمح
لهم بالخروج إلى خارج البلد نهارا ويبيتون بالقلعة ليلا وفي سنة ٦٩٣ هـ قتل
وسبب ذلك أنه كان قد خرج إلى الصيد فتبعه الأمير بيدرة ومعه جماعة
فقتلوه وحكم هذا الأمير بعده وسمى نفسه الملك القاهر وملك يوما واحدا
ثم قتلوه

الثامن الملك الناصر محمد بن قلاوون

تولى سنة ٦٩٣ هـ وعمره سبع سنين وجعل له كفيلا وهو الأمير كتبغا
المنصور فقتل قتله الملك الأشرف وقبض على بعضهم وولى عقوبتهم ببيرس
الجاشنكر وآل أمرهم إلى تقطيع أيديهم وأرجلهم وعلقت في أعناقهم وشهروا
بهم ثم اختلف عليه بعد ذلك مماليكه وأحدثوا فتنة كبيرة قبض من أجلها على
كثير منهم وصلب منهم رجالا وعلقهم بباب زويلة ولكن هذه الفتنة قد
أطمعت كتبغا في الملك وتمكن من انتزاعه من السلطنة سنة ٦٩٤ هـ ورجع
إلى السلطنة ثانيا وعزل مرة أخرى ورجع ثالثا ومكث مهيدا في ملكه حتى
مات سنة ٧٤٠ هـ ومدة ولايته (٤٣) سنة وتولى بعده كتبغا

التاسع الملك العادل كتبغازين الدين المنصوري
تولى سنة ٨٤٠ هـ وأصله من ممالك السلطان قلاوون وحصل في مدته قحط
شديد حتى أكل الناس الجيف ووفد على مصر طائفة من المغول يدعون باسم
الابورانية ونزلوا بالحسنية وبنوا بها المساكن والدور وكان السلطان ينزل من
القلعة إلى الميدان فلم ير أحدا من الناس لاشتغالهم بأمر معاشهم وشدة ما هم
فيه من الوباء والغلاء واشتد خوفه فمال إلى الابورانية لأنهم كانوا من جنسه
وظن أنهم يسكونون عوناً له وأنصاراً إذا اشتدت الفتنة واستمرت الحرب
وخاف الابورانية منه أن يوقع بهم وتقاعد عن المسير إلى الشام لحرب التتار
فقام بعض الامراء عليه وساعدوهم وتركوا الملك فهرب إلى بلاد الشام وأقام
بدمشق وتولى بعده السلطان حسن بن قلاوون .

العاشر السلطان حسن بن قلاوون

لما جلس على سرير الملك كان عمره ثلاث عشرة سنة ولذلك عهد بأمر
الدولة إلى الامير منجك اليوسفي بالوزارة فلم يعدل ونقص الرواتب وارثى
فجزله وسلب ماله وفي مدته حصل طاعون بالديار المصرية فأهلك العباد وخرب
البلاد وحصلت في مدته فتنة فقبضوا عليه وحبسوه بالقلعة ثم أعيد ثانيا
ومن آثاره جامع الرفيع الشأن الشاهق البنيان المعروف باسمه إلى الآن
وهو بنهاية شارع محمد علي من جهة القلعة صرف عليه أمر الا كثيرة حتى قيل
إنه كان يصرف عليه كل يوم ألف مثقال من الذهب ولذلك جاء من أعظم
غرائب الدهر ومن أحسن ما صنعتها يدا الإنسان وهو يدل على ما كان له من
الاخلاص في خدمة الدين وقوة اليقين ، ومن آثاره أيضا أنه بنى الجامع
المعروف بجامع شيخون ومدرسة بالرملة وغير ذلك من المباني المفيدة والخيرات
العديدة ولم يزل مجدا في عمل الخير مجتهدا في العمارات إلى أن قتل سنة ٧٦٢ هـ

وكانت مدة حكمه عشر سنين وشهرا تخللها خاعه وحبس . وجاء بعده ابن أخيه
محمد بن حاجي .

الحادي عشر محمد بن حاجي

ولى الأمر بعد قتله عمه السلطان حسن ولقب بالملك المنصور وفى مدته
توفى الخليفة المعتضد بالله العباسى سنة ٧٦٣ هـ وخلفه ابنه المتوكل على الله وفى
شعبان سنة ٨٦٤ هـ خلع الملك المنصور محمد بن حاجي وولى ابن عمه شعبان
ابن السلطان حسن .

الثاني عشر أبو المعالى زين الدين شعبان

تولى سنة ٨٦٤ هـ ولقب بالملك الأشرف الثالث ولما جلس على سرير
الملك كان فى العاشرة من عمره وجعل مدير مآكته الأمير بليغا العمري
وكثر فى أيامه الفتن والثورات وتعاضمت الخطوب وهو الذى جعل
للأشرف العلامة الخضراء ليميزوا بها عن غيرهم وفى ذلك قال بعض
الشعراء :

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر
وفى سنة ٧٧٦ هـ قصد الأشرف الحج وخرج من مصر فى أهبة ملكه
وعظمة سلطانه ولما بعد عنها بمراحل تار عليه بعض أمراء دولته فرجع ثانيا
إلى القاهرة ملتجئا إليها فوجدهم قد أقاموا ابنه عليا عوضا عنه ولقبوه بالملك
المنصور فنزل بغية القصر فعلم به هؤلاء الأمراء فأرسلوا إليه فوجده قدهرب
هو بليغا الناصري وبعد يومين عثروا به فقبضوا عليه وخنقوه ، وكان ذلك فى
ذى الحجة سنة ٧٧٨ هـ . وكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة وشهرين .

الثالث عشر على بن شعبان الملقب بالمنصور (السادس)

تولى بعد أبيه وهو صغير السن لم يتجاوز السابعة وكان وصيه حين توليته برقوق مؤسس دولة الشرا كسة وبقي أربع سنين وشهورا وتوفي سنة ٧٨٣ هـ وتولى بعده أخوه الملك الصالح

الرابع عشر الملك الصالح حاجي بن شعبان

تولى بعد موت أخيه ولقب بالملك الصالح الثالث وكان سنه حين جلس على سرير الملك لا يتجاوز العاشرة ولذلك لم يكن له فيه سوء الاسم وكان أمر الدولة بيد وزيره برقوق فكثرت الاضطرابات في الدولة فتنازع الأمراء في شأن الرياسة وعظمت الفتن وفسدت الأحوال فقام عليه برقوق في لقيف من العساكر وهجم على أبواب القلعة واستحضر الخليفة الموجود بذلك العهد وهو المتوكل على الله والقضاة والامراء وانفقوا على خلعه وتولية برقوق بعد أن حكم سنة وأشهرا وبخلعه انقضت دولة المماليك البحرية وكان خلعه سنة ٧٨٤ هـ، وكانت مدتهم كلها فتن وشدائد لاقى فيها الناس الويل وإن كان قد حصل في زمنهم تجديد غمارات كثيرة ومبان رفيعة وبعده انقراض هذه الدولة قامت دولة الجرا كسة .

دولة المماليك الجرا كسة

حكمت هذه الدولة من سنة ٧٨٤ هـ إلى سنة ٩٢٣ هـ عبارة عن (١٣٩) سنة وعدد ملوكها أربعة وعشرين ملكا وأصلهم من المماليك الجرا كسة وسبب دخولهم في الملك أن أواخر ملوك الدولة البحرية قد أكثروا من شرائهم اقتداء بأسلافهم وبعد أن تربوا وصارت لهم قوة وعصية ويد في الملك انقلبوا عليهم وانتزعوا الملك منهم كما فعل غيرهم بسابقيهم وأول من جلس منهم على سرير الملك السلطان برقوق .

الأول السلطان برقوق

تولى من سنة ٧٨٤ هـ إلى سنة ٧٩١ هـ . وكان هذا الملك فطنا صاحب دهاء
وحيل وكان له براعة في كثير من الفنون ولذلك ترقى به الأحوال من كونه
مملوكا إلى أن صار ملكا وكان محبا للخير وهو الذي أسس مجد هذه الدولة ونزع
الملك من يد آخر المماليك البحرية كما سبق التنبيه عليه وقد حاربت جيوشه
جيش تيمورلنك ومن أعماله أنه بنى مدرسة بين القصرين وجامعا معروفا
باسمه إلى الآن بالقرب من المارستان وبنى جامعا كبيرا أيضا خارج باب النصر
بالصحراء الشرقية بساحة المقابر وجعل قبره بها ثم خلعه الأمراء بعد أن حكم
ثمان سنوات وتولى بعده ابنه فرج

الثاني فرج بن برقوق

تولى وعمره عشر سنين فقام عليه الأمير أيتمش وأراد خلعه فلم يتمكن
من ذلك ففر هاربا إلى الشام وأقيم بدله بيبرس السيفي فسكنت الفتنة وكان
أيتمش لما فر إلى الشام نهب وسلب وأثار الفتنة فجهز له جيشا وحاربه وقتله
ورجع إلى مصر في موكب عظيم وعلق رأسه على باب زويلة وفي هذا الوقت
كان تيمورلنك قد أشعل النار في حلب وغيرها من البلاد الشامية بعد وقائع
قتل فيها مالا يحصى عدده حتى قيل أنه بنى من الرؤوس منارات وأبراج والملك
لاه عنه بشهواته ولذاته ولذلك قام عليه بيبرس السيفي وصمم على قتله فهرب
وخلع وولى أخوه عبدالعزيز

الثالث الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق

تولى بعد خلعه أخيه سنة ٨٠٨ هـ ومكث نحو شهرين وأعيد أخوه فرج
مرة ثانية ولذلك لما عاد اجتهد في الغزو فغزا دمشق وفتحها وفتح كثيرا غيرها
من البلاد الشامية وفي سنة ٨١٣ هـ حصلت فتنة بمصر قتل فيها وكان ذلك في

المحرم سنة ٨١٥ هـ وكانت مدته النانية ست سنين وتسعة أشهر وبموته بايع الجند الخليفة المستعين بالله العباسي ولقب بالملك العادل وأصلح الأمور وأجرى الأحكام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأكثر العطاء فأحبه الناس وبعد ذلك خاعه المماليك قبل أن يتم السنة التي حكم فيها بمواطأة الشيخ محمودي الذي جعله نائبا عنه للسلطنة وكان خاعه في ربيع الأول سنة ٨١٥ هـ .

الرابع الشيخ محمودي

تولى بعد خلع المستعين بالله وأصله من ممالك الظاهر برقوق ولقب بالملك المؤيد وبوبع بالخلافة داود أخو المستعين بالله ولقب بالمعتضد بالله وكان شجاعا مقداما ما كرا مدبرا خرج إلى الشام مرتين ليمهد ملكها وكان من أشهر الفرسان العارفين بضروب الحروب وكان محبا للعلم والعلماء معظما للشريعة الغراء كثير العبادة ومن مآثره الجامع المعروف باسمه للآن داخل باب زويله بدأ فيه سنة ٨١٧ هـ وانتهى منه سنة ٨٢٠ هـ وكان له مدرسة بجواره وعصى عليه نواب الشام فسار اليهم فولوا الأدبار خوفا منه فعزلهم وولى بدلهم وعاد إلى القاهرة وصفا له الوقت فأكثر من شراء المماليك فوقع في زمنه وباء عظيم وكان محسنا إلا أنه كان سفكا للدماء قتل كثيرا من نوابه وقتل ابنه إبراهيم لما بلغه تصميمه على نزع السلطنة منه ودفنه بجامعه المعروف ثم مات بعد أن حكم ثماني سنين وخمس مائة أشهر وكانت وفاته في المحرم سنة ٨٢٤ هـ ودفن بجوار ابنه بمدفنه الذي بناه بجامعه المشهور .

الخامس الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد

تولى بعد وفاة أبيه وكان سنه دون الستين فمكث إلى شوال من سنة توليته وتنازل عن الملك لوصيه تتر فتولى الملك .

السادس الملك الظاهر سيف الدين تتر

جلس على سرير الملك ثلاثة أشهر ثم مات ودفن بالقرافة بجوار الإمام
الليث فتولى بعده ابنه .

السابع الملك الصالح محمد بن تتر

تولى بعد موت أبيه ولقب بالملك الصالح فلم يمكث بالملك إلا أربعة أشهر
ثم خلعه وصيه سيف الدولة برسباي سنة ٨٢٥ هـ ولم يزل بعد خلعه في شقاء
وعناء إلى أن مات .

الثامن الملك الأشرف برسباي

تولى بعد خلع محمد بن تتر في ربيع الأول سنة ٨٦٥ هـ ولقب بالملك
الأشرف وحارب الفرنج وتغلب عليهم مرارا واستولى على جزيرة قبرس ثم
عقد مع ملوك الافرنج وآل عثمان معاهدات تدل على ما كان عليه من قوة
التدبير ومكانة الملك ومن آثاره المدرسة الأشرفية بالقاهرة والشركية خارج
باب النصر والجامع المعروف بجامع الأشرفية ، وكان هذا الملك من أعظم
ملوك الجراكسة قدرا وأرفعهم ذكرا وأشدهم بطشا يشبه الملك المؤيد في كثير
من أحواله وتوفى في ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ بعد أن تولى الملك نحو
(١٧) سنة .

التاسع الملك العزيز يوسف

تولى بعد وفاة أبيه برسباي ولقب الملك العزيز ولم تطال مدته فإنه بعد
ثلاثة أشهر من مبايعته تخاصم مع مماليكه ومع سيف الدين جقمق أتاك جيشه
خصاما كانت نهايته عزل ابن برسباي ومبايعة جقمق .

العاشر الملك الظاهر جقمق

تولى بعد خلع الملك العزيز في ١٦ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ وفي مدته حصل طاعون بمصر عم في جميع أرجائها ، وفي مدته أيضا توفى الخليفة المعتضد بالله سنة ٨٤٦ هـ وبويع أخوه المستكفي بالله وكانا بارين فأحبهما الملك ثم بويع القائم بأمر الله ولم يكن كذلك فأبغضه السلطان ثم تنازل السلطان جقمق لابنه نحر الدين عثمان سنة ٨٥٧ هـ بعد أن حكم (١٤) سنة وتسعة أشهر وله عمارات كثيرة وكان محبا للفقراء كثير الخيرات والمبرات .

الحادى عشر الملك المنصور عثمان

تولى بعد تنازل أبيه له سنة ٨٥٧ هـ ولم تطل مدته بل أنه خلع بعد شهر من حكمه بايعاز من الخليفة .

الثانى عشر الأشرف إينال

تولى بعد خلع الملك المنصور عثمان ولقب بالملك الأشرف وجعل مقر الخليفة مدينة الاسكندرية حتى يكون بعيدا عن دس الدسائس للملوك وتوفى في ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ بعد أن حكم ثمان سنين وشهرين . وتولى بعده ابنه أحمد بن إينال

الثالث عشر أحمد بن إينال

تولى الملك بعد أبيه ولقب بالملك المؤيد وكان يباشر كثيرا من الأحكام فى حياة أبيه ولم تطل مدته فإنه عزل بعد أربعة أشهر من توليته فى ١٩ من رمضان سنة ٨٦٥ هـ التى تولى فيها . وتولى بعده خوش قدم

الرابع عشر خوش قدم

لما عزل أحمد بن إينال بويع بعده الملك الظاهر خوش قدم الملقب بالناصرى نسبة إلى الملك الناصر لأنه من مماليكه ولقب بالملك الظاهر وكان حسن الصفات

كراما محسنا مشيدا أركان العدل مقربا لاهل العلم والفضل وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ بعد أن حكم سنتين وخمسة أشهر ووليه الملك الظاهر بلباي .

الخامس عشر الملك الظاهر بلباي

جلس على سرير الملك بعد وفاة الملك الظاهر خوش قدم ولقب بالظاهر أيضا ولم يكن أهلا للملك لأنه كان جبارا عنيدا مستبدا برأيه ، لاناخذه في ظلمه لومة لائم ولذلك خلع بعد شهرين من حكمه في ١٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٢ هـ .

السادس عشر الملك الظاهر طار بوغا

ولى الملك بعد خلع بلباي وكان حظه في الملك كحظ سابقه فلم يمكث به إلا نحو شهرين وخلع في رجب من سنة توليته التي هي سنة ٨٧٢ هـ وكانت وفاته بمدينة الاسكندرية ودفن بها وتولى بعده قايتباي .

السابع عشر الملك الاشرف قايتباي

جاس على سرير الملك سنة ٨٧٢ هـ وأصله من مماليك جقمق ولقب بالاشرف وحارب العثمانيين وكانت الحرب بينهما سجالات اصطلاحا سنة ٨٨٦ هـ ثم مات قايتباي بعد هذا الصلح بخمس سنين وكانت وفاته في ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ ومدة حكمه تسع وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام وبني جامعه المعروف باسمه بالقرافة خارج القاهرة وله جامع آخر بالروضة وكان من أجل الملوك قدرا وأعلامهم همة وأطولهم يدا

الثامن عشر محمد بن قايتباي

تولى بعد أبيه في أواخر ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ ولقب بالناصر وخلع بعد ستة أشهر من حكمه في جمادى الأولى سنة ٩٠٢ هـ . وتولى بعده الملك الاشرف قانصوه

التاسع عشر الملك الأشرف قانصوه خمسمائة

(لأنه اشترى بخمسمائة)

تولى بعد خلع محمد أبي السعادات ولقب بالملك الأشرف ومكث ستة أشهر ثم تنازل عن الملك ووليه محمد بن قايتباي مرة ثانية ومكث سنة ونصفا وذبح في ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ وكان متوحشا يأتي بأمر فظيعة لا يأتي بها أحد من العقلاء منها أن والدته جهزت له يوما جارية أدخلتها عليه فقفل الباب وسلخ جلدها وهي على قيد الحياة وحشاه تبتنا ثم خرج يفتخر بذلك ويعرف الناس أنه بارع في السلخ فهكذا تكون الملوك وهكذا يكون حسن السلوك إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى .

العشرون الملك الظاهر قانصوه الأشرف

تولى بعد قتل الناصر محمد بن قايتباي في ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ وسار سيرا حميدا ولكنه خلع بعد سنة وأشهر وتولى بعده قانصوه جمبلاط .

الحادى والعشرون الملك الأشرف

قانصوه الثالث جمبلاط

أصله من مماليك قايتباي تولى بدون رضا الجند إلا أنه قام بنصرته طومان باي أحد أمرائهم فلما سار في الناس سيرة غير مرضية وظلم وصادر الناس في أموالهم وارتكب متن الشطط وسار في طريق العسف غنم منه طومان باي وانضم إلى أعدائه فخاربه وقهره وخاعوه وكان انتهاء ملكه سنة ٩٠٦ هـ وتولى بعده طومان باي .

الثانى والعشرون طومان باي الأول

ولقب بالملك العادل وفرح الناس بولايته لما كان لسابقه من الظلم والحيف ولكنه لم تطل مدته فان المماليك قد قاموا عليه وقتلوه في الشهر الرابع من

توليته ولكنه قد بنى في هذه المدة القصيرة المدرسة المعروفة بالعادية بحارة باب النصر وكانت وفاته في ذى القعدة سنة ٩٠٦ هـ ودفن بمدرسته التي خربها الفرنسيين عند دخولهم فيما خربوا .

الثالث والعشرون الملك الأشرف قانصوه الغورى

تولى بعد طومان باى سنة ٩٠٦ هـ وهو من مماليك قايتباى أيضا وفي عهده قدم إلى مصر كركود أخى السلطان سليم الأول بن بايزيد ملتجئا إليه متخاصما مع أخيه على الملك فرحب به الغورى وجهز له جيشا لحرب أخيه فلم يفلح فجهز السلطان سليم جيشا وسار به لفتح سورية وأرسل يهدد الغورى فاتحدمع ملك الفرس على السلطان سليم بعد أن سعى فى الصالح فلم تنجح مساعيه وكانت عاقبة ذلك الحرب بينهما فجهز كل منهما جيشا والتقى الجيشان بالشام بموضع يقال له مرج دابق فانهزم المصريون شرهازيمة ووقع قانصوه قتيلًا تحت سنابك الخيل وكان ذلك فى الخامس والعشرين من رجب سنة ٩٢٢ هـ، وبعد موته ملك السلطان سليم حلب بدون أدنى معاناة ولما عادوا بعد الهزيمة ولوا طومان باى .

وكان الغورى ذا دهاء وسياسة عالية ولذلك أمكنه أن يجمع المعتدين عليه يجمع الأتراك الذين كانوا معه فى الملك غير أنه كان ظالما سفاكا للدماء ومن ظلمه أنه منع الأخذ بالمرأى وصار يأخذ أموال الناس بالباطل ومن آثاره جامعه المشهور المنسوب إليه ونسبت إليه الغورية أيضا والمدرسة والمدفن المقابلين له وكثير غير ذلك .

الرابع والعشرون طومان باى

تولى بعد عمه الغورى سنة ٩٢٢ هـ وكان شجاعا قويا فاستعد لحماية مصر وسار السلطان سليم إليها فى ذلك الحين والتقى شمال القاهرة ودافع دفاعا عظيما

ولكنه لم يستطع رد هجمات العثمانيين فدخلوا مصر بالرغم عنه وخطب للسلطان
سليم فيها وفرطومان باى وجهاز جيوشا أخرى فلم تغن عنه شيئا سوى أن ذلك
كان سببا فى شدة أذى العثمانيين للشرا كسة والمصريين فقتلوا كثيرا ونهبوا
وسلبوا وبعد ذلك قبضوا على طومان باى فشنق وعاق على باب زاوية ثلاثة
أيام ، وبموته انتهت التلاقل كما انتهت دولة الشرا كسة به ، وكانت مدته ثلاثة
أشهر وخمسة عشر يوما .

وملوك هذه الدولة وإن كان لهم آثار كثيرة وخيرات عديدة ومساجد
ومدارس ومعاهد علمية وملاجىء للفقراء بمصر والشام فإنهم كان لهم مظالم
لا تحصى وشرور لا تستقصى فكم برىء قتلوا وكم أعانوا ظلما وكم سلبوا مالا
لإطلاق أيديهم وعدم قدرة الناس على مما نعتهم فالقول ماقلوه والأمر
ما أبرموه والحكم ما أصدروه وكثيرا ما انتقم الله منهم بأيديهم وساطب بعضهم
على بعض وكان ذلك موجبا للدمار وزوال دولتهم والحكم لله الواحد
القهار .

الدولة العليّة

ومصر تحت رعايتها

هذه الدولة من أجل الدول قدرا وأرفعها ذكرا وأقواها شوكة وأشدّها بأسا وأكثرها آثارا وأجلها افتخارا قائمة على دعائم العدل مؤسسة على الحكمة والفضل وقد اختلف المؤرخون في أصل ملوكها والحق أن أصلهم من التركان وينتهي نسبهم إلى يافث بن نوح عليه السلام وعدد ملوكها خمسة وثلاثين ملكا أولهم بيلاد الروم السلطان عثمان الغازي بن الأمير أرطغرل بن سليمان جاه وكان السلطان سليمان جاه أميرا على ميرة وهي مدينة قريبة من بحر الخزر والتركستان وأصل منشؤه بمدينة ماهان بجزر بلخ ولما ظهر جنكيز خان ملك المغول وتغلب على مملكة خوارزم وتفرق أهلها وترك البلاد مع من تركهم معه وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بالدولة السلجوقية وعظم شركتها سار هو ومن معه حتى وصل إلى أذربيجان ومنها إلى حلب وبعد مدة أراد الرجوع إلى بلده فعند رجوعه وعبوره نهر الفرات ولم يكن يعرف المخاضة غرق فيه وتوفى رحمه الله ودفن بجوار قلعة جعير ويعرف قبره الآن بتركزاري يزار ويتبرك به وكان ذلك سنة ٦٢٩ هـ وكان له أولادا أربعة فرجع منهم اثنان إلى خراسان بعد غرق أبيهم وبقي أرشدهم أرطغرل هو وأخوه الأصغر دندار ومن معهما من عشيرتهما فاستأذن أرطغرل من علاء الدين السلجوقي ملك قونية في الدخول إلى بلاده وطالب منه موصعا ينزل فيه فعين له جبال أرميناك فنزل هو ومن معه وكانوا نحو أربعائة عائلة وأقاموا ببلدة هناك تسمى فورجه طاغ وبعد أن أقام زمنا عزم على التوجه إلى جهة الغرب عسى أن يرى بها جهة أخصب من الجهة التي هو فيها فينما هو سائر إذ رأى جيشين يتحاربان وكان

أحدهما للتتار وثانيهما لعلاء الدين السلجوقي فانضم هو لأقلمه ما ونصره فاذا هو جيش علاء الدين السلجوقي ففرح بذلك علاء الدين وأقطع أرطغرل الأراضي الواسعة الواقعة على نهر صيخاريبوس وأراضي فورجه طاغ شرق جبل أولمبه بالقرب من مدينة أنقره بالأناضول وذلك سنة ٦٦٣ هـ وزاد في اقطاعاته فكانت تلك الأراضي هي منبع الدولة العثمانية ثم لما تحارب علاء الدين مع التتار ثانيا لتعرضهم لبعض بلاده فوض أمر قاعة كوتاهين لزيه أرطغرل ففتحها بعد عناء شديد وجهد جهيد فزادت منزلته عند علاء الدين ولم يزل يجاهد حتى توفي سنة ٦٩٦ هـ . ولما أخبر السلطان علاء الدين بوفاة أسف عليه أسفا شديدا وعين ابنه عثمان خان الغازي خلفا له ولما رأى علاء الدين جده واجتهاده وحزمه وشجاعته وجهه للجهاد كوالده وأمه بإمداده وأرسل اليه الراية السلطانية وخلع عليه الخلع السننية فلما رأى ضرب الدفوف بين يديه نهض قائما على قدميه تعظيما للسلطان ومجازاته الاحسان بالاحسان ومن ذلك الوقت صارت هذه العادة بين العساكر العثمانية عند سماعهم دق الطبول يقفون تعظيما لسلطانهم وأعطاه أيضا لقب بك وسمح له بضرب الدراهم باسمه وأن يخطب له على المنابر وبذلك صار عثمان بك ملكا لا ينقصه غير اللقب

ولما حصلت اغارة المغول الثالثة في مدة علاء الدين وفر هاربا تجزأت مملكته بين أمراء دولته واستقل كل واحد منهم باقليم فكان نصيب الأمير عثمان منها جزءا من مملكة (بورسا) وجميع البلاد التي كانت حول جبل أولمبه بالأناضول فأقام دعائم الدولة العثمانية وأسسها سنة ٦٩٩ هـ ولقب نفسه باديشاه آل عثمان وجعل مقر مملكته مدينة يكي شهر فهو أصل الشجرة العثمانية المباركة التي استظلت الرعية تحت ظلها وباتت آمنة مطمئنة بتيقظها وعدلها وها هو موجز سيرته

الأول السلطان الغازى عثمان خان الأول

(٦٩٩ — ٧٢٦ هـ)

ببيع له سنة ٦٩٩ هـ ولما تم له الأمر زحف على مدينتى أزميد^(١) وأزتيك^(٢) فلما لم يستطع فتحهما عاد إلى مقره ثم عرض على أمراء الروم فى آسيا إحدى خصال ثلاث إما الاسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم اليه و صار عوناً له ودفع بعضهم الجزية واستعان بعضهم بالستار فجهز لهم جيشاً جراراً بقيادة ابنه أورخان فسار اليهم مع كثير من أمراء الروم الذين زينوا بالاسلام فشتت شمل الستار ثم حاصروا بورصة^(٣) سنة ٧١٧ هـ ودخلها عنوة وكان ملك القسطنطينية قد أمر عامله عليها بمبارحتها وتركها لأهلها يحكمون أنفسهم بأنفسهم فى مقابلة جزية يدفعونها وأسلم حاكمها أفرانوس الذى صار بعد ذلك من أكابر قواد العثمانيين ولم يزل السلطان مجاهداً حتى فتح ناحية مرمره واستقر فى بكى شهر وأسكن فيها الجند وجعلها مقر ملكه كما تقدم وفتح حصوناً كثيرة ثم مرض السلطان مرض موته ولما احتضر أوصى ولده أورخان بثلاث وصايا مفيدة أولها التمسك بالشريعة الغراء وعدم الاستقلال بالرأى ثانيها إعطاء كل ذى حق حقه من التعظيم والتكريم والانععام لاسيما العلماء الاعلام ثالثها التعظيم لأوامر الله تعالى والانقياد له والشفقة على خلق الله وأوصى له بالملك وكانت

(١) هى مدينة يونانية قديمة بأسيا الصغرى أصل اسمها نيكوميديس

(٢) مدينة يونانية قديمة بأسيا الصغرى أيضاً أصل اسمها نيقه شرق مدينة

برسه وهى مشهورة بعمل السجاجيد الجيدة والخزف .

(٣) مدينة جيدة الهواء عذبة الماء يرحل اليها الناس فى الصيف لجودة

هوائها والاستنشاق بمائها .

وفاته في ٢١ رمضان سنة ٧٢٦ هـ ومدة ولايته (٢٦) سنة تقريبا ثم تولى بعده
ابنه السلطان أورخان بوصية منه .

الناني السلطان أورخان الغازي

(٧٢٦ — ٧٦١ هـ)

ولى بعد موت أبيه سنة ٧٢٦ هـ ولما تم له الأمر صرف همهته في سن القوانين
وتقرير أحوال المملكة وترتيب نظامها وجعل العساكر نظامية وألبسها الملابس
التي تمتاز بها وأوجد فرقة الانكشارية وجعل علاء الدين باشا وزيراً له وقسم
إيراد الدولة إلى قسمين قسم خاص بالخزينة السلطانية والأسرة المالكة ونفقات
الديوان السلطاني وقسم خاص بالعساكر وضباطهم وما يلزمهم من آلات
حرب وغير ذلك وبعد أن استعد استعداداً تاماً شرع في الغزو والتفت للفتح
ففتح قلعة أيون حصاراً وفتح سنة ٧٣١ هـ مدينة أزيك وفتحها سقط نفوذ
الروم في آسية وضم إلى مملكته ما بقي من آسية الصغرى واجتهد في بناء المساجد
والملاجىء وفتح المدارس وغزا الروم حيث إنهم نقضوا العهد مراراً وفتح
كثيراً من بلادهم تحت قيادة ولده الأكبر سليمان ثم توفي سليمان هذا سنة ٧٦٠ هـ
وآلت ولايته العهد إلى مراد وولى منصب الصدارة خير الدين باشا الذي كان
قد اقترح تربية الشبان الذين يؤسرون في الحرب تربية إسلامية فقبل الملك ذلك
فذهب بهم إلى الحاج بك تاش ليدعوهم فدعاهم بالنصر وسماهم بكجارى أى الجيش
الجديد وهم الانكشارية المعروفون بالشهامة والقوة ولم يزالوا كذلك حتى فتك
بهم السلطان محمود الثاني في تاسع ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ لما أكثروا العصيان
وزادوا في التمرد والطغيان ثم توفي السلطان أورخان سنة ٧٦١ هـ وله من العمر
(٨٢) سنة ودفن بمدينة بورصة وكانت مدة حكمه خمسة وثلاثين سنة وكانت

سيرته حميدة وأفعاله مرضية وهو أول من بنى المدارس من ملوك الدولة العثمانية

كما تقدم

الثالث السلطان الغازى مراد الأول

(٧٦١ — ٧٩١ هـ)

تولى الملك بعد وفاة أبيه ٧٦١ هـ وكان من أجل الملوك قدرا وأرقاهم ذكرا
وكان شجاعا مهيبا محبا للفتح والغزو ولذلك كان يباشر الفتح بنفسه فى أغلب
فتوحاته ولما استقر له الأمر بدأ فى الجهاد ففتح قلعة أنقرة مقر ساطنة القرممان
سنة ٧٦٢ هـ وأخذها من علاء الدين ملك القرممان نكاية له لأنه كان يكيد للدولة
العثمانية ويحكر بها ويشعل نار الفتنة صدها ويغرى عليها الملوك ثم اصطالحا
بعد ذلك وتعاهدا وفتح مدينة أدرنة (اسمها بالرومية أدریانز بوليس نسبة
للإمبراطور آدریان الرومى لأنه أجرى فيها كثيرا من التحصينات فنسبت
إليه) وجعلها عاصمة ملكه وبقيت كذلك إلى فتح القسطنطينية ثم فتح مدينة
فيلية قاعدة الروملى الشرقية سنة ٧٦٥ هـ (واسمها بالرومية فيلوبوليس أى
مدينة فلبس نسبة لمؤسسها فلبس والاسكندر المقدونى) وفتح أيضا سائر البلاد
الروملىة الجنوبية فأصبحت القسطنطينية محوطة بالأمالك العثمانية من جميع
جهاتها ولذلك اضطرت الملوك المسيحيون للاستنجاد بملوك أوربا الغربية فوصلت
إمداداتهم إلى ملك الصرب الذى هاجم أدرنة أثناء اشتغال السلطان مراد
بحصار بيجا فى آسيا الصغرى بالقرب من بروسه ففاجأهم العثمانيون فى ظلام
الليل وفتكوا بهم فتكا ذريعا ومن بقى ولى مدبرا وذلك سنة ٧٦٦ هـ واتحد ملك
الصرب والبلغار على العثمانيين فعجزا وأبرما مع السلطان صلحا على أن يتزوج
بنت أمير البلغار وأن يقوموا له بدفع جزية سنوية ثم تأخروا عن دفعها بعد
ذلك فخارهما وأدخلهما تحت الطاعة وفتح مبستر وبور لوبتا واستيب وصوفيا

بعد حصارها ثلاث سنين وفتح خير الدين باشا الصدر الأعظم سلانيك سنة
٧٨٦ هـ وتمرد علاء الدين فقهره وأسره ثم رده إلى مقره بشرط أن يدفع له
جزية سنوية واستولى على ولاية قرمان وسواها من البلاد وكانت مستقلة وتواطأ
ملك الصرب وملوك الأقالق وأمراء بلهاسيا على محاربتة فلم يفلحوا وحاربهم
وانتصر عليهم فأصبحت البلغار والروملى وآسيا الصغرى تابعة للدولة العلية
وغزا الصرب وقهرهم وجعلهم تحت طاعته وبينما كان يمر بين القتلى إذ نهض
جندي صربي يدعى ميلوك وطعنه طعنة قضت عليه وكان ذلك في النصف من
شعبان سنة ٧٩١ هـ ومدة حكمه نحو ثلاثين سنة وتولى بعده ابنه السلطان
بايزيد الأول .

الرابع السلطان الغازى بايزيد خان الأول

(٧٩١ — ٨٠٥ هـ)

تولى الأمر بعد موت أبيه سنة ٧٩١ واقتمدى به فى الفتح والغزو ففتح
كثيرا من البلاد وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة فتح الأشهر وبلاد ليبيا فى آسيا
وكانت آخر مدينة للروم بها وامتلك إمارة آيدن بلا قتال وترك له علاء الدين
جزءا من أملاكه وفى سنة ٧٩٥ هـ استولى على إمارات سيواس وطوقات
وقسطنطينى وغير ذلك ثم عاد إلى برسه وكتب إلى صاحب القسطنطينية أمانبول
إما أن تخرج من البلاد وتسلمها وإما أن نسير إليك نخاف وعقد معه صلحا
بأن يدفع له جزية سنوية وأن يبني للمسلمين داخل المدينة خطة يسكنونها
ويجعل لهم جامعا وقاضيا ولم يزل بايزيد يفتح فى البلاد ويضيق على ملوك
الطوائف حتى هربوا منهم جماعة واستعانوا عليه بتمورلنك الأعرج الباغى
وحسنوا له الوصول إلى بلاد الروم فوصل لبلاد الشام وسفك الدماء وسبى
الذرارى والنساء ثم توجه إلى بلاد الروم حتى التقى مع بايزيد وكانت بينهما

واقعة تشيب من هولها الولدان ثم إن بايزيد قد خلعه عسا كره وانهمزوا عنه ولم يبق معه إلا قليل من المشاة فنبت شاهرا سيفا بتارا ولم تزعه هذه الأتوف المؤلفة وقارب على تيمورلنك قاصدا قتله لولا ما صنعوه معه من الحيلة وذلك أنهم ألقوا عليه بساطا وأمسكوه به فوقع في قبضة الأتسر ولاشديد غضبه وتأثره حصل له حمى فمات رحمه الله في نصف شعبان من سنة ٨٠٥ هـ بالغامن العمر (٤٤) سنة فبئست هذه الدنيا الغدور والدهر العسوف .

ماصفا الدهر لشخص نصف يرم وأتمه

وتوفى رحمه الله عن سبعة أولاد فحصل بينهم النزاع على ما بقى من بلاد الدولة وصار الأعداء يدفعون بعضهم على بعض ليضعفوا شوكتهم وينهكوا قوتهم حتى يتمكنوا من أغراضهم ولم يلبث محمد أحد أولاده مدة حتى أعاد وحدة السلطنة وجعل مقاليدها بيده وفتك بمنزاعه حتى تم له الأمر .

الخامس السلطان محمد الأول بن بايزيد

(٨١٦ — ٨٢٤ هـ)

لما تم له الأمر وتربع في دست المملكة عقد الصلح مع الدول الأوربية وصرف جل عنايته إلى إصلاح داخلية البلاد وانتفض عليه ملك الأفلاق وملك المجر فسار بنفسه لمحاربتهم حتى أرجعهم إلى الطاعة بحزمه وهمته وقوته وشجاعته واجتهد في تسكين الفتن التي قامت في البلاد التي استقلت وكان مشهورا بالحلم والعفو ولذلك قد عفا عن أمير القرماني الذي أقسم ألا يخون الدولة ثم حنث في قسمه وعن قره جنيد حاكم أزمير الذي عفا عنه لما ظفر به وفي أيامه ظهر رجل يسمى بدر الدين بما يشبه مذهب الاثريين في هذا الزمان وتبعه خاق كثير وعدد غزير فعظم الخطب واشتدت الفتن ولم يزالوا متبعين حركاته حتى قبض عليه بدمشق سنة ١٤١٧ م وما كاد يطمئن خاطر السلطان ويهدأ باله

حتى خرج عليه أخوه مصطفى وطالبه بالملك وانضم إليه قره جنيد فخار باه فانهمز ما
فالتجأ مصطفى إلى سلا نيك وطالب تسليمه إليه من ملك الروم فأبى واعداد
بحفظه والأمن من جهته مادام حيا فقبل ذلك وجعل لأخيه مرتبا يأخذه سنويا
على قدر احتياجاته ونفقاته ثم عفا عن قره جنيد وبقى السلطان إلى أن توفي
سنة ٦٢٤ هـ بأدرنه بعد أن بلغ من العمر (٥٢) سنة وهو أول من أرسل إلى
مكة أموالا من العثمانيين لتوزيع على فقراء مكة والمدينة المعروفة بالصره وأوصى
بعده بالملك لأبنة مراد

السادس السلطان مراد الثاني

(٨٢٤ — ٨٥٥ هـ)

كان ملكا عظيما مقداما مطاعا عارفا بالأمور ذا سياسة عالية وحكمة سامية
ولذلك لما جلس على سرير الملك شرع في عقد الصلح بينه وبين أمير القرمات
ومهادنة ملك المجر ليتفرغ للإصلاح في داخلية بلاده ويتمكن من إرجاع ولايات
آسيا ولكن ملك أمانويل طلب منه تسايمة اثنين من أخوته تأمينا على عدم
المحاربة وتهدهه باطلاق عمه محمد فلم يقبل ولم يكترت بذلك التهديد فأطلق
الأمير مصطفى أخا السلطان بايزيد الذي كان قد أختفى من وجه أخيه ولجأ إلى
سلا نيك وبقى فيها إلى ذلك العهد فجهز له ملك الروم أسطولا مكونا من عشر
سفن حربية وبعثه يحارب ابن أخيه ليأخذ منه الملك فلم يفلح حيث أنه حاصر
جالبولي ثم سار بجيشه إلى أدرنه فهزم وسلم إلى السلطان مراد فشنقه ثم أراد
نكايمة ملك الروم فحاصر القسطنطينية في رمضان سنة ٨٢٥ هـ ثم تركها العيصان
أخيه عليه مع أمراء آسيا فهزمهم وقتله وعاد إلى طاعته الولايات التي أعطاها
تيمورلنك استقلها ولما تم أمره في آسيا كلف ملك المجر بالتوقيع على معاهدة
تقضى عليه بترك ماله من البلاد التي على شاطئ الدانوب الأيمن بحيث يكون

هذا النهر حدا بين أملا كهما ولما أشتد بأسه وقوى سلطانه تقرب إليه ملك
الهربر وزوجه أبنته مارياسار يدفع إليه جزية سنوية ويمده بفرق من
جنوده في الحرب وتنازل عن مدينة كروسيفالذس وهي واقعة في وسط بلاده لتكون
مركزا لحامية العثمانية ثم فتح سلانيك التي تنازل الروم عنها لبندمية بعد حصارها
خمسة عشر يوما ثم استولى على ألبانيا واضطر أمير الأفلاق أن يعترف بسيادة
الدولة عليه ولكنه لم يلبث أن ثار مع أمير الهربر بنا على تحرير ملك
المجر فخاربهما وهزمهما شر هزيمة وهاجم المجر وعاد منها بنحو سبعائة ألف
أسير وعصى أمير الهربر في السنة التالية فغزاه السلطان وفتح من بلاده سمندرية
وحاصر بلغراد فاحتسى أميرها بالبير الذي خلف سجمون على المجر ثم أغار
على ترنسلفانيا وهرمان ستار التابعة للمجر وكان هو نيا د حاكما عليها فخارب
العثمانيين وقهرهم إلى مايلي الدانوب فتخلى السلطان عن سيادة الأفلاق ورد
مدائن الهربر إلى أميرها وعقد في ٢٦ ربيع الثاني سنة ٨٤٨ هـ هدنة عن الحرب
عشر سنين مع المجر وبعد ذلك نزل عن الملك لابنه محمد واعتزل في أيدين
للعبادة فأخل المجر بشروط الهدنة لتقرير الكردينال سيزاديني الذي أفهمهم بأن
عدم رعاية الذمة مع المسلمين لا تعد غدرا ولا ذنبا فرجع السلطان إليهم وقتل
ملكهم المدعولاد سلاس في رجب سنة ٨٤٨ هـ ثم عاد إلى العزلة كما كان فاستخف
الانكشارية بابنه محمد ونهبوا أدرنة فأخذ فتنتهم وسافهم إلى بلاد اليونان
ليشغلهم بحربهم وكانت مملكة الروم وقتئذ منقسمة بين أولاد أمينول فكانت
القسطنطينية لابنه يوحنا ومورا وجزء من تساليا لابنه قسطنطين فلما علم
قسطنطين بعزم السلطان على حروبه حصن بلاده بحصون منيعة فسلط السلطان
عليها مدافعه فأحدثت فيها ثلثة دخلت منها الجيوش فاستولت على مدينة كورنثة
ثم توفي السلطان في الخامس من المحرم سنة ٨٥٥ هـ . وله من العمر تسع

وأربعون سنة ، وكان صاحب خيرات كثيرة وكان يرسل للحرمين الشريفين
في كل سنة ستة آلاف دينار إلى غير ذلك من الخيرات والمبرات وتولى بعده
ابنه محمد الذي تنازل عن الملك اليه

السابع السلطان محمد الفاتح الناني

(٨٥٥ — ٨٨٦ هـ)

تولى الملك بعد أبيه وكان من أعظم الملوك قدرا وأجلهم شهرة وفضلا
وكان لا يخاف الردى ولا يهاب الموت وكان مع هذه الصفات فى غاية الصلاح
والتقوى وكان يحسن العربية والفارسية واللاتينية وغيرها من اللغات ويقرب
أهل العلم ويخدم أولى الفضل والأدب على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ونحلهم
وملهم ويميل إلى الصنائع الجميلة ويفرح بالأعمال الجديدة ولما تمهد له أمر الملك
شرع فى فتح مالم يكن للدولة فى حسان كالقسطنطينية والبوسنة وألبانيا ولكنه
خشى أن تمدها مملكة طرايزون وأقام قلعة على الشاطئ الأوروبى من البوسفور
فعرض عليه ملك الروم الجزية فأبى وحاصر القسطنطينية فى شهر ابريل سنة
١٤٥٣ م بجيش جرار (٢٥٠ ألف جندى) و (١٨٠) سفينة حربية ، (١٤)
بطارية (مجموعة من المدافع) صنعها رجل من المجر يدعى أوربان وكان من
إحدى عجائب الدهر فى صنعها فكانت تقذف متذوفات من الحجر الذى القطعة
منه إثنى عشر قنطارا إلى مسافة ميل وأثناء هذا الحصار استكشف قبر سيدى
أيوب الانصارى رضى الله عنه الذى استشهد فى حصارها سنة ٥٢ هـ فى مدة
معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ثم بنى له مسجدا يتقلد فيه كل سلطان
عثمانى عند ولايته سيف السلطان وما زالت هذه العادة مستمرة إلى الآن فاستنجد
قسطنطين بأوربا فوافته عدة سفن بحرية لم تجد نفعا

ثم طالب منه السلطان تسليم المدينة طوعا فلم يقبل فجهم عليها هجوم الأسد

وكان ذلك في عشرين جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ بنحو (١٥٠) ألف جندي
ودخل المدينة وبقي قسطنطين يدافع حتى قتل وقد حوصرت القسطنطينية مرارا
ولم يحصل على هذا الظفر العظيم سوى هذا السلطان الفاتح الكبير
وكان دخوله إليها ظهرا فأمر بالأذان في كنيسة أيا صوفيا وأن ينادى في
المدينة بعدم المعارضة في إقامة شعائر الدين المسيحي

واتخذ من المسيحيين بطريقا اعتمده رئيسا عليهم وأمر بالاحتفال بتثبيته
في منصبه الجديد تطمينا لحواظهم . ويقال إن من معتقدات الروم أن السلطان
محمد الفاتح لما دخل القسطنطينية ودخل أيا صوفيا كان البطريرك يصلي فشقت
له الحائط فدخل فيها هو والصور المقدسة وأنه باق وسيرجع ويتم صلواته
عند طرد العثمانيين منها ورجوعها إليهم

وبعد ذلك قصد السلطان موره وتعهد أميرها ديمتريوس وتوماس أخو
قسطنطين بدفع الجزية صاغرين فقبل منهما حقنا للدماء وشفقة ورحمة وعاد إلى
الصر ب فصد هو نياذ المجرى مقدمة جيشه عنها إلا أن الصربيين رفضوا مساعدة
المجريين والتجئوا إلى الصلح مع السلطان على دفع جزية سنوية فقبل منهم ذلك
وبعد ذلك حاصر بلغراد وكان فيها هونياذ فدافع عنها دفاعا شديدا اضطر
السلطان لرفع الحصار عنها مؤقتا ولكنه مات بعد ذلك بنحو عشرين يوما فآتم
الصدر الأعظم محمود باشا فتح الصرب ودخلت تحت رعاية الدولة العثمانية

ولما تم فتح مورة وجزائر بحر الروم استولى السلطان على أماستريس
وسينوب وطرا بزون سنة ١٤٦١ م ثم مات فيلاد أمير الأفلاق الذي كان
يلقب بالشیطان وكان قد خالف شروط معاهدة سنة ١٣٩٣ م المبرمة بينه وبين
الدولة أيام السلطان بايزيد فأرسل إليه رسولين يسألانه عن صحة ماشاع عنه
من اتحاده مع ملك المجر فقتلها شر قتلة بوضعهما على خوازيق وأغار على

البلغار وأسر منها خمسة وعشرين ألف أسير فكتب له السلطان أن يخلى سبيلهم فلما أتاه الرسل أمرهم بكشف رؤوسهم تعظيماً له فأبوا فأمر بتسمير عمائمهم على رؤوسهم بمسامير من حديد فاستشاط السلطان غيظاً واشتد غضباً من هذه الأفعال الوحشية الدنيئة التي تأبأها الانسانية وسار في (١٣) ألف مقاتل إلى بخارست لمحاربتة ومعاقبته حتى يذوق العذاب كما فعل بغيره فالتجأ إلى ملك المحر بعد أن قتل من قتل من أسراهم فنأدى السلطان بعزله وتولية أخيه راوولول خلفاله وفي سنة ١٤٦٢ م استولى العثمانيون على برسنه فأراد متياس كرفن ملك المجر استخلاصها منه فهزم ثم ضم برسنه إلى الأملاك السلطانية

ثم قامت الحروب مع البنادقة بسبب رقيق فر إليهم فطلب منهم فامتنعوا من تسليمه بدعوى أنه اعتنق الدين المسيحي وانجالت هذه الحروب عن فتح العثمانيين جزيرة نجر بنت وانتصارهم على البنادقة في أماكن كثيرة ثم شرع السلطان في فتح البغدان سنة ١٤٧٥ م فقهر أميرها اسطفان الرابع الجنود العثمانية في غاية مجهولة مسالكها عليهم ففرح به البابا فلقبه بحامي حامي النصرانية ثم أغار السلطان على بلاد البنادقة ثانياً سنة ١٤٧٧ م فاضطروا لعقد الصلح معه بأنهم يتركون للدولة مدينة اشقودرة وعقدوا بذلك معاهدة في ذى القعدة سنة ٨٨٣ هـ وبعد هذا الصلح سار العثمانيون لفتح المجر فغلبوا بالقرب من كارلسبرج وكان المجريون يمدون الموائد فوق جثث الموتى ويأكلون ويشربون وتحتمهم من يعانى حرارة الموت وفتح أحمد باشا أمير البحر بمراكبة مدينة أوترنت مقدمة لفتح إيطاليا وكان ذلك سنة ١٤٨٠ م ثم توفي السلطان محمد الفاتح في رابع ربيع الأول سنة ٨٨٦ هـ وله من العمر (٥٣) سنة فتح فيها من البلاد ما يستحق به أن يلقب بالفاتح رحمه الله وعفا عنه

الثامن السلطان بايزيد خان الثاني

(٨٨٦ — ٩١٨ هـ)

تولى بعد أبيه سنة ٨٨٦ هـ وكان حسن الأخلاق متواضعا ولما توفي والده
كتم الصدر الأعظم محمد باشا عنه هذا الخبر لئلا يمتدح أخوه جم حاكم القرماني
من الحضور واستلام مقاليد الملك فلما علم الانكشارية ذلك قتلوا الصدر
الأعظم وأرسلوا إليه بالحضور وكان حاكما باماسيا فحضر بغاية السرعة فقابله
الانكشارية وطلبوا منه الانعام عليهم بمال فأجاب طلبهم وأنعم عليهم فصارت
هذه العادة عادة لهم في أولية كل ملك إلى أن أبطلها السلطان عبد الحميد الأول
ومع كون السلطان بايزيد كان غير ميال للحرب فإنه تفضلت عليه الظروف به
لأن أخاه جم استولى على برسه وطلب منه الصلح على أن تكبر له أملاك
الدولة في آسيا فلم يقبل ذلك وحاربه وقهره بالقرب من يكي شهر وكان ذلك سنة
٨٨٦ هـ فلبأ إلى حدود مصر وقضى عامه عند سلطانها قايتباي ثم عاد إلى
حلب واتفق مع أحد أمراء القرماني على أخذ قرنية عاصمة القرماني القديمة
فصدما عنها فاستنجد جم برئيس رهبانية القديس يوحنا بريدوس فقبله متعهداً
للسلطان باستبقائه عنده مدة حكمه بشرط عدم تعرضه للجزيرة ثم أرسلوه بعد
ذلك إلى ملك فرنسا ثم إلى ألمانيا ليجعلوه آلة ضد الدولة ولم يزل طريدا حتى
توفي بمدينة نابلي ودفن في بلدة جايت بايطاليا في ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٠٠ هـ
بالغا من العمر (٣٦) سنة ثم نمتل جثته بعد ذلك إلى بورصة حيث دفن في
قبور آباءه وأجداده واستمر قاسم بك القرماني في إيقاد نار النمن ضد الدولة
إلى أن انضم إليه أمير بلاد ذي القدرية وحارب الجيوش العثمانية حتى كاد
يعظم الفشل بين الامتين التركية والعربية لولا توسط حاكم ترنس في الصلح
بينهما ثم أخذت العلاقات في النحسين بين الدولة وبين روسيا وبولونيا

والبابا اسكندر وملك نابلي ودوق ميلان وجمهورية فرنسا حيث كان كل يسعى للفوز بمخالفة العثمانيين ليستعين بهم على عدوه ولكن قد وقع ذلك وقعا سيئا عند جمهورية البندقية حتى كانت نتيجة استيلاءهم على ثغور مودون وكورون وناروين وبينما السلطان يتجهز لاذافتهم كأس المترن إذ خرج عليه أولاده كركود وأحمد وسليم طمعا في الملك فبايع السلطان سليم لنفسه في أدرنه فأرسل إليه والده من أحضره إليه مقهورا فألح الانكشارية عليه بالعرف عنه لأنهم كانوا يودون ويرغبون أن يكون هو القائم بأمر الملك ولم يلبثوا أن يسألوا السلطان التنازل عن الملك فتنازل له عنه في الثامن من شهر صفر سنة ٩١٨ هـ وقصد ديمرتيقيا ليقتضى بها بقية حياته فتوفي قبل أن يصل إليها وكانت وفاته في العاشر من ربيع الأول سنة ٩١٨ هـ وله من العمر (٦٧) سنة رحمه الله رحمة واسعة .

التاسع السلطان سليم الأول

(٩١٨ — ٩٢٦ هـ)

كان هذا السلطان شديد البأس سفاكا للدماء تولى الملك وله منازع فيه وهو أخوه أحمد الذي كان أكبر منه سنا وغيره من أخوته الذين هم أصغر منه سنا فلم يهدأ له بال حتى قتل جميع منازعيه إلا من فر هاربا وهو أول من ملك مصر من العثمانيين وكان دخر لها في حوزتهم في ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ كما تقدم وكان مولعا بالتاريخ بارعا في اللغات الفارسية والرومية والعربية والتركية وكان مغرما بالاطلاع على جميع الاحوال ولذلك كان يتجسس بالليل والنهار بنفسه مستخفيا وحارب العجم وقهرهم ولما فتح مصر عفا عن بقي من الجراكسة وأبقى لهم أمرهم وأملاكهم ورنب الحكومة ترتيبا يكفل له عدم عصيانه ثم رجع إلى مقر سلطنته وأخذ مقر الخليفة العباسي وبمركته أو تنازله له انتمت

الخلافة العباسية وصار السلطان هو الحاكم السياسي والديني من ذلك الوقت
وصارت مصر تابعة للدولة ترسل اليها الولاية من قبلها
ولاته على مصر

وكان أول ولايتها عايبها هو خاير بك أحد كبراء رجال الدولة وكان من
القواد الذين انضموا إلى العثمانيين من جيش الغورى في واقعة مرج دابق فولاه
السلطان سليم على مصر وأعطاه لقب بك ولكنه لم يتركه في البلاد يتصرف
فيها كما شاء بل إنه جعله يحكم بمقتضى مجلس تحت رآسته وأعضاؤه من أمراء
الجند وترك في مصر لحفظها ١٢٠٠٠ من الجند ستة آلاف من المشاة وستة
آلاف من العرسان وأمره أن يقيم بالقلعة ولا يخرج منها لأى سبب كان
ويبقى بمصر إلى أن توفى سنة ٩٢٨ هـ بعد وفاة السلطان بستين

وكانت مصر منقسمة الى اثني عشر قسما كل قسم يحكمه سنجق من السناجق
وكان الذى يتولى حفظ القاهرة وادارة شؤونها يسمى شيخ البلد وله النفوذ
التمام ويبقى الحال على هذا المنوال إلى سنة ١١٨٣ هـ فى عهد السلطان مصطفى
الثالث فاستبد بمصر على بك الكبير كما سنينه

وفى أثناء اقامة السلطان سليم فى مصر جاء اليه ابن أبى البركات شريف
مكة المكرمة وقدم له بيده مفاتيح الحرمين الشريفين طائعا مختارا وصارت
الخطب تتلى فى المساجد أيام الجمعة باسم السلطان بزيادة خادم الحرمين الشريفين
وكذلك قدم له الطاعة خير الدين أمير بلاد البربر فتم بذلك أمر الخلافة الى
العثمانيين ، ولما عزم الرحيل من مصر زار مساجدها وبرازخها وأسدى النعم
الكثيرة على العلماء ثم بارحها فوصل الى الاستانة فى سابع عشر رجب سنة
٩٢٤ هـ ، بعد ذلك قصد أدرنة وفى أثناء اقامته فيها جاء اليه سفير من اسبانيا
يسأذنه فى زيارة المسيحيين لبيت المقدس ويدفعون للدولة مقدار ما كانوا

يدفعه نه لملوك مصر المماليك أيام أن كانت تابعة لهم فقبل ذلك ، وبينما هو مجد
في الغزو محفوف بالنصر إذ أدركته منيته في التاسع من شوال سنة ٩٢٦ هـ
وله من العمر (٥١) سنة ورجع إلى ربه

كل ابن اثني وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

العاشر السلطان سليمان الأول القانوني

(من سنة ٦٢٩ الى سنة ٩٧٤ هـ)

هذا الملك تولى بعد أبيه وهو من أجل الملوك العثمانيين وقد بلغت الدولة
في زمنه مبلغا عظيما من الرفعة والتقدم حتى هابه الملوك والرعية ، ولما جلس
على سرير الملك كانت با كورة أعماله أنه سن القوانين ووضع النظم الحربية
وعين مريه قاسم باشا مستشارا خاصا له وبلغ الولايات جلوسه على سرير
ملكه بخطابات رسمية استهياها بالآية الكريمة وهي قوله تعالى (إنه من سليمان
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) ولما بلغ خبر توليته الى والى الشام عمده الى
النورة وحرص عايتها والى مصر فأجابه بأنه لا يشترك دعه فيها إلا إذا استولى
على حلب ثم بعث كتابه الى السلطان وكان السلطان قد أرسل اليه جيشا فقهره
فقطعت رأسه وأرسلت الى السلطان وبعث السلطان فى طالب الجزية من ملك
المجر أو ينازله القتال فقتل ملك المجر الرسول فباغ السلطان ذلك فبعث اليه
جيشا ففتح مدينة شابش بالقرب من باجراد

وكان ذلك فى شعبان سنة ٩٢٧ هـ وأجلى عنها المجرىين فى الخامس والعشرين
من شهر رمضان سنة ٩٢٧ هـ ودخلها السلطان وصلى الجمعة بإحدى كنائسها
ثم عاد إلى الإستانة فأبرم معاهدة مع جمهور البنادقة فى شهر محرم سنة ٩٢٨ هـ
وكان لها أهمية عظيمة لأنها أساس الامتيازات القنصلية فى بلاد الدولة العلية
وفتح رودس ولما شرع فى فتحها عرض على رئيس الرهبان الموجد بها أن

يهاجر مع المسيحيين الذين يريدون المهاجرة فأبى ظانا أنه يستطيع المدافعة فارسل السلطان لمحاصرتها فدافع الرهبان عنها بقدر استطاعتهم حتى كانت تساعدهم النساء والصغار بالقاء الأحجار وصب الزيوت الحارة على رؤوس المحاصرين ولم يجد هذا كله نفعا فاضطر رئيسهم (روبييل آدم) إلى تركها وكان ذلك سنة ٩٢٩ هـ وقابل السلطان فاحترمه وأكرمه واجتهد (فرنسو الأول) ملك فرنسا في مخالفة الدولة ليستنجد بها على شارل كان ملك اسبانيا والنمسا (وهولندة) وألمانيا وغيرها وبعث رسولا من قبله في ذلك إلى السلطان فخطى بمقابله في ٦ ديسمبر سنة ١٥٢٥ م وعرض الأمر عليه فوعده بالمساعدة وكتب بذلك كتابا إلى ملك فرنسا ووفاه بوعده الذي وعده به وقد حارب المجر وهزمهم شر هزيمة وقتل ملكهم وأرسل أهل بودا (مدينة قديمة على الضفة تجاه مدينة بست وتبعد عن مدينة ديانة نحو مائتي كيلو متر وهي معتبرة تحت المجر مع انضمامها في العموميات إلى إمبراطورية النمسا ولذلك يلقب إمبراطور النمسا بملك المجر) مفاتيح مدينتهم فدخلها السلطان في ذي الحجة سنة ٩٣٢ هـ ثم عاد منها بعد أن عين عليها ملكا وهو (جان زابولي) ملك ترسلفاينا ثم بعد ذلك سار ملك النمسا لمحاربة زابولي طمعا في ما كانه فاستغاث بالسلطان فأغاثنه وزحف على بودا وكان ملك النمسا قد احتلها ففر منها إلى فينا وسلمت جنوده المدينة بلاقتال ولا نزال وبعد استقرار زابولي وتوطيد ملكه استصحبه السلطان إلى فينا ليفتحها وترك حامية من جنوده في بودا فحاصروهم وهدم جزءا عظيما من أسوارها بمدفعه إلا أن الجنود العثمانية قد اشتد عليها البرد ونفذ زادها فخاف عليها الهلاك فكرر راجعا مارا ببودا وبلجراد ثم عاد لفتحها مرة ثانية سنة ١٥٣١ م ومعه ٢٠٠٠٠٠ مقاتل إلا أنه لم يتمكن من فتحها كذلك لأنه رجع عنها لما بلغه استعداد شارل كان وخاف قرب الشتاء، وبينما هو كذلك إذ أقبلت سفن

رشالكان والبابا لمحاربتة فاحتل أميرها (أندره دوريا) ثغرى كورون وبتراس
في مورِه .

وطالب فرد يناد ملك النمسا الصلح فأبى السلطان إلا المهادنة مؤقتا حتى إذا
سلمت إليه مدينة (جران) جعلت المهادنة صلحا ثم بعد ذلك عقدت معاهدة
الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ م على ألا يرد العثمانيون شيئا مما أخذوه من
المجر وأن ما تنفق النمسا عليه مع المجر لا يعتد به إلا اذا صدق عليه السلطان
وانحاز في عهده شريف بك حان إلى مملكة العجم فبعث إليها جيشا ففتح تبريز
في أول المحرم سنة ٩٤١ هـ وأبقى حامية ووافاه السلطان فخص له مظهر خان
وكثير من أمراء الفرس ثم احتل بغداد بعد فرار حاكمها وعاد بعد ذلك إلى
الإستانة فدخلها في ١٤ رجب سنة ٩٤٢ هـ

وفي شعبان سنة ٩٤٢ هـ أبرمت معاهدة بين الدولة العلية وبين فرنسا بمنح
النزلاء الفرنسيين بعض الامتيازات وهذه المعاهدة هي التي كانت سببا لتدخل
الفرنسيين ودول أوروبا في شؤون الدولة العلية ولا سيما في العهد الأخير وتوسل
أهالي تونس بالسلطان ليخلصهم من مظالم ملوك بني حفص حكاهم فأصدر
أمره لخير الدين باشا بالتوجه إلى تونس في سنة ١٥٣٥ فتوجه إليها فاحتلها وعزل
سلطانها المسمى مولاي حسن آخر سلالة بني حفص وولى مكانه أخاه حسن
الرشيد وبعد عودة خير الدين باشا أنفذه السلطان لغزو البنادقة في ألف سفينة
ففتح جزائر بحر الروم ومنها جزيرة كريد وأراد السلطان الاستيلاء على
إيطاليا فأغار عليها شرقا بينما كان خير الدين باشا يهاجمها جنوبا وملك فرنسا
غربا ولكن لم يتم هذا المشروع لتهدان فرنسا بعد ذلك مع شارلكان وفي سنة
١٥٤٠ م مات زابولى ملك المجر فخاصر النمساويون (بودا) فلما بلغ السلطان
ذلك قصد بنفسه بلاد المجر فبمجرد وصوله رفع النمساويون الحصار عنها واحتلها

الانكشارية ثم دخلها السلطان وجعل المجر ولاية عثمانية وبعد انقضاء الهدنة بين فرنسو وشارلكان استنجد فرنسو بالسلطان سليمان فتردد أولا في قبول ذلك ثم رضى به لإلحاح السفير عليه فزحف بجنوده على المجر من جهة وأنفذ خير الدين باشا بسفنه الحربية إلى مرسييا من جهة أخرى بعد أن غزا في طريقه جزيرة صقلية وسار منها مع السفن الفرنسية إلى ثغر نيس ففتحها في جمادى الأولى سنة ٩٥٠ هـ ثم رفض فرنسو معاهدة العثمانيين له وأبرم مع شارلكان معاهدة كريسي سنة ١٥٤٤ م فعاد خير الدين باشا وأدرسته الوفاة سنة ٩٥٣ هـ وبعد حروب طويلة ومفاوضات شتى بين الدولة والنمسا قد تم الصلح بينهما بشرط أن تدفع النمسا جزية سنوية للدولة العلية وتبقى المجر لابن زابولى بوصاية أمه وتحت رعاية الدولة العثمانية وفي سنة ١٥٣٧ م استغاث بالسلطان سليمان بعض أمراء الهند وطلبوا منه أن ينصرهم على البرتغاليين الذين احتلوا ثغورها فأجابهم وأمر والى مصر بتجهيز الجنود والسفن من السويس لفتح عدن واليمن فجهزت وفتحت عدن ومسقط وأخذت حصون البرتغاليين وأبرمت معاهدة سنة ١٥٥٣ م بين الدولة العلية وبين هنرى الثانى ملك فرنسا ابن فرنسو الأول لغزو قرسقه فسارت سفن الدولتين إليها وفتحها وحصات منازعة بين العمارتين فعادت سفن العثمانيين للاستانة وأرسل السلطان مائتى سفينة حربية لفتح مالطة فاستمر حصارها أربعة أشهر ثم فكوا حصارها

ولايته على مصر

كان الوالى عليها عند تولية خير بك الذى كان واليا من قبل والده السلطان سليم وبقي بعده بسنتين كما تقدم ولما توفى أرسل بدله مصطفى باشا سنة ٩٢٦ هـ وبعد عشرة أشهر استبدله بأحمد باشا الذى خلع طاعته وأعان استقلاله وضرب النقود باسمه وبالغ فى الفسق حتى قتل وأقيم بدله قاسم باشا فمكث تسعة أشهر

وأياما واستبدل براهيم باشا وكان محبا للخير والإصلاح إلا أنه لم يلبث إلا مدة يسيرة واستبدل بسليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ وبقي هذا واليا عليها تسع سنين وأحد عشر شهرا

وفي سنة ٩٤١ هـ طلب الى الاستانة ليكون رئيسا لحملة أعدت لمقابلة بلاد فارس والهند فأناوب عنه مدة تغيبه خسرو باشا فمكث سنة وعشرة أشهر وعاد سليمان باشا ومكث سنة وخمسة أشهر ثم عهدت ولاية مصر الى داود سنة ٩٤٥ هـ فمكث احدى عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي بها سنة ٩٥٦ هـ وكان محبا للعلم والعلماء مغرما بجمع المؤلفات العربية فجمع مكتبة ثمينة وكانت مصر في أيامه على أحسن مايرام ثم تولى بعده على باشا فمكث أربع سنين ونصف وكان مغرما بترميم المباني العتيقة فرمم منها عدة مواضع بمصر ورشيد وفوة وفي سنة ٩٦١ هـ تولى محمد باشا حكم ثلاثة سنين ثم عزل وقتل بعد ذلك بالاستانة سنة ٩٦٣ هـ ، وتولى بعده اسكندر باشا فمكث ثلاث سنين وأربعة أشهر وتولى بعده على باشا الخادم سنة ٩٦٨ هـ فمكث نحو سنة وأربعة أشهر ثم تولى بعده على باشا الصوفي مدة سنتين وثلاثة أشهر وكان متساهلا في الأمور غير ملتفت فكثرت في أيامه الاضطرابات والتعدى والسلب والنهب فاستبدل بمحمود باشا في شوال سنة ٩٧٣ هـ وهو آخر ولاية السلطان على مصر وكان جبارا عنيدا كثير الظلم فكرهه الناس ثم اضطروا لقتله بعد ذلك كما سيأتي .

وفي مدته قد أشد على السلطان مرضه فتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ .

الحادى عشر السلطان سليم الثانى

(٩٧٤ — ٩٨٢ هـ)

ولى الملك بعد أبيه ولكنه لم تكن متوفرة فيه الصفات التى تؤهله لتوسيع نطاق مملكته أو حفظها من التشتت الذى كان يخشى عليها منه فى زمنه لولأن

الله قد قيض لها وزيرا محمد باشا الصقلي الذي اجتهد في عقد معاهدة مع النمسا
أن تدفع الجزية المقررة في المعاهدات السابقة وتعترف بتبعية ترانسلفانيا والافلاق
والبغدان للدولة وأن تبقى الروابط القديمة على حالها وصارت بولونيا تحت
حماية الدولة وزادت الامتيازات القنصلية لفرنسا فأرسلت البعثات الدينية الى
الولايات التي بها مسيحيون لتربية أولادهم ونشأتهم على محبتها وكان ذلك من
أهم أسباب ضعف الدولة بعد ذلك وأبى السلطان أن يوزع الهدايا التي كانت
توزع على الجنود فنشأ من ذلك تمردهم وتحقيرهم لضباطهم وتساهلهم في اتباع
الأوامر وعدم إخلاصهم في الخدمة فاضطر لاجابة مطالبهم حتى استقاموا وأخلصوا
وأخضع بلاد اليمن وأخرج منها البرتغاليين وفتح جزيرة قبرص (وهي جزيرة
صغيرة مهمة بالنسبة لموقعها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام ومصر واحتلالها
ضروري لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته) التي كانت تابعة للبنادقة في
ربيع الأول سنة ٩٧٩ هـ وبقيت تابعة للدولة حتى احتلتها الانجائز سنة ١٨٧٨ م
وغزت البحرية العثمانية جزيرة وزنطه (إحدى جزائر الروم الموجودة غرب اليونان
ولا تبعد عن ساحل مورة إلا بنحو عشرين كيلو متر وهي جيدة الهواء كثيرة
الفواكه) واحتلت مدينتي دلسنيو وأنتباري (هما بلدتان بإقليم الجبل الأسود
والثانية منهما على البحر الأدرياتيكي وأضيفتا إلى إمارة الجبل الأسود بمقتضى
معاهدة برلين الشهيرة) فاتحد البنادقة والاسبانيول وألبانيا على محاربة العثمانيين
بحرا وكان عدد سفنهم ٢٣١ سفينة فقتلها السفن العثمانية التي لم تزد عن ٢٠٠
سفينة بالقرب من ليبانته فدافعت دفاعا عظيما وكان ذلك في ١٧ جمادى الأولى
سنة ٩٧٩ هـ وانجالت الواقعة عن انهزام العثمانيين وقتل منهم نحو عشرين ألف في
مقابلة عشرة آلاف من غيرهم ومع ذلك فان هذه الواقعة الشديدة لم تقعد العثمانيين
وتضعف قوتهم بل انهم جهزوا ٢٥٠ سفينة خشيت جمهورية البنادقة سطوتها

وقوتها فاضطرت للمصلح الذي انتهى بتنازلها عن قبرص ودفعها غرامة حربية في سنة ١٥٧٤م عصى حاكم البغدان فخورب وضرب عنقه ورأى السلطان تمردا من أصحاب تونس بتعويلهم على الاسبانيول فأرسل اليهم سفنه البحرية فلم يغن الاسبانيول عنهم شيئا ودخلت تلك البلاد في سلك الولايات العثمانية كدخول الجزائر وطرابلس

ولايته على مصر

كان الوالي على مصر عند توليته محمود باشا الذي كان واليا من قبل أبيه وقتل لجوره وظلمه سنة ٩٨٥هـ فلما بلغه ذلك ولي سنان باشا فبقي تسعة أشهر وفي شوال سنة ٩٧٦هـ ذهب إلى محاربة بلاد اليمن واستخلف على مصر اسكندر باشا الجر كسى ثم عاد إليها بعد سنتين وأربعة أشهر فوجدها على أحسن حال وأتم مثال وبقي بها إلى ذى الحجة سنة ٩٨٠هـ وخلفه حسين باشا فمكث نحو سنة وتسعة أشهر وكان لين الجانب فكثرت السرقات في أيامه وفي مدة ولايته على مصر كانت وفاة السلطان سليم الثاني وكان ذلك في ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢هـ وله من العمر ٥٢ سنة وكان صالحا دينا كثير الخير إلا أنه لم يكن على جانب عظيم من السياسة كما تقدم

الثاني عشر السلطان مراد خان الثالث

(٩٨٢ - ١٠٢٥هـ)

تولى بعد وفاة أبيه وكان من الصلاح بمكان عظيم ولذلك أول عمل بدأ به أنه أصدر أمره الكريم بمنع شرب الخمر الذي أفرط فيه الجنود فثار عليه الانكشارية فأخضعهم وفي عهده جددت الامتيازات القنصلية والتجارية لفرنسا والبنادقة ونالت ماسكة الانجليز إزا بلا امتياز رفع سفنها العلم البريطاني حيث

كانت كل السفن ترفع في المياه العثمانية العلم الفرنسي بمقتضى المعاهدات التي أبرمت مع السلطان سليمان الثاني وبعد تولىته بسنتين أمر عامله على الجزائر بإعانة أمير فاس على عمه الناظر عليه والبرتغاليين الذين أنوا لنصر عمه فخار بهم وظهر عليهم وانتمى صاحب مراكش للدولة لما عرف فضلها وفي مدته حصلت حروب طريفة مع العجم انتهت بفتح بلاد الشركس وتنازلها عنها وعن أقاليم شروان ولورستان وأذربيجان وتبريز وقام جيش الانكشارية باحداث فتنة فشق ملك بولونيا عصا الطاعة على الدولة وحارب المجر والافلاق جيوشها وردهم أمير الافلاق إلى ما وراء نهر الطونة واستولى على مدينة نيركوبولى فرأى السلطان أن يشغل الانكشارية بمحاربة النمسا عقابا لها على أخذها بناصر الاقوام الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة

ولاته على مصر

لما تولى عزل عن مصر حسين باشا الذى كان واليا عليها من قبل أبيه للين الجانب وعدم القدرة على قمع اللصوص والمفسدين وولى مكانه مسيح باشا الخادم فهابه الناس وعم الأمن لما رأوه من شدته وسهره على الأمن العام وقتله كثيرا من اللصوص ومن آثاره المدرسة المسيحية بباب القرافة ومكث خمس سنين ونصفا وتولى بعده حسن باشا الخادم سنة ٩٨٨ هـ وبقي بها سنتين وعشرة أشهر وهو الذى ألبس فى أيامه اليهود الطرايطير الحمر والمسيحيين البرانيط السود بعد ما كان قد ألبس اليهود العمام الصفرة والمسيحيين العمام الزرق . وخلع سنة ٩٩١ هـ وولى مكانه ابراهيم باشا فاستقال سنة ٩٩٢ هـ فولى سنان باشا الدفتردار فمكث ستة أشهر وأياما وخلفه عويس باشا فمكث خمس سنين وخمسة أشهر ومات فولى أحمد باشا حافظ الخادم فى رمضان سنة ٩٩٩ هـ وكان حميد السيرة صاحب شفقة ورأفة محبا للعلم والعلماء وحكم بمصر أربع سنين وفى مدته كانت

وفاة السلطان مراد خان الثالث رحمه الله في جمادى الأولى سنة ١٠٠٣ هـ وله
من العمر خمسون سنة ودفن تجاه أيا صوفيا

الثالث عشر السلطان محمد خان الثالث

(من سنة ١٠٠٣ إلى سنة ١٠١٢)

لما تولى ترك شؤون الدولة لوزرائه فطمع فيها الطامعون وقام أمير الأفلاق
وفتح عدة حصون وقلاع وهزمت جيوشه الجيوش العثمانية واستولى النمساويون
على قلعة استرغون فعظمت الخطوب على الدولة فهب السلطان من نومته وتيقظ
من غفلته وقبض على مقاليد الأمور بيده وخرج بنفسه الشريفة يحارب أعداءه
ففتح قلعة (أرلو) التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في مدته وفرق جند المجر
والنمسا ولم يستقر لهم قرار بل ولوا الأدبار ولجئوا إلى الفرار وكان ذلك في
٢٦ أكتوبر سنة ١٥٢٦ م

وفي سنة ١٦٠٠ م فتح العثمانيون قلعة (كانيشا) الحصينة بالنمسا وهزموا
جنود الأفلاق شر هزيمة

وفي سنة ١٦٠٤ م نقض الشاه عباس عهده واسترد الولايات التي كان قد
اعترف للدولة بها وحدثت فتنة في الأناضول سببها أن إحدى الفرق المرتزة
كانت قد ولت الأدبار في الواقعة التي حضرها السلطان بنفسه فنفيت إلى آسيا
وسميت (فرارى) تحقيراً لها فادعى رئيسها قره (يازجى) أن النبي عليه الصلاة
والسلام وعده في عالم الرؤيا بأخذ آسيا من العثمانيين وبذلك استمال البسطاء
وتبعه جنده ومن على شاكلته فهم محاربا فدخل عنتاب ولم يلبث أن قبض عليه
وعين بعد ذلك واليا لآماسيا عسى أن يشغله ذلك عن العصيان فحدد هذه
النعمة وأوقد نار الفتنة ثانيا هو وأخوه (والى حسن) الذي كان واليا على
بغداد فهاجمته الجنود العثمانية وأذاقتهم كأس العذاب فقتل (قره يازجى)

ولكنها لم تتمكن من والى حسن بل انه خاطر بنفسه ودافع مدافعة الأبطال حتى قتل قائد الجيوش على سوار طوقات وهزم ولاية ديار بكر ودمشق وحلب فرأت الدولة أن تصالحه وتكتفى شره وتنتفع بشجاعته فجعلته واليا على ولاية بوسنة فرضى بذلك وتحول اليها وحارب الافرنج هو وقومه حتى أبادهم

ولاته على مصر

لما جلس على سرير ملكه عزل حافظ باشا الخادم الذى كان واليا عليها من قبل أبيه واستبدله بقودر باشا فكث سنة واستبدله بالسيد محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ فاعتنى بالجامع الأزهر فرمم مبانيه وجعل فيه لفقراء الطلبة عدسا مطبوخا يوميا ووجد أيضا المشهد الحسينى وفى مدته حصلت ثورة عسكرية قتل فيها كثير وفى ١٧ ذى الحجة سنة ١٠٠٧ هـ تولى ولاية مصر محمد باشا خضر فكث ثلاث سنين واستبدل بالوزير على باشا السلحدار وفى مدته حصل بمصر قحط شديد وكثرت الوفيات وعم الخراب فازداد الرعب حتى أمر بدفن الأموات سرا ليقل الفزع والجزع وترك القاهرة واستخلف عليها بيرم بك فتوفى فانتخب الناس الأمير عثمان بك فبقي إلى أن توفى السلطان رحمه الله فى ١٢ رجب سنة ١٠١٢ هـ وله من العمر سبع وثلاثون سنة .

الرابع عشر السلطان أحمد خان الأول

(١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ)

ولى الملك بعد وفاة أبيه وهو صغير فى الرابعة عشر وكان شجاعا مهيبا إلا أنه ولى الملك وكان واهى الأركان ضعيف البنيان فطمع فيه الطامعون شرقا وغربا ولولا أن الله بمنه وكرمه قد قبض له الوزير الجليل مراد باشا قريوجى فأهدأ الثورات وأطفأ نار الفتن وقطع أمل الطامعين وأتم حرب النمسا وفتح قلعة استرغون التى كانوا قد استردوها ثم نزلت إمارات الأردن والأفلاق

والبغدان على حكمه ففأخذه النمسا في عقد الصلح فتم في قرية سيتافوروك سنة ١٦٠٦ م وازدادت به الدولة بلادا ثم أرسل السلطان جيشا لمحاربة العجم فدارت الدائرة عليه فعقد صلح بين الفريقين على أن ترد الدولة العلية لشاه العجم ثلاث ولايات وتأخذ عنها خراجا سنويا ثم نقض الشاه عهده فحورب وهزم .

ولائه على مصر

لما ولى ولى على مصر ابراهيم باشا فلم يمكث إلا أربعة أشهر وثار عليه الجند فقتلوه فتولى مكانه مصطفى أفندي عزمى زاده فمكث شهرين وأياما واستبدل بالوزير محمد باشا الكرجى الملقب بالخادم وعند وصوله وردت الأوامر بالقبض على الثائرين فتم قبض على نحو مائتين من زعماء العقبة وقتلهم وبعد سبعة أشهر استبدل بالوزير حسن باشا الدفتردار فمكث سنة ونصفا ثم عزل وأعقبه الوزير محمد باشا في شهر صفر سنة ١٠١٦ هـ وشرع في السنة الثانية من حكمه في إبطال الضرائب غير العادية التي كانت على القطر فعارضه الجند في ذلك وأكثروا العدوان فجمع الصناجق وسار لردع الثائرين فطلبوا الأمان فأمنهم بشرط أن يسلموا له الرؤساء فقبلوا وسلموهم له فقتلوا وهدأ الوقت وعم الأمن فأخذ في تنظيم البلاد وخفض المكوس والضرائب واجتهد في إحياء الموات من الأرض ولذلك لما رجع إلى الإستانة نال ما لم ينله أحد قبله من الولاية من حسن الرعاية وعظيم العناية ثم خلفه محمد باشا الصوفي فمكث نحو ثلاث سنين ونصف وولى احمد باشا الدفتردار ومكث نحو ثلاث سنين ثم توفي السلطان رحمه الله في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ وهو وال .

الخامس عشر السلطان مصطفى خان الأول

(١٠٢٦ - ١٠٢٧ هـ)

ولى الملك بعد أخيه بورصية منه فى أواخر ذى القعدة سنة ١٠٢٦ هـ وكان زاهدا كثير العبادة غير ملتفت لأمر الملك لقضائه جميع أيامه بالحرم السلطاني وحبسه به قبل توليته فكان لا يعرف من أمره شيئا وفى مدة حكمه كادت تشب نار الحرب بين الدولة وفرنسا وسبب ذلك أن كاتب السفارة الفرنسية ساعد أحد أشرف بولونيا المسجونين بالإستانة على الفرار فسجن هو والمترجم والسفير وقامت فتن كثيرة وبعد ثلاثة أشهر من ولايته خلع باتفاق المفتى وأغا السراى والأنكشارية وكان خلعه فى غرة ربيع الأول سنة ١٠٢٧ هـ. وتولى بعده ابن أخيه وكان قد استبدل بمصر أحمد باشا بمصطفى باشا السلحدار فى ١٣ صفر سنة ١٠٢٧ هـ.

السادس عشر السلطان عثمان خان الثانى

(١٠٢٧ - ١٠٣١ هـ)

ولى الملك بعد عمه فى أول ربيع الأول سنة ١٠٢٧ هـ وهو ابن أحمد الأول وكان خيرا بضر وب السياسة جديرا بالملك ولذلك لما جلس على سرير ملكه أمر بإطلاق سفير دولة فرنسا وكانبه والمترجم له حسما للفتن والنزاع ومجاملة للملوك وحارب العجم وهزمهم فى أول مرة واسترد منهم الولايات التى كانوا قد انتزعوها من الدولة ثم أعاد ملك الأردن على محاربة النمسا وتداخلت بولونيا فى شؤون البغدان فاعتبر السلطان هذا التدخل من أهم الأسباب لمحاربتها لجعلها فاصلا بين أملاكه وبين أملاك روسيا فهاجمها العثمانيون ولكن طلب الانكشارية الكف عن القتال بينما كان اليولونيون قد طلبوا الصلح فعقدت شروطه فى أكتوبر سنة ١٦٢٠ م وأراد السلطان الانتقام من الانكشارية

لإحجامهم عن الحرب فعملوا بذلك فعمصوه وعزلوه ثم قتلوه في ٩ رجب سنة
١٠٣١ هـ وله من العمر (١٨) سنة وأرخ وفاته ببعض الأدباء بقوله :

مات سلطان البرايا فهو في الأخرى سعيد

قال لي الهاتف أرخ إن عثمان شهيد

وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول وصارت الدولة بأيديهم يولون من
من أرادوا ويعزلون من شاءوا وكانت نتيجة ذلك إثارة الفتن ضد الدولة
وضعفها ففي أثناء حصول تلك الحوادث ووصولها إلى الولاية استقلت طراباس
(وأرضروم) وسيواس وبقية الدولة في اضطراب (١٨) شهرا ولم تهدأ
نار الفتنة إلا بتعيين علي باشا صدرا أعظم الذي أشار بعزل السلطان مصطفى
الأول فعزل في ١٥ ذى القعدة سنة ١٠٣٣ هـ وبقي معزولا إلى أن توفي سنة
١٠٤٩ هـ وبعزله ولي مكانه السلطان مراد خان الرابع .

ولاية السلطان عثمان خان الثاني على مصر

وبيان من وليها مدة السلطان مصطفى بن محمد النانية

لما ولي الملك قد بلغه الاضطراب الحاصل بمصر بسبب مصطفى باشا واليها
فعرله وولى عليها جعفر باشا فاشتد في زمنه الوباء ومات بسببه كثير من الناس
ثم عزل جعفر باشا بعد أن حكم نحو نصف سنة وولى مكانه مصطفى باشا في رمضان
سنة ١٠٢٨ هـ وعزل في رمضان سنة ١٠٢٩ هـ ثم ولي مكانه حسين باشا وفي
مدته فاض النيل حتى كاد يغرق البلاد ويهلك العباد ثم عزل حسين باشا بعد أن
حكم سنة وسبعة أشهر وولى بعده محمد باشا البستاني واستدعى بعد ذلك حسين
باشا الى الاستانة وقبل وصوله اليها كان قد تم خلع السلطان عثمان خان الثاني
ورجع الملك الى السلطان مصطفى الأول كما سبق وكان السلطان عثمان قد أرسل
الى مصر قبل خراجه محمد باشا البستاني فلم يبق إلا شهرين وخمسة عشر يوما ثم

عزل وولى مكانه ابراهيم باشا السلحدار وبقى سنة ثم عزل وسافر الى الاستانة
بحرا بخلاف العادة التي كانت متبعة من سفر الولاة المعزولين برا وولى بدله
مصطفى باشا واستلم مهام الأعمال في ٢٢ رمضان سنة ١٠٣٢ وفي مدته كان خلع
السلطان مصطفى الأول

السابع عشر السلطان مراد خان الرابع

(١٠٣٢ — ١٠٤٩ هـ)

ولى الملك رابع عشر ذى القعدة سنة ١٠٣٢ هـ وكان شجاعا مقداما ثابت
الجأش قوى الساعد مع حداثة سنة، فقام بتدبير الملك أحسن قيام ووقع المتمردین
من الطغاة والعساكر الذين كانوا يثرون الفتنة ووقع ثورة أباطة باشا وأعاد له
ولايته بعد خضوعه ثم حارب العجم وهزمهم وفتح مدينة اريوان ثم حاصر
بغداد بعد ذلك حصارا طويلا ولكن الانكشارية تدمروا من طول الحصار
فاضطره ذلك الى فك الحصار عنها ورجوعه للموصل وديار بكر وفي زمنه توفى
شاه العجم عباس وخلفه ابنه الملقب (مرزا شاه الفتى) فعاد أمه في العجم فحاصر
الصدر الأعظم خسرو باشا بغداد ثانيا إلا أن الجنود لم تتمثل لأوامره فتقهقر
الى حلب ثم عزل إثر ذلك خسرو باشا من الصدارة فأفهم الجند أن ذلك ناتج
عن مدافعتهم عنهم فثار الجند وطلبوا من السلطان عودته فلم يحفل بهم وأوعز
بقتل خسرو باشا وتمتل وعين بدله في الصدارة بيرم محمد باشا فاستقامت الأمور
وهدأت الفتنة ثم سار السلطان بنفسه إلى العجم ليسترجع كل ما كان قد فتحه
السلطان سليمان الأول ففتح كثيرا من بلادهم ثم عاد الى الاستانة فبلغه عصيانهم
وتغلبهم على الجيوش العثمانية فسار اليهم ثانيا بجيش عرمرم فحاصر بغداد في
الناهن من رجب سنة ١٠٤٨ هـ وكان رحمه الله يشتغل بنفسه الشريفة في أعمال الحصار
مع الجنود تنشيطا لهم ولم يزل مجادا في فتحها حتى فتحها بعد حرب عوان استمرت

نحو (٤٨) ساعة وحينئذ التجأ الشاه لطلب الصالح واستمرت المفاوضات عشرة أشهر على أن ترد إريوان للفرس وتكون بغداد للدولة وتم ذلك في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٠٤٩ هـ ثم توفي السلطان مراد الرابع ولم يعقب وكانت وفاته في ١٩ شوال سنة ١٠٤٩ هـ ولم يتجاوز من العمر (٣١) ربيعاً وله ما أثر كثيرة منها أنه جدد باب الكعبة الشريفة وأمر بفرش الحرم الشريف بالحصر ومنع شرب الدخان وأبطل محال القهوة في جميع ممالكه وولاته على مصر

لما ولي أمر الملك عزل مصطفى باشا الذي كان والياً عليها بعد أن وليها ثلاثة أشهر وذلك في ١٥ ذى الحجة سنة ١٠٤٩ هـ ، وولى مكانه على باشا إلا أن الجند عارضوا في ذلك لعدم إعطائهم ما كان يدفع لهم من العطاء عند تولية كل وال جديد فقهره على الرجوع إلى الإستانة فاضطرت الدولة إلى إرسال مندوب عثمانى لمصر فحضر والبس مصطفى باشا الذي كان قد عزل الخليفة المرسل إليه من السلطان وتلا عليهم (الفرمان) الوارد من السلطنة بتعيينه في منصبه فرضي الجميع بذلك وهدأ الوقت وزالت الاضطرابات وبقي الأمر على ذلك حتى جاء ربيع الأول سنة ١٠٣٥ هـ فظهر في مصر وباء شديد قد عم جميع أنحاءها في مدة وجيزة حتى كان شعبان من تلك السنة فأخذ يتناقص حتى تلاشى في شهر رمضان منها وصار مصطفى باشا يأخذ مال من توفي بهذا الوباء فكثرت الشكايات وبلغ ذلك الخبر السلطان فغضب عليه وعزله وولى بيرم باشا وأمره أن يكلف مصطفى باشا بأن يدفع للناس ما أخذه ويرسله إلى الإستانة ليلاقي جزاء ما كسبت يدها فلما حضر بلغه ذلك فباع كل ما يملك ودفع للناس ما أخذه منهم وقدم إلى الإستانة سنة ١٠٣٧ هـ فحكم عليه بالإعدام فذهب ضحية طمعه وظلمه ولم ينفعه

شيء مما أخذه وكان مافعل به عبرة للظالمين ، وبقى بيرم باشا بمصر مدة أظهر فيها من العدل والكفاءة ماخلد له جميل الذكر وبعد ذلك رجع إلى الإستانة وعين في الوزارة المرة الثالثة وولى بدله محمد باشا وكان عادلا حازم الرأي محبا للعزلة والاعتكاف بقي بمصر نحو سنتين كان فيهما مثال العدل والشهامة وفي أثناءها أرسل فرقة من رجاله إلى اليمن لإخضاع القبائل المتمردة بأمر السلطان ورمم الكعبة وحفظها مما أصابها من تيار الماء الذي مر بمكة في شعبان سنة ١٠٣٩ هـ ثم استدعى في سنة ١٠٤٠ إلى الإستانة ودخل في الوزارة السلطانية مكافأة له على عدله وإخلاصه وولى الوزير مرسى باشا فساءت سيرته وكثرت مظالمه وأمتدت أطاعه لما في أيدي الناس فعزل وولى خليل باشا فحضر في ربيع الأول سنة ١٠٤١ هـ وبعد مدة يسيرة بلغه أن عصاة من اللصوص نهبت مكة تحت رياسة أحد الأشراف فأرسل إليهم الأمير قاسم بك بجيش من قبله فقهرهم ورجع سنة ١٠٤٢ هـ ثم استقال في السنة المذكورة خليل باشا قولى الوزير أحمد باشا الكرجى وكلفته الدولة بإرسال (٤٠٠٠) جندي لمساعدة العثمانيين على دروز لبنان مع (٥٠٠٠) قنطار من الخبز ومثلها من البارود ثم طلب منه أيضا نحو ذلك للمساعدة في حرب الفرس فاعتذر إلى السلطان بأن مصر لا يمكنها القيام بذلك فأرسل إليه (١٢٠٠٠) قنطار من النحاس لجعلها نقودا ويرسل بدلها ثلاثمائة ألف محبوب فأجهد نفسه في صنع ذلك واكتنه عجز عن إنجازه في المدة المعينة فاستقر رأى النواب والقضاء أن يوزع هذا النحاس على الأهالى حسب حالتهم ويؤخذ بنسبته نقود فكان ذلك حملا ثقيلًا عليهم وبعد قليل استدعى إلى الإستانة فسار إليها وولى بعده الوزير حسين باشا فهكث نحو سنتين وكان شديدا سفاكا للدماء فقتل كثيرا من الناس وبعد ذلك عزله وتولى محمد باشا ابن بنت السلطان سليم الثانى ولم يكن ينقص عن سلفه

شيئا في الظلم والعسف والجبروت بل زاد عنه في أنه أختلس أموالا كثيرة من التبركات والتهم الأموال التي كانت توزع صدقات على الأراامل والأيتام وفي مدته توفي السلطان مراد خان الرابع .

الثامن عشر السلطان ابراهيم خان الأول

(١٠٤٩ — ١٠٥٨ هـ)

ولى الملك بعد وفاة السلطان مراد خان الرابع سنة ١٠٤٩ هـ وهو ابن السلطان أحمد الأول فكان ملكا مهيبا حسن المنظر والمخبر كريما ميمون الطالع في جميع مغازيه فهابته الملوك وانحسمت القمن وأهم ما حصل في زمنه أنه فتح جزيرة كريد وكانت للبنادقة سنة ١٦٤٥ م وظهرت أساطيله على أساطيل البنادقه وعصت الجنود بالاستتانه وسبب ذلك أن السلطان أراد الفتك بالانكشارية ليلة زفاف ابنته على ابن الصدر الأعظم لتدخالهم في شؤون المملكة فاتفقوا على عزله وتولية ابنه محمد الرابع وتم لهم ذلك في ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ وقامت الجنود الفرسان تطلب إعادة السلطان بخاف رؤساء الحزب الذين عزلوه أن يتم له الأمر فينتقم منهم فأسرعوا بخنقه وله من العمر ٣٤ سنة .

ولاته على مصر

لما ولى استبدل محمد باشا الذي كان واليا على مصر بمصطفى باشا البستاني فأخذ له كاتباً يدعى أحمد أفندي وفوض إليه الأمور وكان ظالماً فاستبد فاضطربت الأحوال حتى أُلجأت مصطفى باشا إلى الاستقالة وخلفه مقصود باشا وفي مدته حصل وباء شديد سنة ١٠٥٢ هـ وكان مبدأ ظهوره ببولاقي ثم انتقل إلى القاهرة ثم سرى في جميع أنحاء القطر واستمر إلى أواخر صفر سنة ١٠٥٣ هـ وكثرت الاضطرابات بمصر ولم تنته إلا بعزله فعزل في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة وولى شعبان بك الدفتدار مؤقتاً حتى يحضر الوالي الجديد من الاستانه

فولى أيوب باشا وحضر وكان حازم الرأي مجبا للعدل ناشرا لواء الأمر .
فاستقامت الأمور في أيامه وبقى الحال على هذا المنوال نحو سنتين ثم استقال
وولى الوزير محمد باشا ولم يكن مثل سلفه فعادت الاضطرابات لما كانت عليه
أولا وفي مدته توفى السلطان ابراهيم خان الأول .

التاسع عشر السلطان محمد خان الرابع

(١٠٥٨ - ١٠٩٩ هـ)

ولى الملك يوم خلع أبيه في ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ وهو حديث السن
لم يتجاوز السابعة من عمره ولذلك قد عاد الاضطراب وزاد الفشل حتى اضطر
حسين باشا لرفع الحصار عن قنڊيا وانهزمت السفن الحربية العثمانية أمام مدينة
قوسيا القريبة من أزمير وثار بأسية الصغرى (قاطرجى أو على) و (كورجى بنى)
وزحفا بأشباعهما على الاستانة وتغلبت مراكب البنادقه على سفن الدولة عند
مضيق الدردنيل واحتلت تندوس ولمنوس واعترضت السفن الحاملة للهدايا كولات
برسم الاستانة حتى غلت فيها أصناف الأغذية ووظات هـ كذا حتى تولى الصدارة
سنة ١٠٦٧ هـ الوزير محمد باشا كوبرلى فانه أرغم أنوف الانكشارية وشنق
بطيريك الأروام لتداخله في الفتنة واسترد من البنادق ما احتلوه من الثغور
والجزائر وكانت الحرب قائمة بين السويد وبولونيا فطلبت الأولى من الدولة
مساعدها على الثانية في مقابلة الاعتراف بحمايتها عليها فامتنتع إلا أن أمير
ترنسلفانيا أجاب طلب السويد مع أمير الأفلاق والبغدان فعزلته الدولة فتمرد
فسافت إليه الجنود وطردته وعينت آخر مكانه وما تم لها ذلك حتى ثار أمير
الأفلاق واضطهد المسلمين فقهره الوزير محمد باشا وعزله وعين أمير البغدان
مكانه ثم احتل والى بودا العثمانى مدينة (جروس و اردن) النمسية فاعتبرت

النمسا هذا الحادث إعلانا للحرب عليها أما فرنسا فضعفت نفوذها حيث طرد
اليسوعيون من الأستانة بمساعدة إنجلترا وهولندا والبروتستانتين واستأثر اليونان
بخدمة بيت المقدس بعد أن كانت للكاثوليك وسببه اشتغال فرنسا بمحاربة النمسا
ومساعدتها البنادقة سرا على الدفاع عن كريدو في سنة ١٠٨٢ هـ توفي الوزير محمد باشا
نخلفه ابنه أحمد فتنبع خطوات أبيه في إعادة مجد الدولة حيث أخذ بنفسه قلعة (نوهزل)
النمسية وكانت منيعة واهتزت أوروبا لهذا الخبر والتمس ملك النمسا بواسطة
الابا اسكندر السابع مساعدة ملك فرنسا فساعده بستة آلاف انضم اليهم
ثلاثون ألفا من الألمانين فانتصر الوزير كوبريلي عليهم في ٨ محرم سنة ١٠٧٥ هـ
إلا أنه لم يتقدم إلى الأمام وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار وبعدها
بأيام أبرمت معاهدة تجعل ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العلية وتقسم المجر
بحيث يكون للنمسا ثلاث ولايات منها وللدولة أربع مع بقاء الحصون المفتوحة
في قبضتها وفي أثناء ذلك حاولت فرنسا إعادة الصلات الودادية بينها وبين الدولة
فلم تفلح حيث رفض الصدر تجديد امتيازات فرنسا ومرور بضائعها برسم الهند
من مصر ومنح جمهورية جنوة امتيازات كإنجلترا ولهذا ساعد الفرنسيون قنديا
حتى فتحها الصدر الأعظم بنفسه في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٠٨٠ هـ بعد أن
استمر الحصار والقتال عامين وأمضى مع البندقية معاهدة تعترف فيها بامتلاك
الدولة للجزيرة ماعدا قرى سودا وقرى بوزا وسبيننا لونيجا

وفي سنة ١٦٧٠ م أرسل ملك فرنسا سفيرا آخر لاعادة الصلات يعززه
أسطول قصد به أرهاب الدولة فرجع من مهمته كما عاد الأول وأراد لويس
الرابع عشر لذلك محاربتها ولكن وزيره كوليرا استعمل دهاءه في تسكينه وتوصل
باللطف واللين إلى تجديد المعاهدات القديمة ومنها حق حماية بيت المقدس
وفي رمضان سنة ١٠٨٧ هـ توفي الصدر الأعظم كوبريلي أحمد نخلفه قره

مصطفى زوج أخته الذي حاصر فينا سنة ١٨٦٣ م واستولى على قلاعها الأمامية
ودك أسوارها وكان البابا قد استنجد بملوك النصرانية فلما كاد يتم الفتح جاء
سويسكي ملك بولونيا وغيره فهاجموا على العثمانيين في ٢٠ رمضان سنة ١٠٩٤ هـ
وهزموهم فبعث السلطان بمن أتى برأس قره مصطفى وبعد هذه الواقعة تحالفت
النمسا وبولونيا والبندقية وورهبانية مالطة والبابا والروسيا على محاربة الدولة
محاربة دينية ولذا سموا هذا التحالف بالمقدس فزحفت جيوش سويسكي على
البغدان وسارت أساطيل البنادقة والبابا والرهبنة إلى سواحل اليونان فاحتل
البنادقة موانئها حتى كورنثه وأتينا وأخذ النمسيون مدينة بست وحاصروا
بودا وكادوا يأخذونها لولا مدافعة حاميتها ثم احتلوا نوهزل وغيرها ولما
تعاقب الفشل عزل الصدر الأعظم ابراهيم باشا وعين مكانه السر عسكر سليمان
الذي بادر بامداد حامية بودا التي يحاصرها تسعون ألف نمسوي ولكن الدوق
دى لورين قائد هذا الجيش دخلها عنوة في ١٣ شوال سنة ١٠٩٧ هـ وقتل
حاكمها عبده باشا وكان بهذا الاستيلاء ضياعها حتى الآن . وفي ٣ شوال سنة
١٠٩٨ هـ التقى الصدر وجيشه المؤلف من ٦٠ ألف مقاتل و ٧٠ مدفعا بجنود
الأعداء فانهزم وغنم هؤلاء ما كان معه من أسلحة وذخائر ولما وصلت أنباء
هذا الفشل إلى الاستانة هاج الناس والعساكر وطلبوا من السلطان أن يقتل
الصدر الأعظم فقتله إلا أنهم لم تخمد فتنتهم إلا بعزله وتم لهم ذلك في ٢ محرم
سنة ١٠٩٩ هـ وتوفي سنة ١١٠٤ هـ بالغاً من العمر (٥٣) عاماً

ولاته على مصر

في أول سلطته عزل محمد باشا بعد أن حكم سنتين ونصفاً كان مثال الفشل
والفوضى وولى مكانه أحمد باشا وبقي سنتين لم يستطع فيهما تسكين
الاضطرابات والقلقل فاضطر السلطان إلى عزله وولى الوزير عبد الرحمن

باشا وبقي بها إلى غرة شوال سنة ١٠٦٢ هـ ثم عزل وولى الوزير محمد باشا
فخضر في ٨ محرم سنة ١٠٦٣ هـ وهـ كذا صاروا يتولون في زمنه الواحد بعد
الآخر حتى انتهت مدته ولم يعد هذا التغيير الكثير والعزل المتراالى على مصر
بشيء من الفوائد فضلا عن الضرر فان الوالى من هؤلاء الولاة ما كان يجعل
نصب عينيه إلا أن يحصل شيئا لنفسه قبل عزله وكانت هذه حالة غير مرضية
وربما كانت أعظم أسباب الاضطرابات والفتنة .

العشرون السلطان سليمان خان النانى

(١٠٩٩ — ١١٠٢ هـ)

تولى بعد عزل أخيه فى شهر المحرم سنة ١٠٩٩ هـ فقام بأعباء السلطنة حق
القيام حتى رفع لها بعد الانحطاط رايات وأعلاما وسكنت الأحوال وهدأت
الفتن وانتظم نظام العساكر الانكشارية ثم استرد من النمسا وبين جميع البلاد
التي كانوا قد أخذوها مثل مدائن نيش وودين وسمندرية وبلغراد وقذف بهم
إلى الضفة الأخرى من الطونه وهزم جيش النمسا من بلاد الأردن وانتصر
عامله سليم كراى خان على الروس وثار الصرب الذين كانوا قد حاولوا فتح
بلادهم وعاد المجد والسؤدد للدولة العلية وباتت بلادها آمنة مطمئنة تهابها الأعداء
ثم توفى رحمه الله فى ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ هـ بالغا من العمر (٥٠) سنة
ولم يعقب .

ولاته على مصر

لما جلس على سرير ملكه ولى على مصر حسن باشا السلحدار وفى أواخر
سنة ١٠٩٩ هـ حصل بمصر بين إبراهيم بك بن ذى الفقار وبين عرب الحجاز
حروب خلف جبل الجيوشى قتل فيها كثير من العرب فوقفوا بذلك فى طريق
الحج فى تلك السنة وقتلوا كثير من الحجاج وقتلوا خليل كتنخدا أمير الحج

فأرسل إليه خمسة سناجق بعسكرهم فلما وصلوا إلى العقبة ولى العرب الأديبار
ثم عزل حسن باشا وتولى غيطاس بك ثم أحمد باشا وفي ٢١ جمادى الآخرة
سنة ١١٠٢ هـ مات ودفن بالقاهرة بعد أن ولى سنة ونصفا ومن مآثره ترميم
جامع المؤيد بعد أن كان قد آل إلى السقوط ثم أذن السلطان بولاية علي
كتبخدا باشا مرة فتصرف ثلاثة أشهر حتى تولى علي مصر علي باشا وحضر
في ١٢ رمضان سنة ١١٠٢ هـ وفي ٢٦ منه توفي السلطان سليمان خان الثاني
كما سبق .

الحادي والعشرون السلطان أحمد خان الثاني

(١١٠٢ — ١١٠٦ هـ)

ولى بعد أخيه سنة ١١٠٢ هـ فاستعاد حرب النمسا فكانت الحرب بينهما
سجالا وحاول البنادقة استرجاع كريد فلم يستطيعوا وغنمت الدولة منهم ثغر
قرايوسة ومات في زمنه الصدر الأعظم (مصطفى باشا بن كوبريلي) أثناء قتال
النمسا فكان موته خسارة على الدولة لعدم كفاءة من تولى بعده (عربة جي باشا)
فتقوى البنادقة واستنجدوا بأساطيل البابا وبأهالي مالطة واحتلوا جزيرة صافز
وأهم ما حصل بمصر في وقته أنه في سنة ١١٠٦ هـ لم يف النيل وهبط بسرعة فلم
يرو كثيرا من الأراضى فاشتد الغلاء وكثر الفناء ولم يغير علي باشا واليها
ثم توفي السلطان رحمه الله في الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة ١١٠٦ هـ
وكانت أعماله مرضية .

الثاني والعشرون السلطان مصطفى خان الثاني

(١١٠٦ — ١١١٥ هـ)

هو ابن السلطان محمد الرابع جلس على سرير الملك بعد وفاة سابقه سنة
١١٠٦ هـ وكان رحمه الله حازم الرأي شديد البأس فهابته الأعداء وخضعت

له الجبايرة وبعد جلوسه على سرير ملكه بثلاثة أيام جند الجنود وخرج بنفسه محاربا بولونيا فهزمها وانتصر عليها عدة مرات ثم حارب الروس واضطروهم لرفع الحصار عن مدينة (آزاق) (من بلاد القرم على البحر الأسود) ثم أخذها بعد ذلك بطرس الأكبر وهو الذي أسس مدينة (بطرسبرج) وجعلها عاصمة الروس واسترد السلطان جزيرة صافز من البنادقة وهزمهم شر هزيمة وانتهت الحرب بين الدولة العلية والنمسا والروسيا وبولونيا والبنادقة بمعاهدة (كارلوفتش) في ٢٢ رجب ١١١٠ هـ والموافق ٢٦ يناير ١٦٩٩ م . فتخلت الدولة بمقتضى هذه المعاهدة عن المجر وترنسلفانيا للنمسا وآزاق للروسيا وبودوليا وأوكردين لبولونيا والمورة وأقليم دلماسيا للبنديقية ومن هذا الوقت ظهرت سياسة المتعصب ضد الدولة لاقتسام أملا كما ثم استقال الصدر الأعظم في شهر ربيع الأول سنة ١١١٤ هـ فعين مكانه دال طيان مصطفى باشا فلم ترق في نظره معاهدة كارلوفتش وكان شجاعا ميالا للحرب فأراد نقض هذه المعاهدة فلم يرض السلطان فاستقال فأقاله في شهر رمضان من تلك السنة وعين بدلا عنه في الصدارة (راحى محمد باشا) فاقتفى أثر كوبريلي حسين في التنظيم والتنسيق وبينما هم كذلك إذ ثارت الانكشارية وطلبوا عزل السلطان فبعث فرقة من الجنود لارجاعهم عن غيهم فانضمت اليهم وانتهى الأمر بعزله في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ وتوفي في الناني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وله من العمر أربعون سنة

ولاته على مصر

عزل على باشا الذي كان واليا عليها وورد الأمر بذلك في ١٨ محرم سنة ١١٠٨ هـ بعد أن حكم بها أربع سنين وثلاثة أشهر وولى اسماعيل باشا وفي مدته كثير الفناء حتى عجز الناس عن حمل كثير من الأموات فما كانت تخلو

طريق منهم حتى اضطر الناس لوضع الثلاثة والأربعة في نعش واحد ووفق
الله هذا الوالى كغيره من أهل الخير لتكفين ألوف من المرتى وكثر الغلاء
واشتد البلاء وبقي الأمر كذلك نحو تسعة أشهر ثم زال الشر وارتفع الضر .
وفى ٢١ ربيع الأول ١١٠٩ هـ خلع الجند اسماعيل باشا بعد أن ولي سنتين
وأقيم مصطفى بك قائم مقام مؤقتا حتى يحضر غيره وفى رجب من هذه السنة
حضر حسين باشا واليا على مصر وطلع القلعة فى موكب حافل وبقي إلى ربيع
الثانى سنة ١١١١ هـ وفيه قد عزل وتولى بدله قره محمد باشا وفى زمنه فشا أمر
الفضة المغشوشة وقل وجود العملة الديوانية وإن وجدت اشتراها اليهود
وقصوها وتلاعبوا بالعملة فأجتمع فريق من الناس ودخلوا الأزهر وشكوا
أمرهم إلى العلماء وألزموهم بالركوب إلى الديوان فأجابوا طلبهم ورفعوا عن
ذلك تقريرا إلى الوالى فأمر بعقد جمعية فى بيت حسن أغا بإبطال الفضة المقصوفة
واستعمال الجيد وأدار دار الضرب لضرب النقود الفضية والنحاسية بها وبقي
بمصر ناشرا لواء العدل حتى خلع السلطان مصطفى خان الثانى .

الثالث والعشرون السلطان أحمد خان الثالث

(١١١٥ — ١١٤٣ هـ)

جلس بعد أخيه ١١١٥ هـ ولم يظهر للانكشارية سوء ابل أغدق عليهم النعم وصرح
بقتل المقتى ولما تمكن فى عرشه انتقم منهم فقتل زعماءهم وعزل الصدر (نشانجى أحمد
باشا) الذى كانوا اقبأنتخبوه وعين بدله (داماد حسن باشا) فتمكنوا بعد ذلك من
عزله وأعطيت الصدارة إلى (بلطه جى محمد باشا) فلما تم أمره حارب الروس
بماتى ألف جندى وحاصر القيصر بطرس الأكبر وخليته كترينا التى رشته
بما كان معها من الجواهر والحلى فرفع الحصار عنهما وأمضى القيصر معاهدة
فلكزن التى تقضى عليه باخلاء مدينة آزلق فلم ترق هذه المعاهدة فى نظر

السلطان وعلم خيانة الصدر الأعظم فاستبعده إلى جزيرة لمنوس وعين بدله يوسف باشا فعقد مع الروس معاهدة تقضى بعدم الحرب (٢٥) سنة ولكن لم تمض مدة أشهر حتى شبت نار الحرب فتدخلت هولندة وانجلترا في إطفائها وأبرمت معاهدة أدرنه القاضية بتنازل روسيا عن جميع ما لها من البلاد على البحر الأسود ولما ولى الصدر الأعظم على باشا داماد استرد مورا من البنادقة وأخذ جميع قراهم في كريد فاستنجدوا بالنمسا فبلغت الباب العالي بكونه إذا لم يرد لها ما أخذته منها أعتبر رفضه إعلانا للحرب ففضلت الدولة الحرب فدارت رحاها بينهما وبعد حوادث تم الصلح بين الفريقين على أخذ النمسا ما فتحته مع جزء من الصرب والأفلاق وأن تبقى شواطئ دلماسيا للبنادقة وتسمى هذه المعاهدة معاهدة يساروفتس وفي شوال سنة ١١٣٦ هـ عقدت معاهدة بين الدولة والروسيا تقضى بقسمة بلاد العجم التي طالب ملكها (طهما سب) بعد ذلك من الدولة إعادة ما أخذته من بلاده فلم تجبه فزحف عليها فرغب السلطان في الصلح فقام الانكشارية عليه وعزلوه في ١٥ ربيع الأول سنة ١١٤٣ هـ وبقي معزولا حتى توفي سنة ١١٤٩ هـ وفي عهده أسست دار الطباعة في الاستانة بعد إقرار المفتي وصداره الفتوى بالطبع مشروطا عدم طبع القرآن الشريف خوفا مما عساه أن يقع فيه من التحريف ثم تولى بعد عزله ابن أخيه السلطان محمود خان الأول.

ولاته على مصر

لما استقر على سرير ملكه أخذ في تغيير العمال فعزل محمد باشا عن مصر بعد أن وليها خمس سنين وورد أمر عزله في شهر رجب سنة ١١١٦ هـ وكان محمود السيرة كما سبق التنبيه عليه ومن ما أثره أنه أنشأ في (قرا ميدان) جامعاً وماجاً للفقراء الأروام وأنشأ تجاهه مطبخاً وداراً لضیافة الفقراء وفي أعلاها مكتبة لقراءة الفقراء من الأطفال إلى غير ذلك من الآثار التي تدل على علو

همته وشريف عواطفه وولى بعده محمد باشا وبقي بمصر لليوم السادس من شهر
رجب سنة ١١١٨ هـ ثم عزل وولى مكانه على باشا وفي أوائل رجب سنة ١١١٩ هـ
ورد أمر عزله وجعل ابراهيم بك قائم مقام بدله مؤقتا حتى حضر حسين باشا
في ١٣ شعبان من هذه السنة وقام بأمر مصر وفي ١٩ رمضان سنة ١١٢١ عزل
وولى ابراهيم باشا النبودان وأرسل إلى حسين باشا كتابا بالنيابة عنه لحين
حضوره فبقي إلى أن حضر في ١٥ ذى الحجة من هذه السنة ، وفي ١٥ رجب
سنة ١١٢٢ هـ عزل وولى الوزير خليل باشا وأقيم أيوب بك لحين حضوره
وحضر يوم الثلاثاء العاشر من شهر شعبان من هذه السنة وفي مدته حصلت
فتنة بمصر سنة ١١٢٣ هـ بين العسكر أفلت فيها أسواق القاهرة وحوانيتها
وأخذت المدافع تضرب ليلا ونهارا حتى هدمت كثيرا من المباني وأهلكت
كثيرا من الأرواح وسفك دم كثير من الأمراء منهم أحمد باشا الشهير
بافرنج الذى اشتهرت به هذه الواقعة وعزل خليل باشا الذى أوقد نار الفتنة
وولى والى باشا فحضر وطلع القلعة فى أواخر شهر رجب من هذه السنة
وفى سنة ١١٢٥ هـ حصل بمصر طاعون ابتداء من القاهرة وانتشر فى أنحاء
القطر وكان ابتداءه غرة ربيع الأول منها وأخذ فى التناقص فى أواخر جمادى
الآخرة وفى هذه السنة عزل والى باشا وولى مكانه عابدين باشا ولم يلبث أن
عزله وولى مكانه على باشا الأزميرى ثم عزل سنة ١١٣٣ هـ فولى مكانه رجب
باشا فقبض على على باشا وحبسه ثم خنقه وأرسل رأسه الى الباب العالى ثم
عزل رجب باشا بعد ثلاثة أشهر وعشرة أيام ونزل من القلعة محقرا وحضر
بعده محمد باشا البستانى فلم يملك إلا شهرا واحدا وعزله العسكر فولى بدله
عبد الله باشا الكبورلى وكان ميالا للفضل والأدب ولذلك مدحه كثير من
شعراء مصر وله ديوان شعر مرتب على حروف المعجم يدل على فضله وأدبه

وأرخ مجيئه بعض الشعراء بقوله :

ولما جاء مصرا أرخوه لقد سعدت بعبد الله مصر

وفي مدته خلع السلطان أحمد الثالث

الرابع والعشرون السلطان محمود خان الأول

(١١٤٣ — ١١٦٨ هـ)

هو ابن السلطان مصطفى الثاني كان محبا للسلم ناشراً لواء المعارف أتم حرب العجم بما أعاد الحدود القديمة بين الدولتين ثم حارب روسيا والنمسا وانتصر عليهما وعقد معهما معاهدة بانغراد التي ردت للدولة العلية جهات أورسوه والأفلاق النمسوية وقضت على الروس بهدم قلعة آزوف وعدم تسيير سفن حربية أو تجارية في البحر الأسود وبحر آزوف وبأن ترد للدولة ما أخذته من بلادها وبتميت الحرب في مدته واضعة أوزارها تسع سنين وكانت أيامه أيام يمن وإقبال وعز واجلال ثم توفي السلطان في السابع والعشرين من صفر سنة ١١٦٨ وله من العمر ستون سنة

ولاته على مصر

عزل عبد الله باشا في أواخر سنة ١١٤٤ هـ وولى محمد باشا السلحدار وبقى إلى سنة ١١٤٦ هـ ثم عزل وولى الوزير عثمان باشا الحلبي وبقى سنة وخمسة أشهر ثم عزل سنة ١١٤٨ هـ وتولى بدله الوزير بكير باشا وبقى إلى سنة ١١٤٥ هـ وفيها حصلت بمصر فتنة قتل فيها جماعة من الأمراء منهم محمد بك غيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتحدا مستحفظان ويوسف كتحدا وقامت الجند على الباشا وعزلوه وحضر الأمير مصطفى أغا بأمر من الدولة لضبط تركات المقتول ثم أتى أمر آخر بتوليته على مصر فوليا وبقى بها واليا إلى سنة ١١٥٢ هـ ثم تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن المعظم فمكث إلى جمادى الأولى سنة ١١٥٣ هـ

وعزل وولى مكانه على باشا حكيم أوغلى (وهى توليته الأولى بمصر) فكث
إلى جمادى الأولى سنة ١١٥٤ هـ وتولى مكانه الوزير يحيى باشا فكث إلى أن
عزل فى شهر رجب سنة ١١٥٦ هـ فتولى بعده محمد باشا اليدكشى فاستمر فى
ولاية مصر إلى أن عزل سنة ١١٥٨ هـ وتولى بعده محمد باشا راغب فكث واليا
على مصر سنتين وستة أشهر وعزله العسكر سنة ١١٦١ هـ لفتنة وقعت قتل فيها
خليل بك أمير الحج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها إلى الصعيد ابراهيم بك
غيطاس مع طائفة من السناجق وعمر بك بن على بك مع طائفة أخرى إلى
الحجاز ثم تولى الوزير أحمد باشا المعروف بكوروزير فدخل مصر غرة المحرم
سنة ١١٦٧ هـ وبقى بها واليا إلى شوال سنة ١١٦٣ هـ ثم عزل وولى الشريف
عبد الله باشا فحضر فى رمضان سنة ١١٦٤ هـ ومكث إلى ١١٦٦ هـ ثم عزل وأقيم
مقامه الوزير محمد باشا أمين وحضر مريضا وتوفى بعد شهرين من حكمه فى ١٥
شوال من هذه السنة وتولى بعده الوزير مصطفى باشا وكان حضوره فى ١٣
ربيع الأول سنة ١١٦٧ هـ وفى مدته توفى السلطان محمود خان الأول سنة
١١٦٨ هـ كما سبق .

الخامس والعشرون السلطان عثمان خان الثالث

(١١٦٨ — ١١٧١ هـ)

جلس على سرير ملكه بعد وفاة أخيه بيومين سنة ١١٦٨ هـ وهو ابن السلطان
مصطفى خان الثانى وكان متيقظا عادلا يطوف متنكرا ليعرف أحوال الناس
ويقف على كل أمر يهيمه الوقوف عليه اقتداء بعمر رضى الله عنه ولما ولى عين
نشانجى على باشا رئيسا للصدارة فأكثر من المطالم وبينما السلطان يطوف
متحسسا إذ سمع ذم الناس وتحديثهم بكثير من مظالمه فأمر بقتله ووضع رأسه
فى إناء من الفضة أمام باب القصر وعين مكانه مصطفى باشا ولم تمض مدة حتى

استبدله برابع باشا صاحب المعارف الكثيرة والمؤلفات الشهيرة وبينما السلطان قائم على قدم وساق في كل ما يعود على رعيته بحسن الحال وسعادة الاستقبال إذ دعاه داع المنون فأجابه في السادس عشر من شهر صفر سنة ١١٧١ هـ بالغاً من العمر ستين سنة .

ولاته على مصر

أبقى مصطفى باشا واليا عليها إلى شهر ربيع الأول سنة ١١٦٩ هـ ثم عزله وولى على باشا حكيم أو غلى فحضر إلى مصر وبقى واليا إلى أن عزل سنة ١١٨١ هـ وفيها توفي السلطان عثمان خان الثالث .

السادس والعشرون السلطان مصطفى خان الثالث

(١١٧١ — ١١٨٧ هـ)

هو ابن السلطان أحمد الثالث جلس على سرير الملك سنة ١١٧١ هـ وكان عاقلاً مدبراً محباً للإصلاح وكان وزيره الأعظم راغب باشا العالم الفاضل صاحب سفينة الراغب فاجتهد في إصلاح الشؤون فأسس مستشفيات للحجر على الوارد من الحجز مدة الوباء وأنشأ مكتبة جميلة وسهل الطرق لتسهيل المواصلات إلى الممالك العثمانية ترويحاً للتجارة وبقى باذلاً جهده إلى أن توفي في ١٤ رمضان سنة ١١٧٦ هـ وبعد موته نشبت الحروب بين الدولة والروسيا فاشتغل السلطان بهذه الحروب فأغفل إرسال الولاة إلى مصر وولى أمرها للماليك بشرط أن يدفعوا خراجاً للدولة فأحدث هذا الأمر اضطرابات وقلاقل وكثرت الفتن والمخاصمات بينهم فاختلطت الأمور وعم الفساد ولم تمض مدة من الزمن حتى سلط الله بعض هؤلاء الطاغين على بعض وانتقم الله لمن شاء بما شاء إلى أن ظهر بينهم رجل كان على جانب عظيم من العدل والشجاعة والفضل يسمى (علي بك الكبير) فظهر مصر من هؤلاء الطاغين وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب

العالمين رهدأت البلاد وارتاحت العباد ولكن لم تمض مدة إلا وقدوشى به أعداؤه للدولة بأنه يريد الانضمام للروسين فأرسل السلطان بقتله ولم يلتفت لحزمه وفضله فلما علم ذلك اضطر لأن يعلن استقلاله محافظة على حياته وقد ساعدت الظروف على ذلك حيث أن الدولة كانت مشغولة بحرب الروسيا فاستقبل سنة ١١٣٠ هـ وحاجي الأهالي بتخفيف الضرائب ومنع الأذى عنهم فأحبوه وانقادوا له ورضوا بحكمه فخطب له وضربت الدراهم باسمه ثم أرسل مملوكه محمد أبا الذهب وجنزه بجيش عرمرم إلى مكة لمحاربة الشريف بن سعيد فظفر به وعزله وولى مكانه الشريف عبد الله بن حسين وأراد فتح الشام فأرسل إليها محمد بك أبا الذهب بجيش جرار قاستولى على الديار الشامية أيضا بعد قتال شديد وجهد جهيد ثم أمره بعد ذلك أن يستولى على ما جاوره من البلاد فامتنع هو وجنوده لشدة ما لحقهم من التعب وكثرة ما حل بهم من العناء والنصب فحصل شقاق بينه وبين علي بك كانت غايته وقوع الحرب بينهما جهة الصالحية فحلت الهزيمة على جنود علي بك حيث انضم إلى مملوكه اثنان من أعظم قواده وهما إبراهيم بك و مراد بك وانكشفت هذه الهزيمة عن قتل كثير وعن جرح علي بك الكبير في وجهه جرحا أسقطه عن جواده فحملوه إلى خيام محمد بك فخرج إليه وتلقاه بالتكريم والتعظيم وقبل يده وأظهر له الأسف الشديد وأجلسه بخيمته ثم توجه به إلى مصر وأنزله في منزله وقام بخدمته إلا أن الجرح كان بليغا والأجل كان قريبا فمات بعد سبعة أيام وكان ذلك سنة ١١٨٧ هـ وكان رحمه الله من الشجاعة والعدل بمكان مع فعل الخيرات وكثرة المبرات ومن آثاره مسجد سيدى احمد البدوى وقبته رحمه الله والشوارع وما كان بها من الحوانيت بطنطا ووقف له أوقافا كثيرة ورتب عدة من الفقهاء والمدرسين وطالبة العلم الشريف وجدد قبة الامام الشافعي رضى الله عنه وغير ذلك من الآثار الحميدة

والخيرات العديدة وبموته عادت مصر إلى ما كانت عليه من تبعية الدولة العلية فأخذت ترسل إليها الولاة من قبلها على الطريقة الأولى إلا أن كثرة تغيير الولاة جعل أغلبهم لا يحرص إلا على ما فيه الفائدة لأنفسهم فبقي الاضطراب يزداد والخطب يتعاضم يوما بعد يوم إلى أن أفضى ذلك إلى دخول الجيش الفرنسي كما سيجيء ثم توفي السلطان مصطفى في ثامن ذى القعدة سنة ١١٨٧ هـ وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان الأول .

السابع والعشرون السلطان عبد الحميد خان الأول

(١١٨٧ — ١٢٠٢ هـ)

هو ابن السلطان احمد الثالث لما تولى لم تمض مدة له حتى اجتاز جيش روسيا نهر الطونه قاصدا وأرنبه وقهر الجيش العثماني الذي أنفذ إليه من شوملا بالقرب من قوزليجق ثم قصف عسكر الصدر الأعظم الذي طلب الصلح فأبرمت معاهدة ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ م بمدينة فينارجه وسميت بها تشتمل على (٢٨) مادة تتضمن اعتراف الدولة باستقلال القرم وبسارايا وإعطاء القيصر لقب بادى شاه فى المعاهدات والمكاتبات الرسمية ومنح حرية الملاحة فى البحرين الأسود والأبيض المتوسط ودفع الدولة غرامة حربية قدرها (١٥٠٠٠) كيس ولما تم للقرم الاستقلال سعت الدولة الروسية فى الاستيلاء عليها فوقدت فيها نار الفتن حتى تأهبت للحروب الأهلية فاحتلتها بسبعين ألف جندى ولم تلتفت لمعاهدة فينارجه فأرادت الدولة محاربتها فنهضتها فرنسا بالعدول عن ذلك فامتنعت واعترفت بضم القرم للروسيا ولم تثبط همم الروس بل حصنوا سباسبول وأنشؤا دونمة بحرية قوية وبشوا الجواسيس لإثارة خواطر المسيحيين على الدولة وفى سنة ١٧٨٧ م طافت الامبراطورة كاترين بلاد القرم فأقام لها النائد الروسى أقواس نصر كتب عليها طريق بيزنطة يعنى الاستانة فلما علمت الدولة

بذلك أرسلت الى الروسية بلاغا رسميا تطالب به (مفرو وكورداتو) حاكم الافلاق
الذى التجأ اليها والتنازل عن حماية الكرج وعزل القناصل المهيجين لعراطف
الاهالى وقبول قناصل عثمانيين فى البحر الأسود وتفتيش المراكب الروسية
التي تمر من الاستانة فرفض السفير ذلك فأعلنت الدولة العلية الحرب وكان
القائد الروسى غير مستعد له فأشار على الامبراطورة باخلاء القرم فلم تصنع له
وأمرته بالمسير حالا فسار ودخل بلدة أوزى فى ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٢٠٣ هـ
وكانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة لمساعدة الروسية وقصد امبراطورها
يوسف الثانى أخذ بلغراد فارتد منها خائبا إلى تموار متعقبا بالعثمانيين ثم توفى
السلطان بعد هذه الحوادث فى ١٢ رجب سنة ١٣٠٣ بعد أن عمر ستا
وستين سنة .

ولاته على مصر

لما عادت مصر إلى الدولة بعد وفاة على بك الكبير ولت عليها الوزير
ابراهيم باشا عرب كبرى سنة ١١٨٩ هـ فتوفى فى ليلة النصف من شعبان من
هذه السنة فولى الوزير محمد باشا الفرملى الكبير وتوفى فى ذى القعدة سنة ١١٩٢
ثم تولى بعده الوزير اسماعيل باشا فوصل مصر فى شهر المحرم سنة ١١٩٣ هـ
وفى آخر شعبان منها أتى فرمان اليه بتوليته على جدة وتولية واليه ابراهيم باشا
مصر ثم أتى فرمان آخر باقراره فى مرضعه حيث قد مات ابراهيم باشا فبقي فى
منصبه إلى أن عزل فى الثالث من شهر رجب سنة ١١٩٤ هـ وبقي إلى أن عزل
ليلة النصف من شعبان سنة ١١٩٦ هـ ورجع الى الاستانة لتولية الصدارة
العظمى وتولى بعده الوزير الشريف على باشا القصاب وبقي الى أن عزل فى
نصف شعبان سنة ١١٩٧ هـ وولى مكانه الوزير محمد باشا السلحدار وبقي الى أن
عزل فى ذى الحجة سنة ١١٩٨ هـ فتولى بعده الوزير محمد باشا يكن ثم عزل فى

١٦ محرم سنة ١٢٠١ هـ وخلفه الوزير عابدين باشا وعزل في شهر رجب سنة
١٢٠٣ هـ وفيه توفي السلطان وأعقبه السلطان سليم خان الثالث
الثامن والعشرون السلطان سليم خان الثالث

(١٢٠٣ — ١٢٢٣ هـ)

هو ابن السلطان مصطفى الثالث وفي مدته اتحدت الجيوش الروسية
والنمسية على العثمانيين فظهروا عليهم واستولت الروس على مدينة بندر واحتلوا
جزءا عظيما من البغدان والأفلاق ودخل النمساويون بلغراد وفتحوا الصرب
وبينما هم كذلك إذ توفي يوسف الثاني امبراطور النمسا وخلفه ليوبولد الثاني
فأبرم مع الدولة معاهدة (زشتوى) التي بمقتضاها ردت إليها الصرب وبلغراد
وسائر فتوحاتها وبعد هذا الصلح التفتت الدولة لاصلاح شؤونها الداخلية
فأنشأت كثيرا من السفن الحربية على طراز جديد وصنعت مدافع ضخمة
وحسنت مدرستي البحرية والطبجية وترجمت كثيرا من المؤلفات الشهيرة في
الفنون العسكرية وشرعت في تنظيم فرق الجيش بعناية رجل انجائزي قد
اعتنق الدين الاسلامي فسمى انجائز مصطفى وفي سنة ١٢١٣ هـ جهزت فرنسا
في طولون جيشا مؤلفا من ٣٦٠٠٠ مقاتل وعشرة آلاف بحري تحت قيادة
نابليون بونابرت فسار ثقله ثلاثين سفينة حربية و٧٢ كوروفيد وأربعائة نقالة
إلى جهة غير معلومة فوصل مالطه في ١٠ يونيه واحتلها ثم الاسكندرية في
١٢ يوليو فدخلها وكان ما كان مما ستبينه وفي أثناء هذه الفتن واحتلال الفرنسيين
مصر عصا على باشا وإلى يانيه وهو رومي الأصل ثم عدل عن ذلك وعينته
الدولة واليا على بلدة أبيروس التي هي مسقط رأسه فساعدها على إخضاع وإلى
أشقردره ودلويينو اللذين عصيا الدولة ولما احتل الفرنسيون مصر وأعلنت
الدولة عليهم الحرب كان من أعماله أن احتل ثغر أوترانتو وفتح مدينة بروناره

بعد أن فاز على الجنود الفرنسية في واقعة عنيفة ولما كوفيء برتبة الروملي التي تخول لصاحبها الحق في قيادة الجيوش بعد الصدر الأعظم عهدت إليه هذه المهمة في محاربة المقدونيين الذين ساروا بتغريير روسيا فزحف عليهم في ثمانين ألف مقاتل وأخضعهم ولكنه أعتر بهذا الظفر فتحصن في ابيروس وصار كحاكم مستقل فيها وتوالت بعد ذلك الفتن وفاز أصحابها على الجنود مراراً فأراد السلطان تجربة فرقة المنظمة فأرسل منها فرقا لم تقو عصابات الثوار على الوقوف أمامها فسر السلطان بذلك وأمر الولاة بترتيب العساكر على النظام الجديد فثار الانكشارية باتفاق مع العلماء والطلبة فطلبوا من السلطان أبطال النظام الجديد فعبد السلطان عن هذا المشروع المفيد إرضاء لهم وتسكيننا للفتنة التي كان تسبب عنها قيام الصرب تطالب بالاستقلال فعرض والى أشقودرة عليهم الاستقلال الإداري مقابل دفعهم ٦٠٠٠٠٠ فلورينو لتوزيعه على العساكر الذين أعطيت لهم الأراضي الصربية التزاما فقبل زعيمهم ولكن الباب العالي أبى إلا إخضاعهم كرها مما جر لإنتشاح الحرب بينه وبين روسيا .

وبعد خروج فرنسا من مصر أرسل بونايرت الجنرال سيسستيانى لتجديد الروابط الودية مع الدولة فتمكن من عزل أيدي الأفلاق والبغدان اللذين هما من حزب روسيا فأرسلت روسيا جنودها لاحتلالها بدون إعلان حرب واتحدت إنجلترا معها حيث أرسلت أسطولها إلى الدردنيل وطلبت من الدولة تسليم أسطولها والدردنيل لها والتنازل عن الأفلاق والبغدان لروسيا وطردها الجنرال سيسستيانى من الاستانة وإعلان الحرب على فرنسا وإلا اضطرت إلى اجتياز الدردنيل وضرب الاستانة فلم تكترث بذلك التهديد وصرحت لها باجتياز الدردنيل فاجتازته في ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٢١ هـ ولم يكن في غاية التصحیح فخطم سفنا عثمانية في جاليبولى ثم وقف خارج البسفور ولما علم

السلطان بذلك طلب من السفير الفرنسي مبارحة الاستانة فقابله السفير وأكده صدور أمر نابليون إلى جيوشه في سواحل بحر الأدرياتيك بالسفر لمساعدة الدولة فعند ذلك اطمأن خاطره ورفض طلبات إنجلترا وكان العساكر والاهالي ونزلاء الفرنسيين يواصلون الليل بالنهار في تشييد القلاع وتسليحها بالمدافع ويشرف السلطان بنفسه على أعمالهم مع استمرار تحصين الدردنيل فأسرع الأميران بالعودة إلى البحر المتوسط بالاسطول الانجائزي خوفا من حصاره بين البوغازين ووقوعه بين نارين حاميتين وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٢١ هـ ويقال إنه تحطم وقتل من رجاله ستمائة وغرقت سفينتان من سفنه وأثناء اشتعال نار الحروب بين روسيا والدولة حدثت ثورة في الاستانة بتحريك مفتيها والقائم مقام الصدر ضد التنظيمات الجديدة واندث الثائرون في الجيش في أرجاء المدينة لقتل معضدى هذا المشروع فقتلوهم ووصفوا رءوسهم في رحة آى ميدان ولما بلغ السلطان هذا الخبر بادر بالغاء النظام الجديد ولكن خشى الثائرون أن يعود اليه ثانيا فنادوا بعزله في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٢ هـ وتوفى في الرابع من جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ هـ وله من العمر ثمان وأربعون سنة .

حالة مصر في زمنه وولاته عليها

واحتلال الفرنسيين مصر وخروجهم منها

لما توفى على بك الكبير سنة ١١٨٨ هـ كما قدمناه تولى بعده شياخة البلد محمد بك أبو الذهب وحارب أهل يافا حتى تغلب عليها بعد حصارها حصارا شديدا وأسرف في القتل حتى قتل جميع الأسرى ولم يميز بين الظالم والمظلوم واستولى على عكا وأذعننت له باقى البلاد وكان قد أرسل إلى السلطنة يطلب تقريره واليا على مصر فأجيب إلى ذلك فامتلاء فرحا وحم بدنه فمات سنة ١١٨٩ هـ

وقيل انه وجد مخزوقا بخييمته وبعد موته رجعت جيوشه الى مصر وأحضروا
جثته معهم ودفنوها في مدرسته تجاه الأزهر المعروفة للآن وكان ابراهيم بك
ومراد بك اللذان كانا مملوكين لمحمد أبى بك الذهب نازعهما في السطة اسماعيل بك
ولكنهما فازا بها فخسما مصر نحو (٢٤) سنة وأفرطا في الظلم والعدوان ونهبها
أموال الأهالى ولم يكتفيا بذلك بل انهما صارا ينهبان أموال التجار الأوربيين
وكثير تشكى الأهالى وقناصل الدول للسلطان سليم الثالث فلم يكثر بذلك ولم
يلتفت اليه فعند ذلك كتب قنصل فرنسا (شارمجالون) الى باريس بما هو حاصل
بمصر فأرسلت حكومة فرنسا جيشا تحت رآسة الجنرال (نابليون بونابرت) الى
مصر فحصر إلى الاسكندرية في شهر محرم سنة ١٢١٣ هـ وتملك الفرنسيون
هذه المدينة بعد مقاومة قليلة ثم قصدوا مدينة القاهرة بجيش مؤلف من ٣٤٠٠٠
مقاتل فساروا على الشاطئ الأيسر من النيل حتى وصلوا أمام هذه المدينة
بعد خمسة عشر يوما فقابلهم مراد بك بجيوشه عند الرحمانية وتغلبوا عليه
فرجع القهقرى فلحقه نابليون بجنوده عند قرية انبابة بقرب الجيزة فانهمز
مراد بك وفر هاربا الى جهة الصعيد ودخل الفرنسيون مدينة القاهرة فجعل
بونابرت على إدارتها ديوانا مؤلفا من عشرة أشخاص من أعيان البلد ثم خرج
من القاهرة لتبديد جيوش ابراهيم بك فوصل الى الصالحية وتملك عليها وفر
ابراهيم بك إلى بلاد الشام فعاد بونابرت حينئذ الى القاهرة وفي أثناء عودته
بلغه خبر موقعة أنى قير التي حطمت فيها العمارة الانجليزية العمارة الفرنسية
برمتها .

وكان من الفرنسيين الذين حضروا إلى مصر أشخاص يزعمون أن الرسل
محمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام كانوا جماعة عتلاء وأن الشرائع
المنسوبة لهم عبارة عن قوانين وضعوها بحذقهم وفطنتهم تناسب أزمانهم ولذلك

جعلوا في مصر وقراها الكبيرة دواوين فيها رجال يديرونها بما يناسب عقولهم
وتنطبق على حال البلاد ولكنهم من لطف الله جعلوا فيها جماعة من العلماء
يراجعونهم في بعض الأشياء التي لا تنطبق على الشرع الشريف والذي دعا الناس
لإتباعهم عجزهم عن مقاومتهم هذا مع أن الفرنسيين عند قدومهم كتبوا
كتبا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها أنهم ليسوا انصارى لأنهم يعتقدون وحدة
الآله والنصارى تقول بالتثليث وأنهم يعظمون محمدا صلى الله عليه وسلم ويحترمون القرآن
الكريم وأنهم لم يأتوا إلا لطرده الممالك الظلمة الذين نهوا العباد وأضروا بالبلاد
وأنهم لا يتعرضون للناس في شيء مع أنهم لما دخلوا لم يقتصروا على نهب
أموال الممالك والايقاع بهم بل أنهم قتلوا كثيرا من الناس لما قامت عليهم
الاهالي بسبب طلبهم غرامة على البيوت وضربوا المدينة بالمدافع من القلعة
وهتكوا بعض أعراض النساء وقتلوا من علماء مصر نحو (١٣) عالما ودخلوا
بخيولهم الجامع الأزهر ومكثوا فيه يوما وليلة ونهوا مافيه من أمتعة وكتب
إلى غير ذلك من الأعمال الفظيعة والأفعال القبيحة وسكن نابليون بونابرت
بيت محمد بك الألفي الذي كان بالأزبكية ثم علم أن الدولة العلية سعت في
استرجاع مصر من الفرنسيين وبعثت إلى أحمد باشا الجزائر وإلى عكا أن يزسل
جيشا لاحتلال العريش فجهز حينئذ بونابرت جيشا ليس للمدافعة عن مصر
فقط بل لإحتلال الشام فافتتح بعض مدنها ولكنه لم يقو على فتح عكا لمنعتها
ومساعدة الأسطول الإنجليزي من البحر فعاد إلى مصر بعدما لحق جيشه العذاب
الآليم فلم يلبث بعد رجوعه إلى مصر إلا وقد بلغه قدوم العساكر العثمانية إلى
أبي قير ونزولها إلى البر فأسرع لملاقاتها بجيشه فهزم جيش الترك غير أنه بعد
هذا النصر طلب إلى فرنسا ليصدم أخطارا أهدقت بها فسار من مصر تاركا
قيادة العساكر فيها للجنرال (كليب) أعظم قواده حزما وعقلا وشهامة فاستمال

الأهالي بحزمه وحكمته ولكنه عرف عدم إمكان استمرار الفرنسيين على احتلال
مصر فأخذ في المخاطبة مع الصدر الأعظم يوسف باشا الذي أرسلته الدولة
لإخراج الفرنسيين من مصر واتفقا على أن الجيش الفرنسي ينجلي عن مصر
في مدة ثلاثة أشهر ويحمل إلى فرنسا على مراكب تركية غير أنه لم يتم هذا
الأمر لعدم قبول نواب الحكومة الانجليزية له فعاد النزاع بين الطرفين وسار
كبير الملاقاة جيش الترك فقابله بين المطرية وسرياقوس فانهزم جيش الترك
غير أن طائفة منه تقدمت إلى القاهرة فظن الأهالي أن جيش الفرنسيين قد هلك
فقاموا على من بالمدينة قتلا ونهباً ثم رجع كبير وحاصر المدينة وأرغم الأهالي
على التسليم وضرب عليهم غرامات ثقيلة وبعد ذلك وثب على الجنرال كبير
رجل من مجاوري الشوام اسمه سليمان الحلبي وطعنه بخنجر في صدره فمات
وأخذت جثته إلى فرنسا وانتقلت رأسه الجيش بعده للجنرال (مينو) فعقد
معاهدة بالإنجلاء عن مصر فخرجوا منها في شهر ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ
وحمل الجيش الفرنسي إلى فرنسا على مراكب انجليزية ثم انجلى الجيش الانجليزي
أيضا ودخل الوزير يوسف باشا مصر في الشهر المذكور فكانت مدة تصرفهم
في مصر ثلاث سنين وشهرا واحدا وقبل دخول يوسف باشا مصر بأربعة
أيام دخل محمد باشا الغزي الذي كان مرشحا لولايتها فعزله عنها وولاه محمد
باشا خسرو واستمر الوزير يوسف باشا يدير أمورها إلى شهر شوال من السنة
نفسها ثم رجع إلا الأستانة وبقي محمد خسرو باشا بها واستمر إلى سنة ١٢١٨ هـ
فثارت فتنة بينه وبين العساكر لتأخير أرزاقهم أدت إلى عزله وتولية طاهر
باشا وهذه الفتنة كانت سببا لمبدأ ظهور محمد علي باشا المولود (بقوله) بالروملي
لأنه كان قد حضر إلى مصر مع العساكر التي جاءت مع الوزير يوسف باشا
لإخراج الفرنسيين منها . وسيأتي الكلام عليه .

التاسع والعشرون السلطان مصطفى خان الرابع

(١٢٢٣ - ١٢٢٣ هـ)

هو ابن السلطان عبد الحميد الأول لما تولى أهمل الاعتناء بتنظيم العساكر على النظام الجديد خوفا من الاضطرابات والفتن وقوى أمر الانكشارية ولما وصل خبرهم إلى انكشارية الجيش المحارب للروس قتلوا قائدهم الصدر خلبي ابراهيم باشا وأقاموا مكانه جلبي مصطفى باشا فكثرت الهرج في الجيش ولولا اشتغال الجنود الروسية في ألمانيا بمحاربة نابليون وخذلانها أمامهم للحق العثمانيين ضرر عظيم ثم تم الصلح بين فرنسا والروسيا على أن تتوسط فرنسا بين روسيا والباب العالي وإذا لم يقبل توسطها اتحدتا معا على أخذ أملاكه فتأخذ فرنسا البوسنة وألبانيا وایروس والیرنان ومقدونيا وتأخذ روسيا الافلاق والبغدان وبلغاريا وترسته وفي الثالث من جمادى الأولى أبلغت المعاهدة للروسيا وتركيا فقبلتها وأمضت عليها في ١٩ جمادى النانية ولكن روسيا أخلت بالشروط حيث أنها لم تنجس عن الافلاق والبغدان ثم حدثت فتنة في الدولة وهي أن مصطفى باشا البيرقدار حاكم رستجق ومن أنصار السلطان سليم الثالث دبر مكيدة لعزل السلطان مصطفى الرابع فلما وقف على سرها قتل سليما ورمى جثته إلى الثأرين فاشتعلت نيران الفتنة وزاد لهيها فعزلوا السلطان ثم قتلوه بعد ذلك كما سنينه .

الثلاثون السلطان محمود خان الثاني

(١٢٢٣ - ١٢٢٥ هـ)

هو ابن عبد الحميد الأول ولما تم له الأمر عهد بالصدارة إلى البيرقدار وكلفه تنظيم الانكشارية وتقليدهم الاسلحة الحديثة فلما شرع في تنفيذ ذلك

ثاروا وشقوا عصا الطاعة في قلبه فجهز لهم ١٢٠٠٠ مقاتل من جيوشه ولم يبق معه إلا أربعة آلاف فانتهم الانكشارية هذه الفرصة وأرادوا إرجاع السلطان مصطفى فاعترضهم البيرقدار ولما خاف من فوزهم عليه قتل السلطان مصطفى فأضرموا النار في القصر الملوكي ليضطروا البيرقدار إلى الفرار فيصلون إلى غرضهم ولكننه ثبت حتى مات محروقا وفي ذلك الوقت كان قد أتى رامن باشا أمير البحر بثلاث سفن حربية عند ممر البوسفور وألقى القنابل على الانكشارية ثم نزل مع البحرية إلى البر في مقاتلتهم وانضم إليه عبد الرحمن باشا فقهرت الانكشارية وسارت الجنود في اليوم التالي تقذف عليهم نارا حامية فلما أيقنوا بالهلاك أضرموا النار في المدينة فأذعن السلطان لمطالبهم وبعد هذه الفتنة عقد الباب العالي الصلح مع انجلترا في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٢٤ هـ ثم استأنف محاربة الروس إلى أن أشهر نابليون عليهم الحرب فعقدوا معه معاهدة بوخارست في ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٢٧ هـ على أن تبقى الافلاق والبغدان للدولة وكذلك الصرب ببعض امتيازات وبذلك تفرغت لمحاربة نابليون وقهرته بعد أن أحرق مدينة موسكو ولما بلغ خبر هذه المعاهدة إلى زعماء ثورة الصرب آثروا التفاني في الدفاع عن استقلالهم فأخضعتهم الدولة قهرا وعينت ميلوش اوبريتوفتش منهم شيخا لاجدى القرى بما تظاهر به من الولاء فعكف على إثارة الخواطر حتى إذا أقبل عيد الفصح سنة ١٨١٥ م رفع لواء العصيان وظل القتال بينهما وبين الجنود عامين أذعن بعدهما على أن تدير الصرب شؤونها الداخلية بنفسها فقبل الباب العالي وعين واليا عليها مرعشلى باشا وأمره بالرفق في معاملة أهلها وفي عهد السلطان محمود ظهرت فتنة الوهابيين ببلاد العرب فوكل إلى والى مصر محمد على باشا اخضاعها واسترداد مكة والمدينة منها فتم له ذلك في ذى القعدة

سنة ١٢٣٣ هـ وفي خلال هذه الحوادث عقد اليونانيون النية على غصيان الدولة
فاغتتموا فرصة اشتغالها بمحاربة علي بك والى يانيا الذي كان اعتمهم بجبال
ابيروس واستبد فيها لاشعال نار الثورة ولما انتهت من فتنته التي انتهت بقتله في
٥ فبراير سنة ١٨٢٢ م كلف خورشيد باشا باخضاع اليونان فتغلبوا عليه في
أغسطس فسم نفسه ومات وكان البحرية اليونانيون أحرقوا أسطولا عثمانيا
في سافز يوم ١٨ يونيو ومات ثلاثة آلاف من رجاله ولما رأى السلطان نزول
هذه الشدائد ناط بمحمد علي باشا والى مصر محاربة النوار وجعله لذلك واليا
على كريد ومرره ينبوعى الثورة فعبئت العساكر المصرية في ١٩ ذى القعدة
سنة ١٢٣٩ هـ إلى رودس تحت قيادة ابراهيم باشا الذى أمر الضابط سيف
(سليمان الفرنسى) بحمايتها من تعديت الثوار واحتل كريد ثم قصد مورة
فنزى بجنوده فى ميناء مودون وأمد مدينه كورون التي كان يحاصرها الثوار
بالرجال والذخائر وفتح مدينة نافارين بعد حصار شديد فى ٢٨ رمضان سنة
١٢٤١ هـ ثم كلاما تافريبيوتسا فيسولونجى فى ١٤ رمضان سنة ١٢٤١ هـ وبعد
هذا التاريخ بعشرة شهور فتح العثمانيون أتينا بالرغم عن دفاع اللورد لوشران
الذى كان عينه اليونانيون قائدا عاما لاختلافهم على تعيين واحد منهم وأثناء
الاستمرار على الفتح تداخلت الدول فاضطرت روسيا الباب العالى على امضاء
معاهدة آق كرمان فى ٢٨ صفر سنة ١٢٤١ هـ التي تخول لها حق الملاحة فى
البحر الأسود ومرور سفنها من البوغازيين بدون تفتيش وتحتم على الدولة ألا
تولى ولا تعزل حاكما على الافلاق والبغدان إلا باقرار منها وأن تعترف
باستقلال الصرب مع احتلال الجنود العثمانية قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى
وفى ١١ ذى الحجة سنة ١٢٤٢ هـ انفقت فرنسا والروسيا وانجلترا على إلزام

الدولة بمنح اليونان الاستقلال الادارى مقابل دفع جزية معينة فلم تعبأ بهذا الاتفاق فاجتمعت أساطيل الدول الثلاث في نافارين وكانت بها أيضا (الدونمستان) التركية والمصرية ولسبب واه سلطت تلك الأساطيل عليها النار حتى أحرقت سفنها عن آخرها وفي هذه السنة بعث السلطان الى كافة ولاياته يخبرهم بسوء نوايا الدول نحو الدولة والاسلام وحث الناس على القتال فاشهرت الروسية الحرب على الدولة في ١١ شوال سنة ١٢٤٣ هـ وحينئذ أخلى ابراهيم باشا بلاد مورة ماعدا مودون وكورون ونافارين فانه ترك فيها ١٢٠٠ جندي واحتلت الجنود الفرنسية الجهات التي انجلى عنها وفي ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٤٤ هـ عقد مؤتمر في لندرة لتقرير أحوال اليونان ودعمت الدولة اليه فرفضت فأقر المؤتمر على استقلال مورة وجزائر سكلندة وأن يحكمها أمير مسيحي تحت حماية الدول في مقابلة دفعه للباب العالى جزية سنوية قدرها ٥٠٠٠٠٠٠ قرش فرفض هذا القرار وكان السلطان من قبل يشتغل بتنظيم الجيش على الطراز الجديد فاعتصب الانكشارية فرفع السلطان العلم النبوى فى صبيحة التاسع من ذى القعدة سنة ١٢٤٠ هـ وقصد بجنوده الطبخية ساحة آت ميدان حيث كان البائرون مجتمعين وصب على رؤوسهم نارا حامية والتجأ من نجا منهم الى الشكسات التي دمرت وصدرت الأوامر إلى كافة الولايات بتعقبهم وقتلهم حيث وجدوا والغاء فرقهم ومحو قمتهم

ولما أعلنت الروسية الحرب على الدولة احتل جيشها عاصمة البغدان ثم بخارست قاعدة الأفلاق وأخذ ما والاها إلى نهر الطونه ثم شهر القيصر حصار وارنه بنفسه وسار فى جيش حرمم فحاصر (أو سكى) استامبول ولكن اضطره إلى رفع الحصار عنها القبودان محمد عزت باشا الذى أوصل المدد

إليها بحرا بالرغم عن مراقبة السفن الروسية وكان التيمصر قد يتس من فتحها
لولا خيانة القائد يوسف باشا الذي سلمها للروس في غرة ربيع الثاني سنة ١٢٤٤ هـ
ثم أخذ الروس من جهة آسيا قلعة قارص واجتازوا في أوربا نهر الطونه
فاحتلوا أدرنه ودنوا من الاستانه فاضطرت الدولة لامضاء معاهدة أدرنه في
٢٥ ربيع الأول وهي تحول للروس حق الملاحة في البحرين الأبيض والأسود
والمرور من البوغازين بدون تفتيش وتمنح الصرب الامتيازات التي بينت في
معاهدة آن كرمان وتلزم الدولة بالتنازل لروسيا عن ممسب نهر الطونه ودفع
تعويض لنجار الروس ودفع خمسة ملايين جنيتها انجازيا تعويضا حريا على
عشرة أقساط سنوية ينجلي الروس بسد القسطل الأول منها عن أدرنه والقسطل
الأخير عن ولايتي الأفلاق والبغدان وأن يهاجر منها المسلمون بعد بيع ما لهم
من أملاك ثابتة ومنقولة في ثمانية عشر شهرا وبعد هذا صادق السلطان على
معاهدة لوندره المبرمة في نوفمبر سنة ١٨٢٨ م القاضية باستقلال اليونان ثم
تفرع للإصلاحات الداخلية فساح الجنود بالسلاح الحديث وألغى طائفة
البكتاشية لانصارها للانكشارية وجعل الزي الأوربي الزي الرسمي للعسكرية
والمالكية وأنشأ وسام الافتخار وطاف بممالك أوربا للوقوف على أحوالها وفي سنة
١٨٣٠ م استولت فرنسا على الجزائر بحجة إن الباي حسين ضرب قنصلها
بمروحة في يده وكان قد تعدى الأدب في مجلسه فنزل جيشها في ١٣ يونيو بالقرب
من ثغر الجزائر ثم دخلها بعد مقاومة شديدة وكان الباب العالي بعث إلى الباي حسين
مندوبا بايعاز من انجلترا ليأمره باجابه مطالب فرنسا فلم يمكنه الفرنسيون من
الوصول اليه كل كي يتم مقصدهم من الفتح وفي سنة ١٨٣١ م سير محمد علي باشا
وإلى مصر جيشا بقيادة ابراهيم باشا لمحاربة وإلى سوريا عبد الله باشا الجزائر الذي

أبى إرجاع من هاجر من المصريين إلى الشام ففتح غزه ويافاو القدس و نابلس
ثم حاصر عكا برا بينما كان الاسطول المهرى يحاصرها بجرا فلما علم الباب العالى
بذلك أو عز إلى والى حلب أن يسير لمحاربة فلم يممه ابراهيم باشا حتى يحضر
بل قصده وانتصر عليه بالقرب من حمس ثم عاد إلى عكا ودخلها غزوة فى ٢٧
الحجة سنة ١٢٤٧ هـ وبعث بالجزار أسير إلى مصر وعندئذ جهزت الدولة ستين
ألف مقاتل وساروا إلى الشام فانتصر المصريون على مقدمتهم ودخلوا حلب
فى ١٨ صفر سنة ١٢٤٨ هـ ففتحهم قائدهم حسين باشا ببقية الجيش فى مضايق
طوروس فلقه فيها المصريون وانتصروا عليه فى غرة ربيع الأول فأنفذ
السلطان جيشا ثانيا بقيادة رشيد باشا فانتصروا أيضا عليه ولما تواترت هذه
الإنتصارات خشيت الدول أن يكون مطمح أنظار محمد على باشا الخلافة
فأنزلت الروسا ١٥٠٠٠ جندى على الأناضول لحماية الاستانة ونصحت فرنسا
وانكلترا السلطان بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا فقبل الباب العالى وانجالت
المخبرات عن إبرام معاهدة كوتاهيا فى ٥ مايو سنة ١٨٣٣م القاضية بأخلاء
المصريين الأناضول إلى ماوراء جبال طوروس واعطاء محمد على باشا مصر
مدة حياته وولايات عكا وطرابلس وحلب ودمشق وولاية كريد واعطاء ابنه
ابراهيم باشا ولاية أطنه . وفى ٨ يونيو عتدت الدولة معاهدة هجومية دفاعية
مع الروسيا ضد المصريين وسميت معاهدة (خونكار اسكلكة سى) وقد عتدت
هاتان المعاهدتان مع اعتقاد الفريقتين بأن لا بد من الحرب ثانيا ولذا جاهر محمد
على باشا برغبته فى أن تكون له ولأولاده من بعده ولاية مصر والشام فرفض
الباب العالى وأوعز الى السر عسكر حافظ باشا بالتقدم إلى الشام فالتقى بالمصريين
فى نصيبين فى الحادى عشر من ربيع الثانى سنة ١٢٥٥ هـ فتهتمقر الشمانيون تاركين

١٦٦ مدفعا و ٢٠ ألف بندقية ولم يصل خبر هذه الواقعة إلى السلطان محمود
لوفاته في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ .

الحادي والثلاثون السلطان عبد المجيد خان

(١٢٥٥ — ١٢٧٧)

تولى الأمر بعد أبيه سنة ١٢٥٥ هـ وكانت الأحوال مضطربة بسبب
انتصارات محمد علي باشا وتسليم احمد باشا قبودان الدونمة العثمانية كافة مرا كبرها
له في الاسكندرية في الثاني من جمادى الأولى سنة ١٢٥٥ هـ فخشيت الدول أن
تحارب روسيا الجيش المصرى بمقتضى معاهدة خرنكارا سكه سى فعرضت
وساطتها على الباب العالى بينه وبين محمد علي باشا وتفاوض الوزراء والسفراء
فقال سفير النمسا وانكلترا بارجاع الشام الى الدولة وخالفهما في رأيهما سفير
فرنسا وروسيا وانحاز سفير البروسيا الى الاول وتقرر بالأغلبية ثم
اختلفت الدول في آرائها بشأن مصر ازاء تركيا فكانت تذهب فرنسا الى
وجوب بقاء فتوحات مصر تابعة لها وانجلترا الى اعادة هذه الفتوحات للباب
العالى ماعدا النصف الجنوبي من الشام والروسيا الى وجوب احتلالها ماجاور
الاستانة صوتا لها من اغارة المصريين عليها وهكذا كل دولة ذهبت مذهبا
حتى انهن لما دعين الى الاجتماع في لندن لحسم هذا الخلاف لم يتفقن على شيء
ورأى تيرس وزير فرنسا بعد ذلك في مارس سنة ١٨٤٠ م أن تعزز مطالب
محمد علي باشا بالقوة فلها علم اللورد بأمر ستون بنيتها أسرع بعقد محالفة مع
الروسيا وبروسيا والنمسا في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ م مقتضاها إلزام محمد علي
باشا برد فتوحاته للدولة مع استبقاء جنوبي الشام ماعدا عكا وإعطاء سفن
الروسيا والنمسا وانجلترا حق الدخول في البسفور لحفظ الاستانة من اغارة

الجنود المصرية وقد أبلغت هذه المعاهدة إلى محمد علي باشا فأوعز إلى سليمان باشا (الفرنسي) بتحصين ثغور الشام وبعث بالامدادات إليه عن طريق البحر فوردت الأوامر إلى الأسطول الانجليزي بمحاصرة هذه الثغور وأخذ السفن المصرية أينما وجدت وإعلان الأهالي بما انفقت الدول الأربع عليه ثم تقابل قناصل هذه الدول بمحمد علي باشا وعرضوا عليه أن تكون مصر له ولورثته وعكا له مدة حياته وأمهله عشرة أيام للإجابة وأفهمه أن فرنسا لا تستطيع نجده فلهما انتقضت المهلة ولم يجب أخبروه بأنه صار لاحق له إلا في مصر ثم أمهله عشرة أيام أخرى للإجابة فلهما انتقضت ولم يجب قرر المصدر الأعظم أخذ مصر والشام منه وهنا استعد المصريون للقاء أسطول الدولة المتحدة بعد بأسهم من نجدة فرنسا وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠م أطلق هذا الأسطول قذائفه على بيروت حتى أحرق معظمها وفعل مثل ذلك بالثغور الأخرى وأنزل الجنود إلى البر فلم ير محمد علي باشا بدا من الأذعان لمطالبها ولذا أمر جيشه بالعودة إلى مصر في ديسمبر سنة ١٨٤٠م ورد الدولة العثمانية مقابلة اعتراف الباب العالي ببقاء مصر له ولذريته فرمان في تاريخه ٢١ القعدة سنة ١٢٥٦ وأهم ما جاء فيه من الشروط أن يحدد جيش مصر بثمانية عشر ألف مقاتل وقت السلم وألا تنشأ سفن حربية إلا بأذن سلطاني وبعد حسم المسألة المصرية على هذا المثال سعت فرنسا وانكلترا في إلغاء معاهدة خونكا اسله سى التي تخول للسفن الروسية حق المرور من بوغازى البوسفور والدردينيل فأجمعت الدول ومن ضمنها روسيا في معاهدة ٣ يوليو سنة ١٨٤١م على الايكون لاحداهن هذا الحق وفي سنة ١٨٤٨م طمحت الأتلاق والبغدان للاستقلال فثارتا على أميريهما وأقامتا حكومة مؤقتة فأنفذت الدولة جنودها

لاخضاعهما وفعلت روسيا كذلك واحتلت البغدان فاحتج الباب العالي على هذا الاحتلال ثم دازت المفاوضات التي انجحت عن وفاق (بلطه ليمان) الذي حفظ للدولة حق تعيين أمراء الولايتين وقضى بأن يحتلها جيش تركي روسي مدة سبع سنوات ريثما يستتب الأمن فيهما هذا وقد كانت حراسة الأماكن المقدسة بأيدي الأرنوذكس فطالبت فرنسا بهذا الحق للكاثوليك فأجابها الباب العالي إلى هذا الطلب ولما كانت روسيا أرثوذكسية المذهب فتندأوفدت البرنس منتشيكوف إلى دار الخلافة للخبايرة في هذا الشأن ووقف أمام رجال الدولة موقفا يدل على أنه يريد أن ينتحل أي سبب لاحترام نار الحرب لذا بعثت فرنسا مراكبها الحربية إلى مياه اليونان في شهر ابريل سنة ١٨٥٣ م وانتظرت المراكب الانجليزية في مالطة ولما رفض الباب العالي طلبات منتشيكوف بعث إليه بلاغا بذلك في ٥ مايو سنة ١٨٥٣ م فبارح الاستانة مهددا الدولة باحتلال الأفلاق والبغدان وقد حصل ذلك بالفعل فاجتاز الروس نهر البروث الفاصل بين الدولتين في ٢ يوليو سنة ١٨٥٣ م واحتلوهما ثم أراد امبراطور النمسا حقن الدماء فاقترح عقد مؤتمر في فينا للتوفيق بين الدولتين فعقد ولكنه انفض بدون جدوى حتى أن الدول اعتقدت سوء مقاصد الروس فخرضوا الباب العالي على مطالبتها بإخلاء الولايتين السابقتين فارسل لها بلاغا رسميا في ٤ أكتوبر سنة ١٨٥٣ م بأن تخليهما في مدة خمسة عشر يوما وإلا دارت رحا الحرب واحتلها بالقوة فلم تلتفت إليه فاجتاز عمر باشا النهر المتقدم واتصر على الجيش الروسي نصرا ميينا وفاز العثمانيون من جهة آسيا وفي آخر نوفمبر من السنة المذكورة فاجأت المراكب الروسية الاسطول العثماني في سينوب فدمرته وخالفت معاهدتها التي تتمضى عليها بعدم إتيان أي عداة في البحر الأسود فانفتحت فرنسا وانجلترا مع الدولة بالإستانة في ١٤ مارس سنة

١٨٥٤ م على محاربة روسيا وتعهدت الأولى بأرسال خمسين ألف جندي
والثانية بأرسال خمسة وعشرين ألفا وكانت الدارعة فور يوس الانجليزية قد
ذهبت إلى أودسا لأخذ القنصل والرعايا الانجليز رافعة علم السلم فأطلقت عليها
قلاعها القذائف النارية فضررتها السفن الحربية الانجليزية والفرنسية حتى دمرها
ثم أخذتافي ضرب الثغور الروسية فأعلن القيصر الحرب في شهر ابريل سنة ١٨٥٤
وكان في سياسته خمسة عشر ألفا من الجنود العثمانية تحت قيادة عمر باشا وفيهم كثير
من الصربيين فحاصروهم الجنرال بكفتش بنحو ستين ألفا فلم يفاجوا واضطر لرفع
الحصار عنهم وطارده العثمانيون وأرادوا احتلال البغدان والأفلاق من بعده
ولكن كانت الجيوش النموية قد سبقتهم لاحتلالها ثم اتفق قواد الدول
المتحالفة على نقل ميدان القتال إلى أراضي روسيا فنقلوه إليها وفي ٢٠ سبتمبر
قهر الفرنسيون الروسيين الذين فروا إلى سباسبول وفي ٢٨ منه دخل المتحالفون
في ميناء بلا كلافا وفي ١٠ أكتوبر ابتدوا في إطلاق النار على سباسبول التي
كان الروسيون تمكّنوا من تحصينها وبعد جملة وقائع توفى في أثناءها القيصر
نيقولا والقائدان الفرنسي والإنجليزي عقد مؤتمر فيينا في شهر فبراير سنة ١٨٥٥ م
لايقاف تيار الحرب بشروط تتعاقب بحماية مسيحي الدولة والمرور من البوغازين
وتحديد القوة البحرية للروسيا في البحر الأسود بعشرة سفن فقبلتها روسيا بعد
سقوط قلعة سباسبول في التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٨٥٥ وفي ٥ فبراير
سنة ١٨٥٦ م عقد مؤتمر باريس الذي تقرر فيه مبدأ حفظ كيان المملك العثمانية
المحروسة وماهدأت الأحوال قليلا في أوروبا حتى أثار ذوو الغايات الفتن بين
المارونيين والدروز وكثير القتل والسلب في أنحاء الشام فوصل الوزير فؤاد باشا
إلى بيروت ثم قصد منها دمشق في خمسة آلاف جندي وقبض على زعماء الفتنة
وأعدمهم ولكن الدول اتفقت أثناء ذلك مع فرنسا على إرسال ستة آلاف

مقاتل لمساعدة الجيش العثماني فوصل هذا الجيش إلى بيروت في العاشر من شهر
أغسطس ثم انتهى الأمر بانجلائه في الخامس من شهر يونيه سنة ١٨٦١م
وبإعطاء جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الباب العالي ومنح تعويض لمن
أحرقت دورهم من المسيحيين ثم توفي السلطان عبدالمجيد في سابع عشر ذى الحجة
سنة ١٢٧٧ هـ وله من العمر أربعون سنة.

الثاني والثلاثون السلطان عبدالعزيز خان

(١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ)

هو أخو السلطان عبدالمجيد السابق تولى بعد وفاة أخيه في شهر ذى الحجة
سنة ١٢٧٧ هـ وقبل توليته كان نيقولا أمير الجبل الأسود قام لمساعدة ثورة
الهرسك فهاجمته الجنود العثمانية في كل جهة والتقت بداخل بلاده واضطرت
للامضاء على شروط في ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٢م منها ألا يقيم والده في الجبل
وأن تبنى الدولة قلاعاً على الطريق الموصلة من اشقودره إلى الهرسك ولكن
الدول عارضت في تنفيذها فعدلت عنها وكانت معاهدة باريس تقضى أن تكون
الهرسك مستقلة تحت سيادة الباب العالي وأن تكون الجنود العثمانية في ستة من
قلاعها منها قلعة بلغراد وألا يسكن المسلمون خارجاً عنها فاتقق حدوث فتنة
عقب قتل أحد الأهالي جندياً عثمانياً فأطاق القائد القنابل من الحصون على
المدينة أربع ساعات متتالية بعد أن آوى إليها المسلمون فنتج عن ذلك نداء
الدول وقرروا جلاء العثمانيين عن قلاعتين وبقاؤهم في قلاع بلغراد وسمندرية
واجبار المسلمين على بيع ما يملكون والمهاجرة من البلاد في مقابلة تعويض
مالي يدفع لهم وفي أثناء ذلك ثار الكريديون بدسائس يونانية فأرسلت الدولة
لهم جيشاً ساعدهم خديوم مصر الأسبق بفرقة مصرية كان لها القوز في عدة قلاع ثم

أرسلت مندوباً بالحسم المشا كل بالحسنى فلم يفلح فأرسلت القائد الشهير عمر باشا بطل القرم
لتمجهم وانتهى الأمر بعقد مؤتمر باريس كانت نتيجته اصدار السلطان أمرافى ١٩
سبتمبر سنة ١٨٦٩ م بمنح الجزيرة جملة امتيازات منها اسقاط سنتين من الرسوم المناخرة
عليهم واعفاؤهم من الخدمة العسكرية وفى الرابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٩ هـ
حضر السلطان إلى مصر فزار الاسكندرية والقاهرة ثم بارحها فى التاسع عشر
من شهر صفر قاصداً باريس بدعوة من الاميراطور نابليون لخصرر معرضها
العام وفى سنة ١٢٨٢ هـ حصرت وراثة الخديوية المصرية فى ذرية المرحوم
اسماعيل باشا الأسبق ثم صدر فرمان بتاريخ ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ هـ
بامتيازات مخصوصة بمصر وكيفية التوارث فى الخديوية . وقد كان من فكر
السلطان عهد العزيز مخالفة الروسيا على أن تحتص بجميع بلاد الشرق التى
يغلب فيها العنصر المسيحى وتحتص الدولة بالبلاد التى يغلب فيها المسلمون فلم
يرق هذا فى نظر أوربا وأوغروا عليه الصدور وأثاروا عليه الفتن فى الاستانة
حتى أقتى شيخ الاسلام بعزله وحاصروا قصره برا وبحرا وأخذوه إلى قصر
(طوب قبر) وكان ذلك فى ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ هـ وقد أختلفوا فى
أسباب وفاته فقيل فقيل أنه انتحر وقيل أنه قتل وبويع بعده السلطان مراد .

الثالث والثلاثون السلطان مراد خان

هو ابن السلطان عبد المجيد بويع له فى السابع من جمادى الأولى سنة
١٢٩٣ هـ وكان محباً للسلم مهذب الأخلاق ولكنة عقب ولايته بأسبوع ظهرت
عليه علامات الاضطراب العصبى فاستدعى له طبيب نمسوى اختصاصى بهذا
المرض فأقر بعد البحث الدقيق والاختبار الطويل باستحالة برئه فاجتمع
الوزراء فى العاشر من شعبان وفرروا البيعة لأخيه السلطان عبد المجيد خان
الثانى .

الرابع والثلاثون السلطان عبد الحميد خان الثانى

(١٢٩٣ - ١٣٢٧ هـ)

جلس على سرير الملك سنة ١٢٩٣ هـ بعد عزل السلطان مراد وزينت له
المدينة ثلاثة أيام اليوم الثامن عشر من شعبان منها تقلد السيف فى جامع أبى
أيوب الانصارى على ماجرت به عادتهم وقام بأعباء الأمر حق القيام بهمة
ونشاط وأصدر فرمانا بما فى نيته من الاصلاحات تم إرسال جنود إلى حدود
الصرب والجبل الأسود وبوسنه وهرسك لاطفاء نار الثورة فانتصرت وهزمت
العصاة شريفة فترسخت الدول فى المهادنة حتى توضع شروط الصلح وفى
أثناء هذه المدة استقال الصدر الأعظم محمد رشدى باشا فعين بدله مدحت باشا
وأصدر السلطان القانون الأساسى وجعل مجلسا للشورى قاصدا بذلك عمارة
البلاد وراحة العباد وبعد مضى شهرين لمدحت باشا نفي بدسياسة روسية وخلفه
فى الصدارة أدهم باشا وأرجىء عتد مجلس الشورى لأجل غير مسمى ووضع
السفراء شروطا للصلح مع الولايات النائرة بدون أن يشركوا معهم مندوبا
عثمانيا فلم تحفل بها الدولة ورفضت بتاتا فعبت روسيا جنودها للحدود التى
بينهما وحشدت جنودا أخرى إلى حدود الأناضول وكتبت لسائر الدول التى
اشتركت فى مؤتمر الاستانة أن تكلف الدولة العلية باسترجاع جنودها من
مواقف القتال وترك الأبهة الحربية والقضاء السلاح وتحسين أحوال الولايات
النائرة ففعلت الدول فلم يعبا بهم وأعلنت الحرب وكان للدولة اسطولان فى
البحر الأسود فاستوليا على كثير من القلاع والموانى وقطعا الطريق على سفن
الروس وكان لها أسطول ثالث فى نهر الطونه فضيق عليه الأعداء بوضع
النسافات فى جميع طرقه وكان لها أسطول رابع فى البحر الأبيض المتوسط

لحماية الجيش المصرى الذى كان قد أرسل لمساعدتها فكان يقيم بالجزر والشواطىء التى يخشى من ثورة أهلها هذا ما كان من أمرها فى البحر وأما وفعاتها فى البر فكانت كلها مكللة بالظفر مقرونة بالنصر فإنها قد حشدت جنودها تحت قيادة أحمد مختار باشا الذى جعلته قائدا عاما للجنود فى (ارضروم) وجعلت المشير عبد الكريم باشا قائدا عاما فى الروملى والمشير درويش باشا قائدا عاما فى باطوم وعثمان باشا قائدا فى (ودين)

وفى الخامس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٧٧ م زحفت عساكر الروس الى الامام ودخلت الحدود العثمانية مستعينة بما كانت تمدها به رومانيا من الميرة والذخيرة سرا وفى ٢٧ يونيه من تلك السنة كانت جنود الأعداء قد جازت ولايتى البغدان والافلاق وعبرت نهر الطونة كل ذلك وعبد الكريم باشا لم يبد حراكا فعزل وتولى قيادة الجند (محمد على باشا الروسى) ثم سارت جنود الروس نحو البلقان واستولت على مضايقه وبعض أما كنه واحتل جانب منها مدينة (نيكوبولى) فلما رأى عثمان باشا ذلك اتخذ بلونه حصنا (وهى مركز فى ملتقى الطرق بين سراحل الطونه ومضايق جبال البلقان) فهاجمه الأعداء مرتين وكانوا أكثر عددا وأكمل عددا ومع ذلك فانهم عادوا خائبين وأمدت الدولة جيوشها بالجنود والذخائر فأضيف ذلك المدد إلى الجيش وقسم إلى ثلاثة أقسام أحدها قد بقى فى بلونه تحت قيادة عثمان باشا والتانى انتصر على جيش (باسكى زغرة) والثالث وهو الذى كان يقوده محمد على باشا الروسى هزم الأعداء شر هزيمة فى موقعة صارى نصوحا - فأصبح مركز الأعداء حرجا ووقعت الروس فى حيرة وعند ذلك بعثت رومانيا مائة ألف جندى لمساعدتهم فعبروا نهر الطونة وتقدم القيصر نفسه الى ساحة القتال فتقوت الروس وتقدمت عساكرهم

وتقهقرت الجنود العثمانية الى وارانہ

وفي ٢٤ اكتوبر حوصرت وارانہ حصارا شديدا وبقيت كذلك إلى أن اشتد الجوع على حاميتها وأشرفوا على الهلاك فأخرجهم عثمان باشا مضطرا مخاطرا بهم إما للنصر وإما للقبر وكان المحاصرون نحو ثلاثة أضعافهم فقهرهم وخرج عثمان باشا وسلم سيفه فرده اليه القيصر معجبا بشجاعته وأما الحوادث التي حصلت في أثناء ذلك في الأناضول فانها كانت من الأهمية بمكان كذلك فان الروسية كانت قد استولت جنودها على مدينة أردهان وحاصرت قارص وصارت تهدد أرضروم واستولت على مدينة بايزيد وهزمت الجنود العثمانية أيضا في موقعة (دراغ ضاغ) فاحتل مختار باشا مرتفعات زوين وهزم فيها الروس شريزة واضطروهم لرفع الحصار عن قارص فرفعوه عنها صاغرين وتبعهم الغازي وجنوده فهزمهم شريزة فاستغاثوا فجاءتهم النجدات فقاوموه ثانيا وتمكنوا من حصارها ولم يزالوا كذلك حتى استولوا عليها فالتجأ مختار باشا الى مدينة أرضروم وجمع شتات الجيش وأقام الحصون والمعقل بسرعة عجيبة واستمر رابضا في موضعه كالأسد الى نهاية الحرب وأظهر من البسالة وحسن التدبير ماخلد له ذكرا جميلا ولم تكتف الروس بذلك كله بل خافت أنها إذا انقطعت عن الحرب مدة الشتاء تقوى شوكة الدولة وتحمد بعض الثورات فقدموا جيوشهم الى الامام حتى جاوزوا جبال البلقان بين الثلوج المتراكمة ولم يزالوا كذلك حتى استولوا على صوفيا بعد قتال شديد وجهن جهيد وكان ذلك في رابع شهر يناير سنة ١٨٧٨ وفي اليوم التاسع منه استولوا على شبقة ثم قاتلوا جيش سليمان باشا الذي أبلى بلاء حسنا ثلاثة أيام ولكنه لم يلبث أن تقهقر الى جبال رودوب ثم فتحوا أدرنة ودنوا من أبواب الاستانة فطلبت

الدولة هدنة للمباحثة في الصلح فأجيب وأبرمت معاهدة (سان استيفانو) ووقعت عليها الدولتان ولكن الدول الأخرى حالوا دون تنفيذها لاسيما دولة إنجلترا فاستبدلت بمعاهدة برلين الشهيرة التي أبرمت في ١٣ يونيو من هذه السنة وهي مجحفة بحق الدولة إجحافا بينا ولم يمض على نفوذها شهر حتى حدثت فتنة جديدة التي أدت إلى عقد معاهدة هليسيه في الخامس والعشرين من أكتوبر سنة ١٨٧٨ م وتحركت دولة اليونان وامارة الجبل الأسود يطلبان ما منحتهما معاهدة برلين فأجابتهم الدولة الى ذلك بعد مداوLAB كثيرة وعقب ذلك خرج الألبانيون على الدولة فأرسلت اليهم درويش باشا فتغلب عليهم ولكنهم لم يخضعوا تمام الخضوع .

وفي ٢٩ يونيو من سنة ١٨٨١ حكم على مدحت باشا بالقتل هو وثمانية من ذوى المناصب العالية بدعوى أنهم قاتلوا السلطان عبد العزيز ثم حولت هذه العقوبة الى النفي وفي سنتي ١٨٨١ . ١٨٨٢ احتج الباب العالي على احتلال فرنسا لتونس وإنجلترا لمصر ومن ذلك الوقت أخذ السلطان يتودد لألمانيا للانتصار بها واستعان بضباطها على تجديد النظمات العسكرية وفي يوليو سنة ١٨٨١ حمل اسكندر باتمبرج الذي كان قد جعل أميراً على البلغار مجلس نواب الامارة المذكورة على منحه قوة تشريعية شبيهة بالمطلعة الى سبع سنوات وفي ١٨٨٩ فتح الخط الجديد الذي يصل الاستانة بالبلاد الأوربية ومنحت بعد ذلك امتيازات ميناء بيروت وبعض الخطوط الحديدية الأخرى المعروفة في الولايات وفتح كثيرا من المدارس في جميع الجهات واعتنى بأمر التعليم في كل الولايات وفي سنة ١٨٩٠ م حدثت المذابح الارمنية الاولى في ولايات أرضروم وتبليس ووان وبايزيد وغيرها ثم جدد فنشأ عن ذلك أن الأرمن

المقيمين في الاستانة اجتمعوا في كنيستهم وسألوا بطريقهم أن يرفع شكواهم إلى جلالة السلطان بطلب عدة من الاصلاحات فأبى فضر به وجر حوه فاستقال من منصبه ثم أن الباب العالي لم يلبث أن أجاب بعض مطالب الأرمن وفي ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٥ عادت مذابح الأرض في جميع الولايات الموجودين فيها فنتج عن ذلك عدة مشاكل انتهت بصدور أمر بالاصلاحات الجديدة التي قررها السفراء وفي سنة ١٨٩٦م اشتدت التورات في بلاد الأناضول والأرمن وحوران ولم تنزل المشاكل تتزايد باغراء المغرين وإفساد المفسدين ولم تقف الدول عند هذا الحد بل أنها أعطت تونس لفرنسا وألحقت إدارة الروملي الشرقية ببلغاريا وسلخت جزيرة كريد من أملاكها عقب الحرب التي حصلت بينها وبين اليونان سنة ١٨٩٧ وكان الفوز فيها لها ولا تزال تدس الدسائس في البقية الباقية من أملاكها بقصد انتزاعها منها ومن أهم أعمال السلطان التي يسطرها له التاريخ بيد الشكر والامتنان السكة الحديدية الحجازية التي أنشأها وكان البدء فيها سنة ١٣١٧ هـ ولا يخفى ما لهذه السكة من الفوائد الكثيرة والمنافع العديدة ولم يزل قائماً على قدم الاجتهاد حتى خلع لعدم منح رعاياه مجلساً نيابياً وجعلها أمة دستورية فقامت الجنود الدستورية المكونة للفيلقين الثاني والثالث تحت قيادة محمود شوكت باشا فحاصرت مدينة القسطنطينية برا وبحرا وذلك في ١٣ إبريل سنة ١٩٠٩ ثم استولت بعد ذلك على الاستحكامات والقلاع الحربية ووضعت بعض ضباطها في المدرعات العثمانية ولذا سلمت جنود الحرس السلطاني وبعد أيام أفتى شيخ الإسلام بخلع السلطان بحجة أنه حنث في يمينه وبذر في أموال الأئمة إلى آخر ما جاء في الفتوى .

وإن هذه الفتوى ليست صحيحة لأن الأئمة قد أجمعت على أنه لا يجوز

خلع الخليفة إلا بالكفر والدليل على ذلك مقاله صاحب الجوهرة المؤلفة في التوحيد فيها .

وواجب نصب إمام عدل بالشرع فاعلم لا يحكم العقل
وأنه من ظلمه لا يعزل من ملكه حتى الزمان يعدل
إلا بكفر فانبدن عهده والله يكفيننا أذاه وحده

وقد وجبت طاعته بالكتاب والسنة وإنه وإن كان وجوبه وجوبا كفائيا إلا أنه من أهم الأمور ولذلك اشتغل الصحابة رضي الله عنهم بتأخير دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام حتى اجتمع رأيهم على الخليفة وتعيينه في الخلافة لأنه ورد أن النبي ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن يوم الأربعاء لما تم أمر الخلافة والخليفة أما وجوب طاعته في الكتاب العزيز فقوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وأما طاعته في السنة فمنها قوله ﷺ من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى ومنها قوله ﷺ من ولى عليكم فأطيعوه ولو كان عبدا حبشيا إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على مثل هذا المعنى وخصوصا أن خلع الخليفة وبال على الأمة لأنه يوجب تشتيت كلمتهم ويطمع فيهم كل طامع ويضعف كلمتها وقوتها فتصبح الأمة كالغنم بلا راع معرضة لاغتتيال السباع والضباع والذئاب إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره ولا يستقصى ذكره مما يجيق بالأمة من الدمار والاحول ولا قوة إلا بالله .

عدوت على الخليفة دون حق بفتوى منك في خلع الخليفة
فتحت بها على الإسلام شرا إذ ما صار معدوم الخليفة
وأغضبت النبي وتابعيه بمحوك للخلافة والخليفة
وكيف يكون حالك يوم حشر إذا ناداك ربك والخليفة
وقال لك النبي هدمت شرعى بمحوك للخلافة والخليفة

وهذا الذي ذكرته استطرادا إنما هو لبيان الخطأ الذي حصل في خلع
الخليفة وأداء لحق الخليفة وأن محله هو كتب التوحيد فمن أراد استيفاء الكلام
فيه فعليه بحاشية الشيخ أحمد الصاوي على جوهر التوحيد يجد فيها المقام مفصلا
وأسأل الله أن يوفقني الى السلامة من الخطأ والزلل في القول والعمل .

وبعد خلعه تربع في دست الملك أخوه مولانا السلطان الأعظم محمد
الخامس حفظه الله وكان ما كان مما هو معلوم للخاص والعام فلا حاجة
للاطالة به .

وغاية ما زجوه أن يمدده الله بنصره ويعزز أمره بأمره إنه سميع مجيب .

مصر تحت رعاية الأسرة الخديوية

في ظل الدولة العلية

المغفور له محمد علي باشا الأكبر

ذلك الشهم الشهير والهمام الكبير هو رأس الأسرة الخديوية السكرية وأصل مولده بمدينة (قوله) التابعة لولاية سلا نيك بالرومى ولم يزل بها إلى أن أرسلت الدولة العلية جيشا إلى مصر تحت قيادة مصطفى باشا لإخراج الفرنسيين الذين نزلوا بها سنة ١٢١٣ هـ تحت قيادة (يونابرتو) وكان من ذلك الجيش الذى أرسلته الدولة ثلاثمائة جندى من قوله تحت قيادة على أغا بن حاكم قوله وحضر معه محمد على وكيلا على تلك الفرقة فسار الجيش إلى مصر ونزل بأبي قير وقامت الحرب على قدم وساق ولم تزل بين الفريقين إلى أن اتفقت الدولة مع الانجليز على إخراج الفرنسيين فأخرجوا من مصر سنة ١٢١٦ هـ ثم عاد الانجليز إلى بلادهم كذلك وعادت السلطة للدولة العلية في البلاد المصرية وعينت خسرو باشا واليا عليها من قبلها وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ فبقى محمد على مع خسرو باشا رئيسا على فرقة ورجع على أغا إلى قوله ولم يزل محمد على مشمرا عن ساعد الجد إلى أن صار رئيسا على فرقة كبيرة مؤلفة من أربعة آلاف جندى من الالبانيين (الارنؤد) وساسهم أحسن سياسة حتى ملك قلوبهم بحسن سياسته ثم حصلت فتنة أدت إلى قيام العساكر على خسرو باشا أهم أسبابها عدم صرفه مرتباتهم إليهم فاضطروا للخروج من مصر فتوجه إلى دمياط وتحصن بها وجعل يضرب عليها وعلى ماجاورها من البلاد الضرائب الفادحة ويكلف الناس مالا يطيقون ويذيقهم كأس الظلم والهوان فانفق محمد على

وعثمان بك البرديسي على محاربتة وتوجه إليه البرديسي وقهره وأتى به إلى القاهرة أسيرا وسجن بالقلعة وبقيت مصر بلا وال وكثر النهب والسلب في أنحاء البلاد ولما بلغ الخبر الدولة أرسلت على باشا واليا فلم يفلح لأنه ظلم فقتل وفي ذلك الوقت كان قد استفحل أمر محمد علي باشا وجمع إليه القلوب والقوة وصار الكل واثقا فأشار عليهم بطلب خورشيد باشا الذي كان حاكما على الاسكندرية واليا على مصر فأجابوه بشرط أن يكون وكيلا له فأجاب وكتبوا للدولة فأقرت وورد الفرمان بذلك في الثاني والعشرين من محرم سنة ١٢١٩ هـ ولم يكدها حتى ورد فرمان آخر بتولية محمد علي باشا على جدة فأظهر الامتثال والامتثال وأخذ يتأهب للسفر فاضطرب حال العسكر والأهالي لمفارقته وألح العلماء والأعيان عليه بعدم سفره لظلم خورشيد باشا وسوء معاملته للجميع . وانتخبوه واليا عليهم وكتبوا للدولة يستصдرون أمرها بذلك فجاء الفرمان بتوليته في ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ وسر الناس بذلك سرورا كثيرا لكن الأنجمايز طلبوا من الدولة عزله أو نقله إلى ولاية أخرى فأرسلت إليه فرمانا آخر بتوليته ولاية سلازك فأجاب لكن العلماء والأعيان قد أبو مبارحته مصر لعدله وحزمه وخرفا من إعادة حكم المماليك ثانيا وكتبوا كتابا آخر يسترحمون فيه السلطان ويستعطفونه لأجل بقاءه وأرسلوه مع ابنه ابراهيم بك فخل محل القبول وحضر الفرمان النهائي بتثميته في مصر في أواخر شوال سنة ١٩٢١ هـ فاجتهد في ترقية حالة البلاد وعكف على ما فيه نفع البلاد ودخلت مصر به في دور تقدم جديد حيث إن الحروب المتوالية في الأزمان الغابرة والضرائب الفادحة والمظالم الكشيرة كانت قد أنهكت قواها وأضعفت شوكتها وشغلتها عن كل ما فيه صلاح لها وصارت محلا لمصائب الدهر من كل جانب حتى أن الأمراض الوبائية ما كانت تفارقها ساعة من نهار فكثير الفناء وعم الفساد

الاضطرابات كلها ما كانت تؤخره عن السهر على راحة البلاد وصنع كل ما يوجب تقدمها ولما علم أن مصر في ذلك العصر قد ضرب عليها الجهل أطنا به مع علمه أن سعادة الأمة مرتبطة بتربية أبنائها بذل قصارى جهده فى انشاء كثير من المدارس والمكاتب المنتظمة فى مصر والاسكندرية وجميع أنحاء القطر التى رأى فيها الاستعداد إلى ذلك حتى بلغت المدارس فى أيامه ثلاثا وستين مدرسة سوى المكاتب المنتظمة التى أنشأها وهذه المدارس منها إحدى عشرة عالية أو خصوصية وأثنتان تجهيزيتان وخمسون ابتدائية أما العالية والخصوصية فهى مدرسة الطب بأبى زعبل وكان رئيسها كلوت بك ومدرسة المهندسخانة ببولاق وكان رئيسها لامير بك ومدرسة الألسن ورئيسها رفاعة بك ومدرسة الزراعة بناحية نبروه ومدرسة الطب البيطرى ومدرسة الموسيقى ومدرسة المساحة ومدرسة البيادة بدمياط ومدرسة السوارى بالجيزة ومدرسة الطوبجية بطرة ومدرسة ورشة العمليات ببولاق وأما التجهيزيتان فكانت إحداهما بأبى زعبل وثانيتها باسكندرية وأما الابتدائية فكان منها ثلاث مدارس بالقاهرة واثنتان بالاسكندرية وخمس وأربعون بالأقاليم وهذا العدد مأخوذ من التقرير الذى قدمه المرحوم مصطفى بك مختار مدير المدارس إلى المسيو مانجان وأما المكاتب التى أنشأها ونظمها فانها كثيرة يضيق المقام عن ذكرها ولم يكتب رحمه الله بتعليم الناشئين فى المدارس المصرية على نفقة الحكومة المحلية بل أنه بعث البعث إلى أوربة ممن ظهرت عليهم علامات النجابة سواء كانوا من طلبة الأزهر أو من تلاميذ المدارس وألحقهم بأعلى معاهد التعليم وخصص كل فريق منهم بفن من الفنون كتقويم البلدان والتاريخ والآداب وعلوم التربية والعلوم الطبيعية والرياضية والطب والزراعة والقوانين والحرب وفنون البحر وغير ذلك مما تحتاج إليه وبسط كفه للنفقة عليهم مع

شدة الاحتياج إلى بذل المال في مصارف أخرى فنبع في زمنه رجال من أفضل الفضلاء وأنبل النبلاء .

وأنشأ محلا لضرب النقود ومصانع لعمل الأسلحة والمدافع ودارا للطبع ومحلا لعمل السفن وترميمها وقدم الصناعة والتجارة بالاكتثار من السفن والمعامل لغزل ونسج الحرير والصوف والكتان والقطن ومعامل الطرايش والجوخ ومعامل السكر ومعاصر الزيت إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى .

وقد اعتنى أيضا بتقدم الزراعة فادخل زراعة القطن والنيلة في مصر وأصلح حالة الري بحفر الترعة وإقامة القناطر وإصلاح الجسور فأمر بحفر ترعة المحمودية ليصل الماء إلى مدينة الاسكندرية ويروى ما بينها وبين مدينة رشيد من البلاد والأراضي ويسهل المواصلات وأقام على فرعى النيل عند بدئهما القناطر المعروفة بالقناطر الخيرية ليحفظ الماء ويصرف عند الاحتياج إليه بطرق مضبوطة هندسية فعمت نتيجتها وعمت فائدتها .

ورتب الجيوش وأدخل فيها النظام الأوربي وأنشأ الأساطيل البحرية وقوى الشغور المصرية حتى باتت مصر آمنة من طواريء المعتدين وكيد الماكرين هذا فضلا عن العمارات السكثيرة التي أنشأها منها جامع المشهور بالقلعة الذي جعل تربته فيه وتكايا بالحرمين الشريفين ورتب لها ما تحتاج إليه من النفقات وبقى مجدا في الاعمال الخيرية والأمور المرضية إلى أن أدركه السكبر فتخلى عن الأعمال لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤ هـ بعد أن حكم خمسا وأربعين سنة ثم توفي في الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٦٦ بالاسكندرية ونقل إلى مصر ودفن بتربته التي بمسجده بالقلعة بعد أن جاوز الثمانين وترك من الآثار ما يخلد له ذكره جميلا على ممر الدهور وتعاقب العصور .

المغفور له إبراهيم باشا

بن محمد علي باشا

هو الثاني من الأسرة الخديوية الكريمة تولى بعد تنازل أبيه له سنة ١٢٦٤ هـ وكان مولده بمدينة قوله سنة ١٢٠٤ هـ وبعد توليته سار إلى الاستانة ومنح فرمان التولية وعاد يصحبه الين والاقبال وكان من الشجاعة بمكان عظيم وجميع غزواته في سورية وقرتية وموره وغيرها تدل على ذلك وكان له إمام بكثير من اللغات فكان يعرف الفارسية والعربية والتركية والفرنسية عالما بتاريخ البلاد الشرقية ولما ملك ساس البلاد وأراح العباد وعنى بتقدم الفلاحة في مصر لأنها مادة حياتها ومنبع ثروتها إلا أنه لم تطل مدته بل اختطفته يد المنون بعد أن حكم نحو أحد عشر شهرا وجاوز السنين من العمر ودفن بالامام الشافعي بمدفن الأسرة الخديوية وتولى بعده ابن أخيه عباس باشا الأول.

المغفور له عباس باشا الأول

هو الثالث من الأسرة الخديوية وهو ابن طسون باشا ابن محمد علي باشا تولى بعد موت عمه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٥ هـ فسار كسير عمه بالحكمة والعدل والتبصر كما كان قد عود ذلك من صغره فعم الأئمن ربوع البلاد وسهل طريق التجارة بالشروع في إنشاء السكة الحديد بين مصر والاسكندرية ومد خطوط الأسلاك البرقية ومهد الطريق بين مصر والسويس واعتنى بتشيد المدارس الحربية بالعباسية وتشيد مساجد أهل البيت وبرازخهم ومساجد غيرهم من الأولياء والصالحين ومات في أول حكمه جده المرحوم محمد علي باشا وكانت وفاته في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٦ وكان رائق الفكر غير ميال للدجالين والمفسدين فنفاهم إلى السودان ونظم العساكر وسن قانون القرعة وكان شديد العزم

لاتأخذه في الحق لومة لأئم فكان يميل إلى الحق أينما كان ولو كان ذلك على نفسه أو على أكبر عظيم من عائلته وكان شديد الفراسة قوى الفكرة ولم يزل رحمه الله عاملاً على ما فيه الخير للبلاد حتى مات ببنتها العسل ودفن بالقاهرة سنة ١٢٧٠ هـ بعد أن حكم خمس سنوات تقريباً وعمره اثنتان وأربعون سنة وهو والد المرحوم ابراهيم الهامى باشا والد والدة الجناب العالى الخديو وتولى بعده عمه سعيد باشا

المغفور له سعيد باشا

هو الرابع من هذه الأسرة الكريمة وهو محمد سعيد باشا بن محمد على باشا الأكبر تولى بعد موت ابن أخيه عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠ هـ وكان قد تربى تربية مدرسية وتعلم كثيراً من اللغات وأحاط بكثير من العلوم الرياضية وغيرها فبدأ باصلاح الادارة وتنظيم شؤونها وكان من ذلك أنه قسم الخراج على الاطيان بطريقة عادلة واجتهد فيما يعود على البلاد بالنفع كسطهير ترعة المحمودية واتمام الخطوط الحديدية بين مصر والاسكندرية التى كان قد ابتداء انشاؤها فى مدة سلفه وساعد على مشروع قناة السويس فأقيمت على آخرها من الشمال مدينة بور سعيد تخليداً لذكر اسمه وتذكراً لمحبهه النافعة للبلاد وبذلك اتصلت أوروبا بممالك الشرق الأقصى وبني القلعة السعيدية عند القناطر الخيرية وكان له اعتناء خاص بتنظيم الجنود وكثرة الجيوش وله لوائح كلها تدل على شفقتة ورحمته وكان قويا على الأقوياء له رحمة بالضعفاء مع الحزم والعقل وحسن التدبير ولم يزل قائماً بالأمر خير قيام إلى ٢٧ رجب من سنة ١٢٧٩ هـ فأدرکه الاجل فمات بالاسكندرية ودفن بها وكانت مدة حكمه ثمانين سنين وعمره اثنتان وأربعون سنة تقريباً وتولى بعده ابن أخيه خديو مصر الأسبق اسماعيل باشا .

المغفور له اسماعيل باشا

الخديو الأسبق

هو الخامس من هذه الأسرة الكريمة وهو اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ولي الأمر في ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ بعد وفاة عمه محمد سعيد باشا فوسع نطاق التجارة وأكثر من إنشاء الخطوط الحديدية والسلوك البرقية والتفت إلى إصلاح حالة الري فأنشأ كثيرا من الترعة وأوسع فبريقات عمل السكر التي أنشأها عمه سعيد باشا بالوجه القبلي وأكثر من المدارس على اختلاف أنواعها وأوجد المحاكم المختلطة وأنشأ دار التحف والآثار المصرية ودار الكتب وبنى مدينة الاسماعيلية وبنى بها قصورا مشيدة وبنى مرفأ الاسكندرية وأرصفتها وبنى منارات متعددة في البحر الأبيض المتوسط إلى غير ذلك من الأعمال الجسيمة التي اضطرته للقرض من الخارج ولزيادة الضرائب في الداخل ووطد الروابط بين مصر وأوربا وأبطل تجارة الرقيق وغزا الحبشة وفي سنة ١٢٨٣ هـ حصل على قانون الوراثة في أولاده على عود النسب بحيث تكون حكومة مصر محصورة في أكبر أولاده ثم تنتقل لابن ابنه الأكبر وهكذا ونال من جلاله السلطان عبد العزيز لقب خديو وهو أول من نال ذلك اللقب الذي هو أرفع ألقاب وزراء الدولة العلية واستقل بالأحكام الإدارية وفي سنة ١٢٩٠ هـ حصل على فرمان آخر بتوسيع نطاق الامتيازات للخديوية المصرية وفي رجب ١٢٩٦ هـ قضت عليه بعض أعماله السياسية والمالية بالتنازل عن الحكم لأول أنجاله وأرشدهم محمد توفيق باشا وتوجه هو إلى بلاد إيطاليا وأقام بها بمدينة نابلي مدة ثم انتقل إلى الاستانة وبقي بها إلى أن توفي سنة ١٣١٢ هـ وحضرت جثته إلى مصر ودفن بمدفنه بالرفاعي واحتفل بجزائه احتفالا رسميا لاثقا به ومدة حكمه سبع عشرة سنة.

المغفور له محمد توفيق باشا

الخدوي السابق

هو السادس من الأسرة الخديوية المصرية بعد والده يوم الخميس سابع شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ فحسم بحزمه جميع المصاعب وأخذت مصر تدخل في دور جديد من التقدم ونشرت فيها ألوية العدل في جميع الأرجاء ورفع كثيرا من الضرائب التي كانت قد أثقلت كاهل الأهالي وأنشأ المحاكم الأهلية وشكل مجالس المديرية ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ووسع نطاق المعارف فأنشأ المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية وكثيرا غيرهما من المدارس والمكاتب واعتنى بتوسيع نطاق دار العلوم ووجد بناء مدرسة الطب ووسع نطاقها ونظم المستشفيات خصوصا القصر العيني وكان كثيرا ما يزور المدارس ويوزع الجوائز على النابغين بيده الشريفة تنشيطا لهم وألغى السخرة التي كانت على فلاحى مصر واعتنى بتحسين حالة الري وأرسل الوفود إلى أوربالمشاهدة الاستكشافات والاختراعات العلمية وكان متمسكا بالدين القويم ميالا لصلة الرحم ومساعدة الفقراء وآماله متوجهة دائما إلى إقامة شعائر الدين فاهتم بعمارة كثير من المساجد والاضرحة وكان له محبة زائدة في زيارة أهل البيت وبينما هو مجد في كل ما يعود على البلاد بالخير العميم إذ عصاه أحمد عراب باشا ناظر الحربية بعدما انحاز إليه القسم الأكبر من قواد جيشه فهددته دولتا إنجلترا وفرنسا وأمرتاه أن يكلف عما هو عازم عليه فلم يسمع نصيحة نوابهما وأظهر استعداداه لمقاومتهم فأرسلتا سفنهما الحربية إلى ميناء الاسكندرية وهددته بالضرب فأخذ يحصن القلاع ويتجهز للدفاع وحينئذ هاج رعا الناس ضد الأجانب في مدينة الاسكندرية سنة ١٨٨٢ م وقتلوا منهم أناسا وتعاضم

الأمر وكثر الخوف عند الأجانب وصاروا يرحلون إلى أوربا ولما لم يرتدع
عراي باشا ولم يزل مصمما على العصيان والدفاع أطلق الأسطول الانجليزي
قنابله على قلاع الاسكندرية فهدمها وهرب عراي ومن معه بعد أن أحرقوا
قسما كبيرا من المدينة وتحصنوا بكفر الدوار فانزل الانجليز قسما من الجنود
استلخوا المدينة وحضر في الاسكندرية والسويس نحو عشرين الفامن العساكر
الانجليزية تحت قيادة ولسلي وحيث رأى هذا القائد أن مهاجمة المصريين من
جهة كفر الدوار خطيرة نقل قوة العساكر إلى الاسماعيليه وحصلت بينهم وبين
المصريين واقعة عظيمة في التل الكبير كانت غايتها انهزام المصريين ودخل
الجيش الانجليزي مدينة القاهرة في شوال سنة ١٢٩٩ هـ الموافق شهر سبتمبر
سنة ١٨٨٢ م ، واستلخوا القلعة وقبضوا على عراي باشا ومن معه وحكموا
على كل واحد منهم بما يستحقه واستمر الجيش الانجليزي بمصر إلى الآن ثم
توفي بعد ذلك المرحوم محمد توفيق باشا مأسوفا عليه في يوم الخميس الموافق
٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ بمدينة حلوان ودفن بقرافة العفيفي ومدة حكمه
١٣ سنة إلا شهرا .

ومما قلته له من الشعر هاتان القصيدتان :

(١) قصيدة تهنئة بأحد العيدين ومطلعها تاريخه .

(٢) قصيدة تحية له وترحيب به عند زيارته المدرسة الخديوية .

قلت في تهنته :

عيد بعزة توفيق العزيز زها	ونال في عصره الزاهي أجل بها
عيد كساه الخديو بهجة ففدا	على الزمان وأهليه بتيه بها
قدم وعش يا أبا العباس في رغد	في كل عام مليكا ساميا فرها
ياخير من صام أو أدى فرائضه	وما تساهل في أوقاته وسها

ومذعلا عرشه السامى رقى درجا إلى الرعايا فعين الرأفة انتبها
وعضد الحق حتى صار مجتهدا مميزا بعد ما كان مشتبهها
وللهعارف فيها صار مجتهدا وبالترقى إلى أربابها ولها
حتى غدت مصر بالتوفيق فى رعد وملكها فى جميع الخافقين زها
قدم وعش يامليك القطر فى رعد ودمت فى كل عام ساميا فرها
ماعداد عيد الصفا بالانس ثانية وقد كساه الخديو بهجة وبها
إذ جئت باليمن والبشرى أو رখে عيد بعزة توفيق العزيز زها
وقلت فى تحيته عندما زار المدرسة الخديوية :

جدير بالمدارس أن تهتئى وترقى للعلا حسا ومعنى
فان عزيز مصر لها تجلى فنالت كل ما كانت تمنى
وقد عم السرور فليست أدرى مهنى الطالبين من المهتئى
وأصبح بلبل الأفراح يشدو وغرد وانثى تيهها وغنى
إذا افتخر الأنام بزائريهم فانا بالملك قد افتخرنا
همام فاضل شههم نبيل قوى لم يدع فى الملك وهما
له همم كبار لا تضاهى إذا رما لها عدا عجرنا
وفى الاحسان ليس له مثيل وفى التدبير فرد لا يثنى
له عقل تكون من ثبات به المنان من عليه منا
إذا وزنت به كل البرايا يفوق الكل رجحانا ووزنا
له بيت عريق فى المعالى فمن ينزل بساحته اطمأنا
بلغنا بالزيارة كل قصد ولو شئنا السماء علا بلغنا
ويتنا لا نعال بالأمانى وصرنا عن حديث النفس أغنى
حضرت إلى المدارس فاستنارت وفاقته بهجة الأعمار حسنا

وصرنا كالنجوم الزهر فيها وأنت البدر بل أعلى وأسى
ستغرس في النفوس أجل غرس ومن ثمراته الخيرات تجنى
فشكرا للهليك وأى شكر يكون مترجما عما أستكنا
أدام الله سعدك في صعود ليلقى الكل إحسانا وحسنا
وتبتهج العلوم وطالبوها ويبلغ كل شخص مآتمنى
وتولى بعده ابنه أفندينا عباس باشا حلمى الثانى

سمو الخديو عباس باشا حلمى الثانى

وهو السابع من الأسرة الخديوية الكريمة وهو حفظه الله نجل المغفور له
محمد توفيق باشا ابن اسماعيل باشا ابن محمد على باشا ولد فى أول جمادى الثانية
سنة ١٢٩١ هـ ولم ينقطع سموه من الرضاع حتى لاحت عليه سمات النجابة والفلاح
وظهرت عليه أمارات التقدم والنجاح وقد اعتنى والده المغفور له بشأن تربيته
وتهذيبه فأنشأ له ولشقيقه صاحب الدولة (محمد على باشا) مدرسة مخصوصة
بجوار قصر عابدين العامر وسماها المدرسة العلمية وجمع معهما من هو فى سنهما
من أبناء الوزراء والأمراء لتنشيطهما وتأكيدهما وربط المحبة بين الجميع واختار
لها أساتذة فضلاء وجهابذة نبلاء فبرعا فى الآداب والفنون وكثير من اللغات
ولما أتما ما بها من العلوم أرسلهما إلى أوروبا سنة ١٨٨٥ م ومعهما أستاذان
جليلان أحدهما لتعليم اللغة التركية والثانى لتعليم اللغة العربية إلى مدرسة
(ها كيسوس) بالقرب من جنيف بسويسرة فلبثا بها إلى سنة ١٨٩٧ م ثم
أرسلهما إلى (الترزيانوم) الكلية بمدينة ويانة عاصمة النمسا ليكملتا معارفهما
بأحسن مدرسة على أكفأ أساتذة الحكومة النمساوية فبرعا فى عدة لغات وجملة
فنون ولم يقتصر سموهما على ذلك بل أنهما تلقيا فنون الحرب والسياسة وقد
قارنا عليهما بالعمل حيث طافا فى أغلب أنحاء أوروبا للاطلاع على كثير من

العوائد والأخلاق فقابلتهما جميع الملوك بما يليق بمقامهما الكريم من أنواع التمجيل والتكريم ولقد كان من ضمن الممالك التي شاهدها ألمانيا وانكلترا والروسيا وإيطاليا وفرنسا فلقيا من الحفاوة والاكرام ما لم يسبق له مثال وكانا كلما نزلا بمملكة من هذه الممالك قابلتهما ملوكها وأمرأؤها وأرباب الحل والعقد فيها أجمل مقابلة وأعدوا لهما منازل الضيافة والاكرام ومما لقيهما في انكلترا أنهما نزلا في قصر جلالة الملكة واستعرضت أمامهما الجيوش على اختلافها وفي روسيا أنهما نزلا ضيقين كريمين في قصر الملك واستعرض جلالتهم أمامهما فرقا كثيرة من جيوشه وقبل أن يبارحا أي مملكة كانت تهدي اليهما أعلى الوسامات وأخضر النياشين .

وفي سنة ١٨٨٩ م وفد إلى مصر ففرحت بقدميهما البلاد وأقاما مع المرحوم والدهما نحو شهرين بالأسكندرية ثم استأذناه في السفر لزيارة المعرض الباريسي فأجابهما إلى ذلك فترجها إلى فرنسا فلقيا هناك من التجلية والاحترام ما لا يدخل تحت حصر فإنهما قد قوبلا ببرسليا وباريز مقابلة فائقة وخصص لهما رئيس الجمهورية ضباطا من ضباطه العظام لملازمتيهما أيام إقامتهما بباريز وأعد قصر (فونتن بله) وهو من أخضر القصور بها ودعاهما لتناول الطعام مع جنابه مرارا عديدة وأهدى سمو أفندينا ينانيشان (اللجون دونور من رتبة جران) وأهدى دولة أخاء نيشان (الكرافات دي كوماندير) واحتفل لهما رئيس الوزارة وناظر الخارجية احتفالا عظيما كل ذلك لما ظهر لهؤلاء الملوك من علامات النجابة وسمات الكمال على وجهيهما .

وعلى الجملة فإن سمو الخديو قد برز تربية راقية علميا وعمليا حتى صارت تربيته تضارع أعظم ملوك أوربا وهو يحسن تكلمًا وكتابة خمس لغات العربية والتركية والانجليزية والألمانية والفرنسية ولم يزل مجدا في العلم والعمل حتى

طير اليه البرق وفاة العزيز والده على غير سابقة انتظار وصدرت إرادة سلطانية من لدن مولانا السلطان عبد الحميد خان الثانى بتولية سمو الخديو (عباس باشا حلى الثانى) على أريكة الخديوية المصرية فى الثامن من شهر يناير سنة ١٨٩٢ م فتنقوى على الحزن وسافر هو وشقيقه من ترستا فى ٩ يناير سنة ١٨٩٢ م فوصلا إلى الأسكندرية فى ١٦ رجب سنة ١٣٠٩ هـ وأقبل على مهام الأعمال التى وكل أمرها إلى سموه بقوة الشباب فى حكمة الشيوخ وبينما هو كذلك إذ حضر مندوب عثمانى من مشيرى الدولة وهو صاحب الدولة أحمد أيوب باشا حاملا الفرمان العلى الشأن واحتفل بتلاوته رسميا فى الرابع عشر من ابريل سنة ١٨٩٢ بقصر عابدين العامر على جمهور من عظماء الأمة وكبرائها وكنت ممن أكرمهم المولى بحضور ذلك الاحتفال الذى كان مثال العظمة والجلال ووردت لسموه التهانى تترى من جميع الجهات وابتهجت البلاد وفرحت العباد وها هى ترجمة الفرمان العلى الشأن .

الدستور الأكرم المعظم الخديو الأنعم المحترم نظام العالم وناظم منازم الأمم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأى الصائب ممد بنيان الدولة والإقبال مشيد أركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل نيشاننا الهمايونى المجيدى المرصع ولنيشاننا العثمانى الأول وزيرى سمير المعالى عباس حلى باشا أدام الله إجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره وإقباله .

أنه لى وصول توقيعنا الهمايونى الرفيع يكون معلوما لكم أنه بناء على ما قضى به الله من انتقال (جنتم كان) محمد توفيق باشا خديو مصر إلى رحمته تعالى وإعلاما بجليل التفاتنا ونظر إلى حسن خدماتكم وصدقاتكم واستقامتكم لذاتنا

الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من أن لكم وقوفا ومعلومات تامة بخصوص الأحوال المصرية وأنكم كفاء لإصلاحها واجهنا إلى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المبينة بالفرمان الشاهاني الصادر بتاريخ ٢ ربيع سنة ١٢٥٧ م وذلك بمقتضى إرادتنا الشاهانية في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ ولأنكم أكبر أولاد (جنتم كان) الخديو المتوفى وجهت إلى عهدتكم الخديوية المصرية ترفيقا للقاعدة المقررة بالفرمان الشاهاني الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ هـ القاضي بان الخديوية المصرية تؤول إلى أكبر أولاد البكر فالبكر ولما كان زايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين أهاليها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا كنا وجهنا فرمانا شاهانيا لتحقيق هذه الغاية الحميدة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ إلى (جنتم كان) والدم بتولية الخديوية المصرية وضمنها المواد الآتية :

إن جميع إيرادات الخديوية المصرية يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني حيث إن أهالي مصر أيضا من تبعه دولتنا العلية وأن الخديوية المصرية ملزمة بإدارة أمور المملكة الملكية والمالية والعدلية بشرط ألا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعدى في وقت من الأوقات فخديو مصر يكون مأذونا بوضع النظمات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضا يكون خديو مصر مأذونا بوضع النظمات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضا يكون خديو مصر مأذونا بعقد وتجديد المشاركات مع مأموري الدول الأجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لأجل رقى الحرف والتجارة والصنائع واتساعها ولأجل تسوية المعاملات السائر التي بين الحكومة والأجانب مع أمور ضابطة الأجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية (البوليتيقية) وفي حقوق متبوعية

مصر لها ولكن قبل إعلان الخديوية المشاركات التي تعقد مع الأجانب
بهذه الصورة يصير تقديمها إلى بابنا العالی وأیضا يكون حائزا للتصرفات الكاملة
فی أمور المالیه لکنه لا يكون مأذونا بعقد قرض بوجه من الوجوه وإنما يكون
مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المدائین الحاضرين أو وكلائهم الذين يعینون
رسمیا وهذا الاستقراض يكون منحصرًا فی تسوية أحوال المالیه الحاضرة
ومخصوصًا بها وحيث أن الامتيازات التي أعطيت لمصر هي جزء من حقوق
دولتنا العلیة الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت لديها فلا يجوز لأى
سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض
من الأراضى المصریة للتغیر مطلقًا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠٠٠٠٠ ليرة عثمانیة
الذى هو الويركو المقرر دفعه فی كل سنة فی أوانه وكذلك جميع النقود التي
تضرب فی مصر تكون باسمنا الشاهانی ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر
ألفًا لأن هذا القدر كاف لحفظ الأمن ببلاد مصر الداخلية فی وقت الصلح
ولكن حيث أن قوة مصر البریة والبحریة مرتبة كذلك من أجل دولتنا
يجوز أن یزاد مقدار العساكر البریة والبحریة والعلامات المميزه لترتب ضباطهم
كرايات عساكرنا الشاهانیة ونیاشینهم ویباح لخديو مصر أن يعطى الضباط
البریة والبحریة لعاية رتبة أميرالای والملکیة إلى الرتبة الثانية ولا یرخص
لخديو مصر أن ینشئ سفنًا مدرعة حریة إلا بعد الإذن وحصول رخصة
صریحة قطعية إلیه من دولتنا العلیة ومن اللزوم المحافظة علی كل الشروط
السالفة الذکر وإجتنب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت إرادتنا السنیة
بإجراء المواد السابق ذكرها فقد أصدرنا أمرنا هذا الجمیل القدر والموشح
أعلاه بخطنا الهایونی وأرسلناه لكم تحریرًا فی ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٠٠٩
من هجرة صاحب العزة والشرف .

ثم أخذ يبذل جهده في كل ما يعود على البلاد براحة البال وحسن الحال فكان من با كوره أعماله أنه نقص الرسوم القضائية وخفف عوائد المصلح وأمر بتغذية جميع المسجونين على مصاريف الحكومة وعدل الضرائب وفي جمادى الأولى سنة ١٣١٠ صدر أمر عال باستعمال لأتحة جديدة لمستخدمى الحكومة المصرية واعتنى بتحسين حال الزراعة وإحياء الموات من الأرض وبدأ بذلك فى مزارعه الخصوصية ليسكون قدوة حسنة لرعيته وفى أيامه بنى خزان اسوان وأقيمت جسور أسيوط واسنى وأنشئت ترع عديدة وخطوط حديدية كثيرة .

واهتم أيضا بأمر الصناعة فاستجلب الآلات والأدوات اللازمة لإنتشار الصناعة وتقدمها فى البلاد وصار يحث الأهالى على المحافظة فى صنائعهم القديمة التى كادت تنمحي آثارها مع تنشيطهم بشراء شىء من مصنوعاتهم ومنسوجاتهم واستعمال كل فيما يصلح له .

وفى مدته أنشئت بمصر محطة السكة الحديدية الحالية وجسر إنبابه الذى تمر عليه قطر الوجه القبلى وسارت بمصر والأسكندرية المركبات الكهربية وأسس محلا جديدا للتمتف المصرى بجوار قصر النيل واسترجع السودان وقامت به حكومة منتظمة ووسع اختصاص مجلس الشورى ومجالس المديرىات والجمعية العمومية وأوجد محاكم الاخطاط لراحة صغار الفلاحين ومزارعيهم واعتنى بتوسيع نطاق المعارف ففتحت فى عصره مدارس كثيرة ومئات من الكتاتيب النظامية والمدارس الصناعية ومدرسة التجارة ومدرسة القضاء الشرعى والطب البيطرى والبوليس والزراعة وحصل الاعتناء بالمدارس على اختلاف أنواعها حتى كثر المتعلمون وساعد الحكومة على ذلك أهل الخير من الأمة فأنشئوا جامعة مصرية وكثرت الجمعيات الخيرية لهذا الغرض الشريف

ثم زيد على الضريبة خمسة في المائة لنشر التعليم في جميع أنحاء القطر ولا يزال
أخذنا في الرقي مع مستقبل الزمان .

ولحبه في مساعدة الفقراء وعدم حرمانهم من التعليم قد أنشأ على نفقته
الخاصة مدرستين لأبناء الفقراء والمزارعين إحداهما بالقبة والأخرى بجوار
قصره الرفيع الذي بناه بين أبي قير والرمل بالأسكندرية وبنى بجواره مرفأ
تأوى إليه السفن عند خوف غلبة الرياح عليها .

وقد اعتنى بتنظيم الأزهر الشريف والمعاهد الدينية إعتناء لم يسبق له مثيل
وأحيا كثيرا من العلوم الدراسة في تلك المعاهد .

وقد قدمت له قصائد كثيرة في ذهابه وإيابه ومواسمه منها :

ماقدمته له لما تولى الخديوية تهنئة له بها وتعزية له بوفاة المرحوم والده وهي :

يامصر صبيرا وهل يامصر مصطبر وذلك الخطب لا يبقى ولا يذر

خطب عظيم أهم الناس قاطبة وكيف من يعدم التوفيق يصطبر

توفيق مصر الذي في يوم بارحها قد استتب بها الأحزان والكدر

قد كان عوننا وغوثنا للبلاد كما قد استتب بها الأحزان والكدر

دعني فاني لو سطرت سيرته فالقول عند استماع القول ينشطر

كسأه مولاه من رضوانه حملا والهم الأهل صبيرا قدر ما أجروا

والله لولا يقين الكل ان له شبلا تدين له العليا وتنتظر

عباس باشا الذي من بعد والده يقفو ماثره فينا ويتبكر

يامسدي يامليك القطر دمت لنا حصنا تحصنك الآيات والسور

آباؤك الصيد قد جلت ماثرهم ومهدت بهم الآكام والوعر

فسر بها يامليك القطر معتمها بالله فالملك أضحى اليوم يفتخر

إذ سرت سيرتي جلت ماثره كما سرى النيران الشمس والقمر

إلى أن قلت :

وفي النفوس أمان طالما لهجت بها فحاول في اسعافها القدر
لكن بحزمك يا بن الأكرمين أبا يتم كل صلاح كان ينتظر
والثانية تهنته بقدم الفرمان إليه من الدولة العلية وكان أعداؤه قد أشاعوا
أنه لم يحضر إليه وأن الملك سيولى غيره لأنه قد تأخر كثيرا فرددت عليهم
قولهم هذا لما حضر الفرمان له من الدولة وقد جعلت فيها تاريخين لقدمه
الأول هجرى والثانى ميلادى .

وهى :

وإلى الخديو الرفيع الشأن فرمان فأصبحت تزدهى مصر وتزدان
والبشر سار إلى الأقطار أجمعها فالكل مبتهج والغر حيران
وقد أتى وجميع الناس منتظر إذ قد تأخر والتأخير هجران
وقد تكلم قوم لاخلاق لهم وليس من شأنهم فى أمره شأن
فاهنا به يا عزيز القطر من ملك على الملوك له من وإحسان
وقد أتاك بأمر لا مثيل له مما يدوم له حمد وشكران
فهدم الأمر ما قد كان دبره من المكائد أخدان وأقران
إذ أنت خير إمرىء جلت ما أثره جاه عظيم وإحسان وغفران
ومنذ أتم له المولى مقاصده ولم يحاربه فى علياه إنسان
أرخت دولته بمن وميسرة وإلى الخديو الرفيع الشأن فرمان
ومنها ما قدمته له لما زار مدرسة القرية شكرا له على هذه الزيارة وكنت

حينئذ أحد مدرسيها . وهى :

ألا حبذا يوم به افتخر الدهر وعم الصفا فيه ولازمه البشر
وفاق عن الأيام حسنا ورفعة وصار من الأيام يغبطه الدهر

تجلى به العباس فابتسمت لنا
وزار خديونا المدارس فازدهت
إلى أن قلت في مدحه :

وما الطود إلا قطعة من ثيابه
إلى أن قلت عن لسان التلاميذ :

وها نحن شبان بدولة عزكم
وعند تمام المدركات فنكنا
فنتفق أرواحا لخدمة قطرنا
ودام خديونا مدى الدهر باقيا
لنبليغ غايات الكمال بعزه
وتسمو على كل البلاد به مصر

ومنها ما قدمته له لما عاد من اسلامبول من سفره وجعلت فيها تاريخا
للعودة وجعلته مطلعها ونهايتها وهي :

عاد الخديوى ناجحا مسرورا
وبسيرك المحمود والسفر الذى
قويت ما حلت عراه يد العدا
فتحت له الأبواب دون ممانع
وكذاك ألبسه الوسام مليكنا
ومنذ أزهى القطر السعيد بعوده
وامتدت الآمال وأزداد الرجا
أهديته منى التهاني راجيا
وبمدحه السامى بديع قصائدى
وترد طرف الحاسدين حسيرا

وقدومه باليمن قد أرخته عاد الخديو ناجحا مسرورا
ومنها القصيدة التي فيها الذم مدحا وهذا النوع من الشعر مما يتحدى به
الشعراء وسبب نظمها وتقديمها له أن جماعة من أعدائه قد ترقبوا حضوره إلى
مصر من الاسكندرية وقدموا له قصيدة هجاء حملوها من الهجاء من مالا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الناس وكان تقديمها له في يوم
الخميس الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٧ م فلما رأيتها وما فيها من الذم قلت قد
صدق القائل .

ونصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام هذا إن عدل
وكان في ذلك الوقت على باشا مبارك ناظرا للمعارف العمومية ولما زرته
بمنزله أخبرني أن الخديو قد استاء كثيرا من قصيدة الهجاء وكلفني أن أنظم
قصيدة مدح تكون مضادة لقصيدة الهجاء فاجابة لطلبه ولما للخديوى على
من حقوق التولية قد قلبت الذم مدحا وزدت في المدح كثيرا وسفهت عملهم
وقدمت للخديوى تلك القصيدة فسر بها سرورا كثيرا وأمر بنشرها في الوقائع
المصرية وبعد نشرها فيها نشرتها جميع الجرائد المحلية في ذلك الحين وطبعوا
منها على انفرادها ألوفا وزعت بمصر والاسكندرية وجميع الأقاليم البحرية
والقبيلية . إلى غير هذه من القصائد التي قدمتها له في جميع أعياده حفظا لحقوق
التولية له .

وهاتان القصيدتان كتبتهما لأنه بضدها تدين الأشياء

هذه هي قصيدة الهجو بتمامها

قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سيبيد
بعدت وثغر الناس بالبشر باسم وعدت وحزن في الفؤاد شديد
تمر بنا لاطرف نحوك ناظر ولا قلب من تلك القلوب ودود

علام التهانى هل هناك ما أثر
فنفرح أو سعى لديك حميد
إذا لم يكن أمر فقيم مواكب
وإن لم يكن نهى فقيم جنود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت
علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم (مقدونيا) فاصابنا
مصوب سهم للبلاء سديد
فلما توليتم طغيتم وهكنا
إذا أصبح التركي وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة
وكم ضم بطن الأرض أشلاء جمه
وكم صار شمل للعباد مشتتا
وخرب قصر في البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا
له تحت أنقال القيود وثيد
فما قام منكم بالعدالة طارف
ولا سار فيكم بالسداد تليد
كأني بقصر الملك يصبح بائدا
من الظلم والظلم المبين مبيد
ويندب في أطلاله البوم ناعبا
له عند ترديد الرثاء نشيد
(أعباس) ترجو أن تكون خليفة
كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الأرض حين تسود
(أعباس) لاتحزن على الملك إنه
تقضى فهذا الحزن ليس يفيد
(أعباس) صار الملك في يد عادل
يزب الردى عن حوضه وينود
وقد كان جفن الدهر وسنان هاجدا
وهاهو هب اليوم منه هجود
(بريطانيا) لازال أمرك نافذا
وظلك في أرجاء مصر مديد
ليصبح شمل الأمر وهو منظم
وبصبح هذا الظلم وهو طريد
أيجراً ذئب أن يدوس برجله
عرينا وفي ذاك العرين أسود
فأضحى بفضل العدل وهو جديد
فأنت احتلت القطر والقطر دارس
متى ما أرى الإعلام يخفق ظلها
على أرض مصر إننى لسعيد

وهذه القصيدة التي قلبت الذم فيها مدحا مع زيادة المدح وهي :
قدوم على رعم الحسود سعيد ومملك على طول الزمان وطيد
بعدت وكل الناس للبعد كاره وعدت وشوق للقاء شديد
تمر وطرف السكل نحوك ناظر وكل الملا جمع إليك ودود
فكيف التنائى والهنا لك واجب وسعيك في كل الأمور حميد
إذا لم يكن في القطر أمر يشينه ولا شيء مما قد أذاع جحود
ونهبك مسموع وأمرك نافذ ورأيك في كل الأمور سديد
فدم يارعاك الله في خير دولة وياحبنا ركب لكم وجنود
تذكرنا رؤياك عدلا وعفة وهيبة ملك بالوقار تزيد
منحنا بكم فالعدل قد مد ظله على القطر والرأى السديد مفيد
فلما توليتم عدلتم وهكذا فروع وآباء لكم وجسدود
فما سفكت منا دماء بريئة ولا ضمنت منا البرى لحود
ولا ضم قاع البحر قتلى ولا حوى سوى الماء يطفو فوقه ويزيد
ولا سيق منا في الحديد مبرؤ له تحت أثقال الحديد وتيد
وكم ضم شمل للعباد مشمت وعُمر قُصر في البلاد مشيد
فأشأ رعاك الله مما يقوله جهول باحوال الملوك بليد
فلمك أعزى العز حتى لسانه مع العى في نظم القريض حديد
فان طاش مغرور وشقشق جاهل وخرف معتموه وضل عتميد
فكل لسان العالمين مكذب وكل وفود العارفين شهود
فكم سار منكم بالعدالة طارف وكم قام منكم بالسنداد تليد
وكل فقير قبل حكم محمد غدا تحت ظل السعد وهو سعيد
توليتم ذا القطر والقطر دارس فأضحى بفضل العدل وهو جديد

فتاريخكم يزهو بأجمل سيرة لها بين أخبار الملوك صعود
حنانيك إن الليث لا يستفزه ذئاب عوت من حوله وقرود
وأى ملك لم يكن تحت ظله مع العدل خوان له وحقود
فدم قائما بالحزم كي تدرك المنى وتقطع أطماع العدا وتبيد
فبالحزم نار أضرمت في قلوبهم وبالحزم يبدو حرها ويعيد
فأنت مليك القطر والقطر خاضع لأمرك فافعل ماتشا وتريد
فان تعف يامولاي فالعفوشيمة وإن عوقب الجاني فتلك حدود
فلا زال قصر الملك بالعدل عامرا وبالحزم يعلو شأنه ويزيد
يغرد في أنحائه الطير دائما له عند ترديد الغناء نشيد
أعباس نرجو أن تدوم منعا مدى الدهر حتى لا يكون حسود
أعباس هذا القطر أنت مليكه تذب الردى عن حوضه وتزود
فقد كان هذا الدهر وسنان دائما وهاهو هب اليوم منه هجود
أعباس مصر دام أمرك نافذا وظلك فى أرجاء مصر مديد
ليبقى صعود القطر يصعد دائما ويبقى عماد العدل وهو وطيد
وتحفظ مصر من شرور كثيرة ويخسأ فيها جاحد وكنود
فلا زلت يقظانا وفي ظل دولة لها بين أخبار الملوك بنود
أأحيا إلى أن يترك الزيغ كافر لأنعم أوطان له وطريد
وبذهب سعى الخائنين ومكرهم هباء وجمع المارقين يبيد
ويرجع مغرور ويندم خائن لأنعم مصر إننى لسعيد

ثم انقضت أيامه بما لها وعليها إن خيرا خيرا وإن شرا فشرا

فيوم لنا وفيوم علينا وفيوم نساء وفيوم نسر

والملك لله يؤتیه من يشاء وينزعه من يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء

وبانقضاء مدته قد أصبحت مصر دولة مستقلة يتولاها من يتولاها من الملوك
وأول من قام بالملك بعده هو السلطان حسين الأول

السلطان حسين الأول

وأول السلاطين حسين كامل الأول تولى سنة ١٢٢٣ هـ الموافقة سنة ١٩١٥ م
وكان شديد الرأي محبوبا في الأمة ممتازا بمكارم الاخلاق كريم السجايا فقام
بالامر أحسن قيام وارتاحت العباد وعمرت البلاد وأخذت مصر في زمنه
نهضة لم تأخذها في زمن غيره من سابقيه وكان ذا شفقة على الرعية
وقد هنأته بقصيدة بتوليه الملك وهي :

سلطاننا أحسين ياخير امرىء ملك البلاد ففاق للاقران
شرفت مصر وقد ملكت لملكها فاهض لرفعتها عن البلدان
وأعد لها تاريخها الماضى الذى حلت مآثره بكل مكان
إذ أنت أفضل مالك فى عصره ملك البلاد وماله من شان
ملك جليل فى السياسة مفرد بين البرية ماله من ثمان
ورث السباحة والمروءة والندى من أسرة جبلت على الإحسان
وبحزم مثلك يرتجى كل امرىء ما كان مهضوما مدى الأزمان
وبمثل جودك يرتجى كل امرىء ما كان من من من المنان
يانجل اسماعيل ما كان امرؤ أبدا يضارعه بأى زمان
دم للبلاد مساعدا ومؤيدا حتى تشيد خالد البنيان

وهو نجل المرحوم اسماعيل باشا الخديوى الأسبق ولد بمصر فى التاسع
عشر من شهر صفر سنة ١٢٧٠ هـ وتربى فى مدارسها فتعلم اللغات ثم تم دراسته
فى أشهر مدارس باريس ثم استقدمه والده فالتقى إليه أزيمة كثير من الادارة

تولى التفاتيش البحرية فأدارها بالحزم والعدل ثم ولى نظارة المعارف فاهتم
بشأنها وصار يعطى المكافآت للتلاميذ التابعين فبث فيها روح الجد والنشاط
ثم ولى نظارة الحربية ثم نظارة الأشغال العمومية فأنشأ السكة الحديدية بين
مصر وحلوان وجعل على المحروسة سورا يقيمها من خطر الفيضان ثم تولى
نظارة المالية فكان له فيها الأثر الجليل وكانت جميع أحواله وأطواره تدل على
أنه من خيرة الرجال فهو الذى يصدق عليه قول القائل .

شخص يعد بألف ألف مثله وألوف شخص لا تعد بواحد
وهكذا كانت أيام سلطنته على البلاد كلها سخاء ورخاء وعدل وفضل
فله الأثر الخالد والشرف التالد .

ولم يزل كذلك حتى مات سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م وله من العمر ٦٥ سنة
وقد رثيته بهذه القصيدة رحمه الله رحمة واسعة . وهى :

أحسين يارب المكارم كلها	يا صاحب الملك العظيم الشأن
بالامس كنت منعمًا وممتعا	واليوم مندرج بنى الاكفان
أمر قضاءه الله بين عباده	فيه استوى عبد مع السلطان
أين الملوك وأين من ملكوا الدنيا	بين البرية من قديم زمان
الكل قد ماتوا وما تركوا سوى	ما كان من خير ومن إحسان
ومذ البرية أعلنت بوفاتكم	حزنت لها الدنيا بكل مكان
أما الكسبانة فهى فى شر الاسى	فى سائر الانحاء والبلدان
فالفضل يجتذب النفوس جميعها	والمن يعقبه رضا المنان
والله أرجو أن تكون منعمًا	مما فعلت له من الاحسان
ويخصك المولى بوسع رحمة	وتبيت فى حلال من الرضوان

الثانى صاحب الجلالة فؤاد الأول

الثانى من الملوك صاحب الجلالة فؤاد الأول وهو مليكنا المحبوب تولى الملك سنة ١٩١٧ .

فقام بأعبائه خير قيام واعتنى بالعلم والعلماء فاهتم بالمعاهد الدينية ونظر إليها نظرة خاصة لم تكن منتظرة من سواه فأوجد الجامعة وأحضر لها المدرسين الكفاة فى كل نوع من العلوم ووسع نطاق الملك فأوجد وزارات به لم تكن موجودة من قبله وهى وزارة الزراعة ووزارة المواصلاات ونظر للوظفين أيضا فزاد رواتبهم وحسن حالتهم عما كانت عليه من قبل وبالجملة فان أعماله الجليلة لا تحصى ولا يمكن حصرها ولا تستقصى .

وإنى قد قدمت لجلالته جملة قصائد أولها قصيدة تهنئة لجلالته بالملك وهى:

جاء الصلاح مع السداد	و الله	بلغنا	المراد
والدهر بعد تخبط	قد سار فى	سبيل	الرشاد
وبشائر البشرى بدت	فى كل	أنحاء	البلاد
قد جاءت البشرى لنا	أن المليك	لنا	فؤاد
رب الجلالة والندى	على الذرا	وأرى	الزناد
من عم صيت كاله	وجلاله	فى كل	واد
من ذا يكون مثاله	للدين	والدنيا	يراد
من مثله فى عصره	للخير	والحسنى	مراد
من مثله للهلك من	يلقى	عليه	الاعتماد
والجسم لا يحيا لنا	إلا إذا	سلم	الفؤاد
الله يبقى عمره	دهرا	طويلا	للعباد

حتى تتم الصالحات وينمحي أثر الفساد

ومنها قصيدتان قد هئيت بهما جلالته بالعيد السعيد إحداهما:

عيد سعيد أتى مولاي في رعد رب الجلالة راعي مصر حاميا

فأصبحت مصر في خير وفي فرح والبشر عم لقاصيها ودانيها

من فاق كل ملوك الأرض في كرم كم من مكارم يبيديها ويحييها

وكم فضائل لا يحصى لها عدد جلت عن الحصر في إحصاء محصيها

من ذا يجاريه في الخيرات بفعلها ومصر تاهت به عن غيره تيبها

من ذا يجاريه في تدبير مملكته كم من خطوب يلافبها وينهبها

أرجو من الله أن يبقى لأمته يولى الندى ويوالى من يواليها

ويشمل الله من ألطافه كرما ولى عهد الى الخيرات يبيديها

فالنجل يتبع في الأوصاف والده وربما فاق عن آباءه فيها

حتى يتم لمصر فوق ما طالبت وترقى فوق ما كانت أمانيا

والثانية وهي:

عيد سعيد أتى فاهنا بطلمعته إن البرية قد وافت تهنينا

بخير من عمت الدنيا مكارمه وخير بر به الأيام تأتينا

رب المكارم من عمت مكارمه فالخير يشمل قاصينا ودانينا

رب المكارم من عمت مكارمه في كل ناحية من كل وادينا

من ذا يجاريه في عدل وفي كرم الناس تغبطنا من كونه فينا

فالرفق شيمته والجود ديدنه وكم بخير من الخيرات يأتينا

وكل عام أرى مولاي في رعد والخير يشمل دانينا وقاصينا

ويجعل الله مولانا وعترته محصنين بحسن الله تحصينا

حتى يتم لنا في عصر دولته من المنى فوق ما كانت أمانينا

ومنها قصيدة ترحيب وتهنئة بعودة جلالته إلى عاصمة ملكه من رحلته
الميمونة وهي :

قدومك يارب الجلالة والعلا به الملك يعلو قدره ويزان
وعودك يارب المكارم كلها إلى الملك في خير هنا وطمان
فقد غبت عنا والعيون سواهر ليوم قدوم حال عنه زمان
كأنك روح والبرية جسمه وما عاش جسم ليس فيه جنان
فلا غروان وافت جميع وفودها متى جاءت البشرية وآن أو ان
فقدسستنا بالعدل والفضل والتقى ودافعت عنا والجميل يضان
وكم سرت في نفع البلاد وخيرها ودافعت حتى لا يكون هوان
وأعجبت نفسا وهي في وقت راحة لتدرك قصداً قل عنه طعان
ومن يغمد النفس النفيسة في العنا ليظفر حتى لا تكون سنان
فذلك خير الناس للناس كلهم وخير ملك عز فيه زمان
وقد أيقنوا أن الكنانة ربها عظيم وكم مرت عليه شنان
وقد خصه المولى بكل فضيلة بها الدهر يعلو والمديح يزان
فمن مثله للطيبات موفق ومن مثله يلقي عليه ضمان
ومن مثله للدهر إن جار واعتدى ومن مثله يعزى إليه حنان
ومن مثله للمشكلات وحلها إذا حل أمر ليس فيه بيان
ومن مثله بالقول للحق ناصر لكل مكان قل فيه لسان
فدمت دوام البدر في بيت سعده إلى الملك حتى يرتقى ويضان
وترحل محفوظا وترجع ظافرا لتكمل فينا راحة وأمان

وقلت شاكرا جلالته لما عدلت درجات الموظفين :

إليك لواء الحمد يرفعه الشكر وطيب مدحى في المليك هو الذخر

على أنعم جللت وقد سمت الورى فلم ينهها عد ولم يحصها حصر
تفردت فى الإحسان للناس كلمهم وكنت مثال الغيث يهمره البحر
وأكثرت فى الآلاء حتى تحيرت عقول الملا فيها فطاب لك الذكر
وساعدت فى مصر المعارف فارتقت وأدركتها بالخير فابتهجت مصر
وعاملت بالحسنى بنيتها فأصبحوا وقد فارقوا عسرا وعمهم اليسر
وساعدت مولانا على الخير أهله وشكر ذوى الإحسان يوجبه الحر
ولو أننا صرنا مدى الدهر كله نكرر خير الشكر ما وسع العمر
فجودك يارب المكارم والندى تضىء به الدنيا ويفتخر الدهر
وكم بت طول الليل للدهر شا كيا وباربه شعرى وأخر فى الشعر
ولو أننى قد كنت للشعر تاركا وباربه شعرى وعاندى الدهر
رجعت له لما تحققت فضله وفاء لحق لا يقوم به النثر
وأرجو من المولى بقاء مليكننا بخير واقبال يلازمه النصر
وتغبطه الدنيا بخبر وزارة بها عمت الخيرات وانجبر الكسر

تهنئة بهية ومدحة سنية

لحضرة مولانا صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر حفظه الله
بمناسبة عودته من رحلته فى أوربا وإقامة حفلة التتويج سنة ١٩٣٧

قدومك يارب الجلالة والعلا إلى الملك يعلى قدره ويزيد
ويمنحك المنان من فيض فضله وتملك ملكا ما إليه حدود
تذكرنا رؤياك عدلا وعفة وهيية ملك بالوقار تزيد
فقد كنت بالتوفيق مادمت قائما ورأيك فى كل الأمور سيد
وكل لسان العارفين مصدق وكل وفود العالمين شهود
تدين لك الأيام فى كل حالة وتخدمك الهامات وهى سجد

ملك له بين الملوك مكانة وقدر عظيم ما عليه مزيد
ملك كأن الله أتقن صنعه لكي لجميع الطيبات يزيد
وتبقى جميع الناس في خير حالة كما كان آباء له وجدود
فكل فقير في زمان محمد غداً في ظلال العدل وهو سعيد
فمثلك من يرجى إلى الخير كله ويبقى له بالطيبات خلود
فلا زلت محفوظاً وفي خير حالة وكل الوري حب لكم وودود
ولا زلت منصوراً وبالعدل قائماً ومن ينصر المنان فهو مجيد
وجودك فينا نعمة أي نعمة بك الحق يسمو والضلال يبيد
وإن كنت بالتتويج للتاج زائناً فإنك سلطان وأنت وليد
كأنك بدر والأنام كواكب بيوم سعيد جاء فيه وفود
ويوم عظيم القدر مامر مثله بذنا الدهر حتى لا يعيش حسود
ويصبح هذا القصر لكل مؤثلاً يذب الأذى عن حوضهم وينود
ولا زلت في خير لدى الحق ناصرأ مدى الدهر حتى لا يسود عنيد
ويصبح هذا الملك بالعدل زاهراً بهمة مولى قل منه وجود

تحية قدوم

لجلالة مولانا الملك فاروق الأول بمناسبة عودته من الصعيد إلى عاصمة ملكه

في أوائل فبراير سنة ١٩٣٧

قدومك يارب الجلالة والعلا به شرحت للعالمين صدور
وأصبحت البلدان في خير بهجة وأحيا الليالي مترف وفقير
فإنك يا مولى الجميع شملتهم بخير هبات والجميع شكور
وإن جميع الناس شرقاً ومغرباً لهم عند يوم للقدوم حبور
فهذاك مسرور بعود ملكنا وهذا بيت المكرمات فخور

وذلك يحيى بالقراءة ليله
فإنك يارب المكارم كلها
ودافعت عن حوض البلاد بهمة
وقد علم الأكوان أن مليكتنا
مليك له جاه ومجد مئثل
له همة فوق السماكين منزلا
مليك كساه الله ثوب مهابة
له في سياسات الملوك مذاهب
مليك كأن الله أبدع صنعه
ويلبس تاج الملك حتى بعزمه
وتعطى الأمانى للأمان بقصره
فلا زال منصور الجناب معززا
وتبقى مدى الأيام في ظل عرشه
مليك لكننه الحادثات مجرب
وقد شهدت كل البرية أنه
ويرحل مسرورا ويرجع ظافرا
لنبلغ غايات الكمال بعزه
وذلك بتوزيع الصلوات يدور
أتيت بخير ما إليه نظير
وللخلق من جور الزمان تجير
علم بأحوال الزمان خبير
وللحق بالحق العظيم نصير
متى حاول المطلوب فهو يسير
وأيده بالنصر فهو كبير
يقصر عنها قيصر وقصير
لكي لشئون العالمين يدير
وهمة العليا يهون عسير
ونقضى به للعالمين أمور
إلى الحق حتى لا يكون عذور
فليس له بين الملوك نظير
جدير بحل المشكلات قدير
حريص على نفع البلاد غيور
فذلك مولى بالدعاء جدير
ويبقى لنا خير يتم كثير

الفهرست

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
إقراره عمال عمر سنة ثم تغييرهم	٤٥	الخلفاء الراشدون	٤
أوليات عثمان رضى الله عنه	٤٩	خلافة أبي بكر الصديق	٥
الأحاديث الواردة في فضله	٥٠	أعماله رضى الله عنه	٦
الأحاديث الدالة على فضل الثلاثة	٥١	فتوحاته	٨
خلافة الإمام على رضى الله عنه	٥١	واقعة اليرموك	٩
الأحاديث الواردة في فضل	٥٥	شجاعته رضى الله عنه	٩
الخلفاء الأربع رضى الله عنهم		انفاق ماله على رسول الله ﷺ	١١
بيعة الحسن بن على وتسليمه	٥٦	علمه رضى الله عنه	١٣
الأمر لمعاوية		ما أنزل من الآيات في مدحه	١٦
الدولة الأموية	٥٧	الأحاديث الواردة في فضله	١٧
معاوية بن أبي سفيان	٥٧	مقرونا بعمر	
عمال معاوية على مصر	٥٨	الأحاديث الواردة في فضله وحده	٢٠
يزيد بن معاوية	٦٣	نبذة من حله وتواضعه	٢٤
عمال يزيد بن معاوية على مصر	٦٨	وفاة أبي بكر والوصية لعمر	٢٥
معاوية بن يزيد	٦٩	خلافة عمر بن الخطاب	٢٧
عمال مروان بن الحكم على مصر	٧٠	أعماله رضى الله عنه	٢٧
عبد الملك بن مروان	٧١	إفتتاح بلاد للفرس	٢٩
عمال عبد الملك بن مروان على مصر	٧٣	فتوح مصر وأفريقية	٣١
الوليد الأول بن عبد الملك	٧٤	فتح برقة وطرابلس الغرب	٣٩
عماله على مصر	٧٦	موافقة عمر رضى الله عنه للقرآن	٣٩
سليمان بن عبد الملك	٧٦	الشريف	
عماله على مصر	٧٧	صفات عمر رضى الله عنه	٤٢
عمر بن عبد العزيز	٧٨	خلافة عثمان بن عفان	٤٤

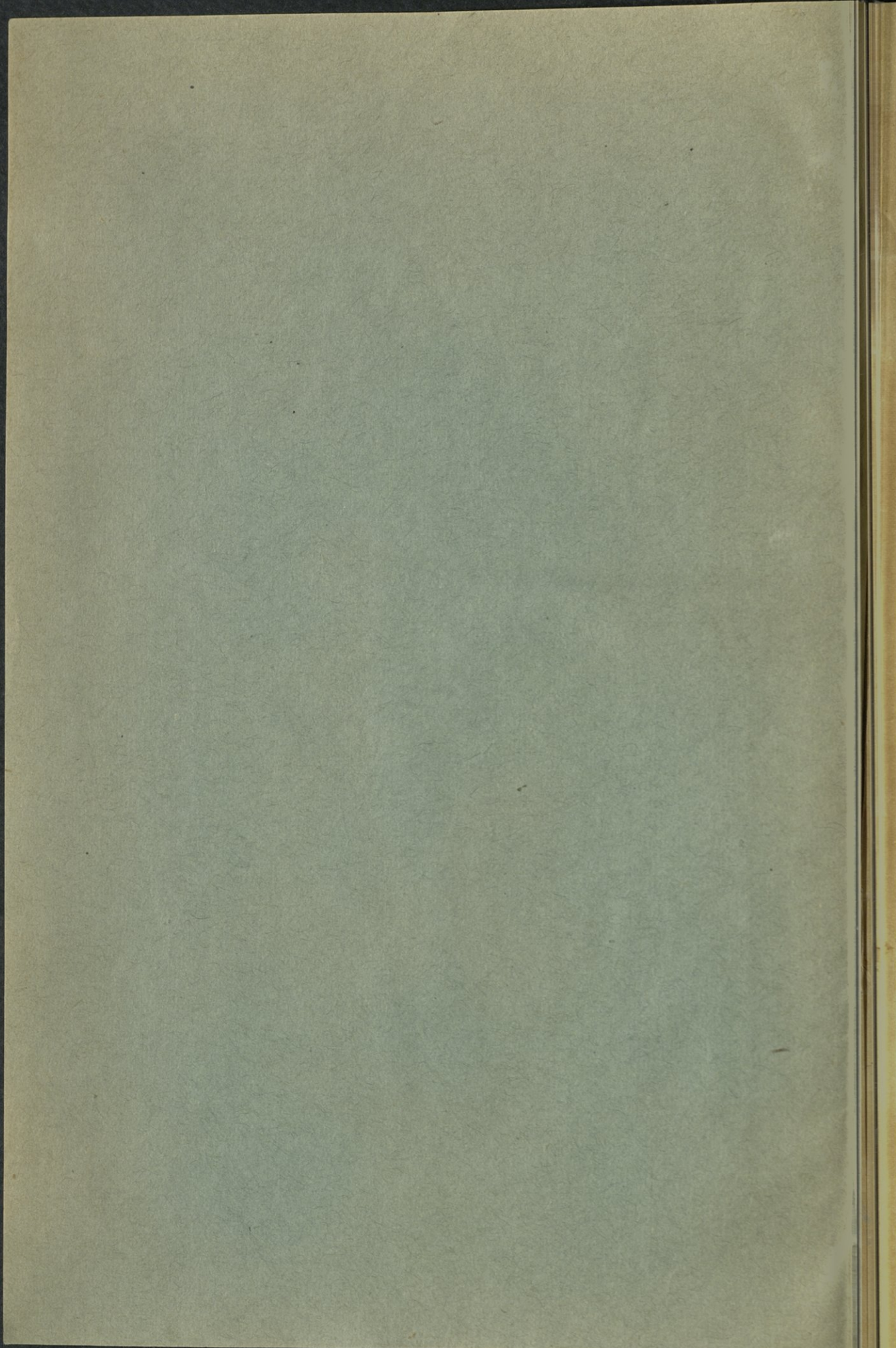
الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عود المهدي وقتله وعود المؤيد	٩٦	عماله على عصر	٧٨
انقراض الدولة الأموية من الأندلس وأخبار الدولة العلوية بها	٩٧	يزيد بن عبد الملك	٧٩
المستكفي	٩٨	عماله على مصر	٧٩
المعتمد بالله	٩٩	هشام بن عبد الملك	٧٩
ملوك الطوائف	٩٩	عماله على مصر	٨٠
دولة بني الأحمر	١٠٤	الوليد الثاني بن يزيد	٨١
الدولة العباسية	١٠٦	عماله على مصر	٨٢
أبو العباس السفاح	١٠٦	يزيد بن الوليد	٨٣
المنصور	١٠٨	عماله على مصر	٨٣
عماله على مصر	١١٠	ابراهيم بن الوليد	٨٣
المهدي	١١٠	مروان بن محمد	٨٣
عماله على مصر	١١١	عماله على مصر	٨٥
الهادي	١١٣	دولة الأمويين بالأندلس	٨٨
عماله على مصر	١١٤	عبد الرحمن بن معاوية	٨٨
هارون الرشيد	١١٥	هشام بن عبد الرحمن الداخل	٩٠
عماله على مصر	١١٧	الحكم بن هشام	٩٠
الأمين	١٢١	عبد الرحمن بن الحكم	٩١
المأمون	١٢٣	محمد بن عبد الرحمن	٩١
عماله على مصر	١٢٥	المنذر بن محمد	٩٢
المعتصم بالله	١٢٨	عبد الله بن محمد	٩٢
عماله على مصر	١٣٠	عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد	٩٢
الواثق بالله	١٣٠	الحاكم بن عبد الرحمن للناصر لدين الله	٩٣
عماله على مصر	١٣٣	هشام المؤيد بن الحكم	٩٤
المتوكل على الله	١٣٣	محمد بن هشام الملقب بالمهدي	٩٥
عماله على مصر	١٣٥	مليمان بن الحكم المستعين بالله	٩٥

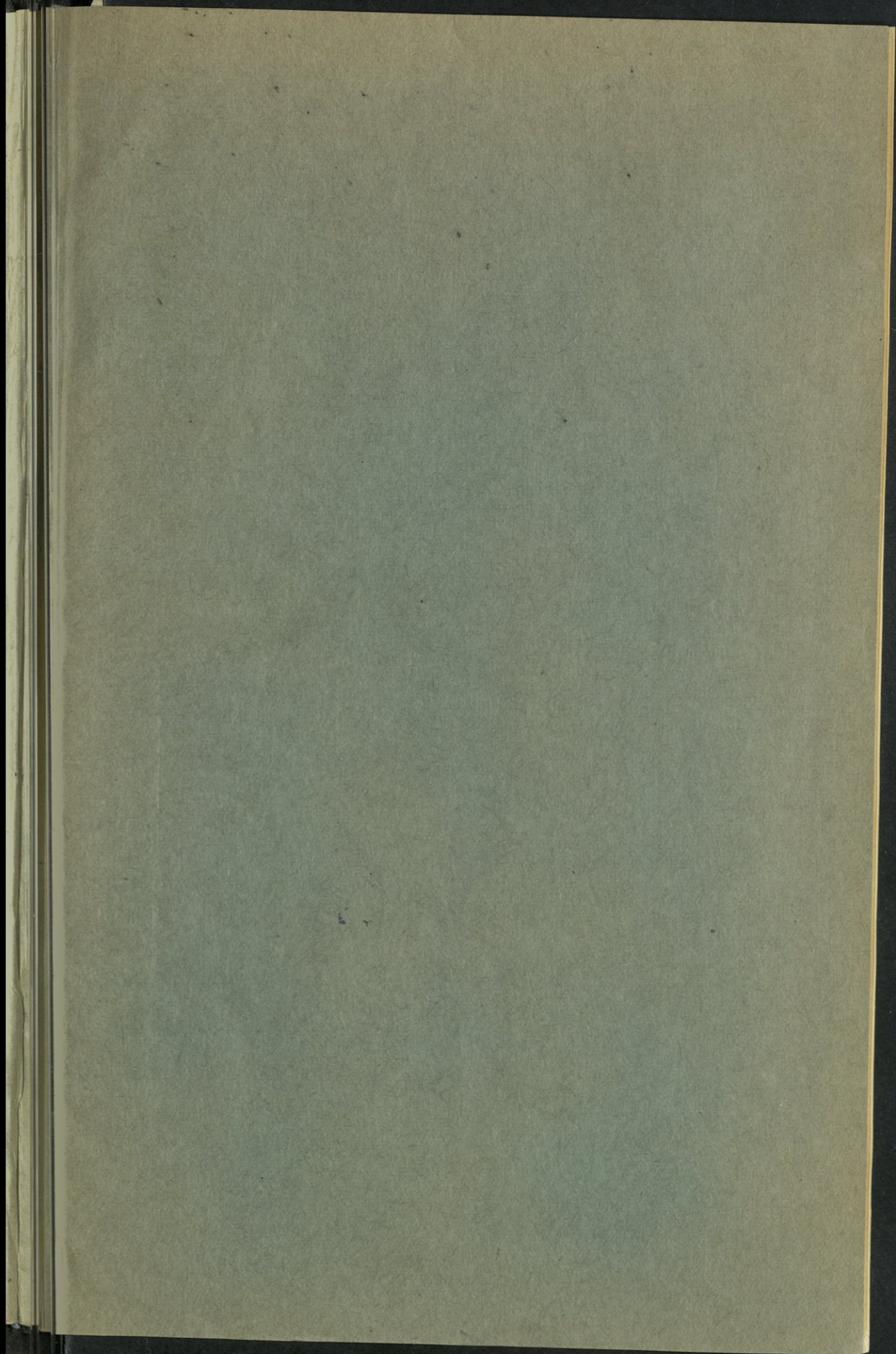
الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
الظاهر بالله	١٥١	المنتصر بالله	١٣٦
المستنصر بالله	١٥٢	حالة مصر في عهده	١٣٧
المستعصم بالله	١٥٢	المستعين بالله	١٣٧
انتقال دولة بني العباس إلى مصر	١٥٤	عماله على مصر	١٣٧
الحاكم بأمر الله الأول	١٥٤	المعتز بالله	١٣٨
المستكفي بأمر الله	١٥٥	المهتدى بالله	١٣٨
الوائق بأمر الله	١٥٥	المعتمد على الله	١٣٩
الحاكم بأمر الله الثاني	١٥٦	المعتضد بالله	١٤٠
المعتضد بالله	١٥٦	المكتفي بالله	١٤١
المتوكل على الله	١٥٦	المقتدر بالله	١٤١
المعتصم بالله	١٥٦	القاهر بالله	١٤٢
الوائق بالله	١٥٧	الراضي بالله	١٤٢
المستعين بالله	١٥٧	المتقي بالله	١٤٣
المعتضد بالله	١٥٧	المستكفي بالله	١٤٤
المستكفي بالله	١٥٨	الماطيع لله	١٤٤
القائم بأمر الله	١٥٨	الطائع لله	١٤٥
المستنجد بالله	١٥٨	القادر بالله	١٤٥
المتوكل على الله الثاني	١٥٩	القائم بأمر الله	١٤٦
المستمسك بالله	١٥٩	المقتدى بأمر الله	١٤٦
المتوكل على الله الثالث	١٥٩	المستظهر بالله	١٤٧
سبب انقراض الدولة العباسية	١٦٠	المسترشد بالله	١٤٧
الدولة الطولونية	١٦١	الراشد بالله	١٤٨
أحمد بن طولون	١٦١	المقتفي لأمر الله	١٤٨
أعماله وأصلاحه	١٦٣	المستنجد بالله	١٤٩
حروبه	١٦٤	المستضيء بأمر الله	١٤٩
موته	١٦٥	الناصر لدين الله	١٥٠

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
قدوم المعز من المغرب إلى مصر	١٨٤	مناقبه	١٦٥
القرامطة وتهديدهم مصر	١٨٥	أبو الجيش خمارويه بن أحمد	١٦٦
موته	١٨٥	أبو العساكر جيش بن خمارويه	١٦٧
صفاته ومناقبه	١٨٥	هرون بن خمارويه	١٦٧
العز بن بالله أبو منصور نزار	١٨٦	شيبان بن أحمد الملقب بأبي الغازي	١٦٨
الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور	١٨٦	سبب زوال الدولة الطولونية	١٦٩
الظاهر لا عزاز دين الله	١٨٨	الدولة الاخشيدية	١٧٠
المستنصر بأمر الله	١٨٩	أبو بكر محمد بن طفج الاخشيدى	١٧١
المستعلي بالله أبو القاسم أحمد	١٩١	مقاومته لجيش الفاطميين	١٧٢
الأمير بأحكام الله بن المستعلي	١٩٢	حروبته	١٧٢
الحافظ لدين الله بن محمد	١٩٢	موته	١٧٣
الظافر بأمر الله	١٩٣	صفاته ومناقبه	١٧٣
الفائز بنصر الله	١٩٣	أبو القاسم محمود الملقب بانوجور	١٧٤
العاقد لدين الله	١٩٤	أبو الحسن علي	١٧٥
شارو وضرغام	١٩٤	كافور الاخشيدى	١٧٥
ذهاب شيركوه إلى مصر	١٩٥	أبو الفوارس أحمد بن الاخشيد	١٧٧
شيركوه في مصر	١٩٦	سبب زوال الدولة الاخشيدية	١٧٧
عظمة الدولة الفاطمية وغناها	١٩٧	الدولة الفاطمية بمصر	١٧٨
أسباب زوالها	١٩٨	عبيد الله المهدي	١٨٠
الدولة الأيوبية	٢٠٠	القائم بأمر الله أبو القاسم محمد	١٨١
صلاح الدين يوسف الايوبى	٢٠٠	المنصور اسماعيل	١٨١
عزيز عماد الدين	٢٠١	المعز لدين الله أبو تميم معد	١٨٢
المنصور بن عزيز	٢٠٢	فتحه لمصر	١٨٢
الملك العادل	٢٠٢	بناء القاهرة والجامع الازهر	١٨٣
الملك الكامل	٢٠٣	انتشار نفوذه خارج مصر واتساع	١٨٤
سيف الدين الملقب بالعادل	٢٠٣	دولته	

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
الملك الأشرف برسباي	٢١٤	الملك الصالح	٢٠٣
الملك العزيز يوسف	٢١٤	توران شاه	٢٠٤
الملك الظاهر جقمق	١٢٥	شجرة الدر	٢٠٤
الملك المنصور عثمان	١٢٥	دولة المماليك البحرية	٢٠٥
الأشرف إينال	١٢٥	عز الدين أيبك	٢٠٥
أحمد بن إينال	١٢٥	الملك المظفر نور الدين علي	٢٠٥
خوش قدم	١٢٥	الملك بيدرس البندقداري	٢٠٦
الظاهر بلباي	٢١٦	الملك السعيد	٢٠٦
الظاهر طهار بوغا	٢١٦	الملك العادل شلامش	٢٠٦
الملك الأشرف قايتباي	٢١٦	المنصور قلاوون	٢٠٧
محمد بن قايتباي	٢١٦	الأشرف خليل بن قلاوون	٢٠٨
الملك الأشرف قانصوه	٢١٧	الملك الناصر محمد	٢٠٨
الظاهر قانصوه الأشرف	٢١٧	الملك العادل كتبغا زين الدين	٢٠٩
الأشرف قانصوه جمبلاط	٢١٧	السلطان حسن بن قلاوون	٢٠٩
طومان باي الأول	٢١٧	محمد بن حاجي	٢١٠
الأشرف قانصوه الغوري	٢١٨	أبو المعالي زين الدين شعبان	٢١٠
طومان باي	٢١٨	علي بن شعبان الملقب بالمنصور	٢١١
الدولة العلية ومصر تحت رعايتها	٢٢٠	الملك الصالح حاجي بن شعبان	٢١١
السلطان الغازي عثمان خان الأول	٢٢٢	دولة المماليك الجراكسة	٢١١
السلطان أورخان الغازي	٢٢٣	السلطان برقوق	٢١٢
السلطان الغازي مراد الأول	٢٢٤	فرج بن برقوق	٢١٢
السلطان الغازي بايزيد خان الأول	٢٢٥	المنصور عبد العزيز بن برقوق	٢١٢
السلطان محمد الأول بن بايزيد	٢٢٦	الشيخ محمودي	٢١٣
السلطان مراد الثاني	٢٢٧	المظفر أحمد بن المؤيد	٢١٣
السلطان محمد الفاتح الثاني	٢٢٩	الملك الظاهر سيف الدين تتر	٢١٤
السلطان بايزيد خان الثاني	٢٣٢	الملك الصالح محمد بن تتر	٢١٤

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
ولاته على مصر	٢٥٩	السلطان سليم الأول	٢٣٣
السلطان محمود خان الأول	١٦١	ولاته على مصر	٢٣٤
ولاته على مصر	١٦١	السلطان سليمان الأول القانوني	٢٣٥
السلطان عثمان خان الثالث	٢٦٢	ولاته على مصر	٢٣٨
ولاته على مصر	٢٦٢	السلطان سليم الثاني	٢٣٩
السلطان مصطفى خان الثالث	٢٦٣	ولاته على مصر	٢٤١
السلطان عبد الحميد خان الأول	٢٦٥	السلطان مراد خان الثالث	٢٤١
ولاته على مصر	٢٦٦	ولاته على مصر	٢٤٢
السلطان سليم خان الثالث	٢٦٧	السلطان محمد خان الثالث	٢٤٣
حالة مصر في زمنه وولاته عليها	٢٦٩	ولاته على مصر	٢٤٤
السلطان مصطفى خان الرابع	٢٧٣	السلطان أحمد خان الأول	٢٤٤
السلطان محمود خان الثاني	٢٧٣	ولاته على مصر	٢٤٥
السلطان عبد المجيد خان	٢٧٩	السلطان مصطفى خان الأول	٢٤٦
السلطان عبد العزيز خان	٢٨٣	السلطان عثمان خان الثاني	٢٤٦
السلطان مراد خان	٢٨٤	ولاته على مصر	٢٤٧
السلطان عبد الحميد خان الثاني	٢٨٥	السلطان مراد خان الرابع	٢٤٨
مصر تحت رعاية الأسرة الخديوية	٢٩٢	ولاته على مصر	٢٤٩
في ظل الدولة العلية		السلطان ابراهيم خان الأول	٢٥١
محمد علي باشا الكبير	٢٩٢	ولاته على مصر	٢٥١
ابراهيم باشا	٢٩٨	السلطان محمد خان الرابع	٢٥٢
عباس باشا الأول	٢٩٨	ولاته على مصر	٢٥٤
سعيد باشا	٢٩٩	السلطان سليمان خان الثاني	٢٥٥
الخديو اسماعيل باشا	٣٠٠	ولاته على مصر	٢٥٥
الخديو محمد توفيق باشا	٣٠١	السلطان أحمد خان الثاني	٢٥٦
الخديو عباس باشا حلمي الثاني	٣٠٤	السلطان مصطفى خان الثاني	٢٥٦
السلطان حسين الأول	٣١٧	ولاته على مصر	٢٥٧
صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول	٣١٩	السلطان أحمد خان الثالث	٢٥٨





297.09:G42mA:c.1

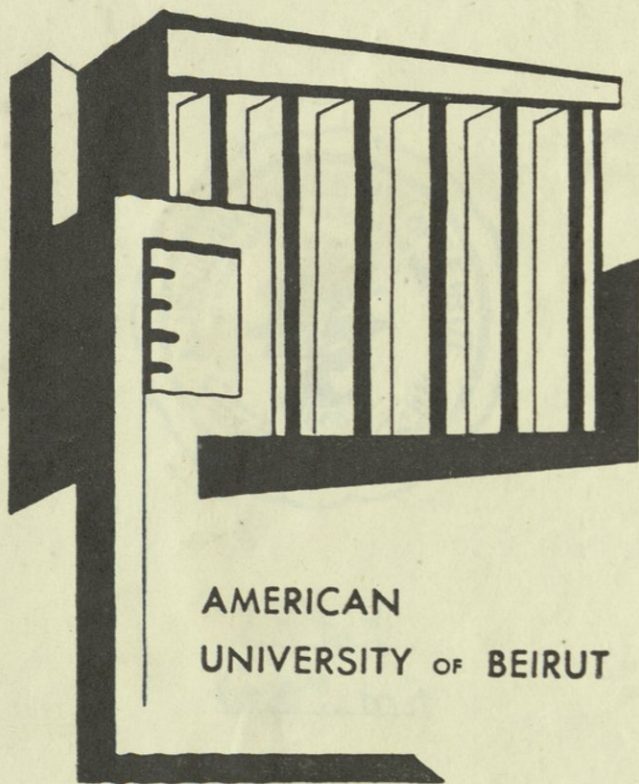
غنيمة، محمد

محاسن السلوك في تاريخ الخلفاء والمل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01002551



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT